

# العصمة

بحث تحليلي في ضوء المنهج القرآني

العصمة

بحث تحليلي في ضوء المنهج القرآني

محاضرات

السيد كمال الحيدري

بقلم

محمد القاضي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ  
عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ  
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

سورة آل عمران: ٣٣ - ٣٤

## مقدّمة الطبعه الخامسة

### بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

یشرفنی ویسعدنی أن أقدم للقراء الأفاضل كتاب (العصمة) فی طبعته الخامسة، وما امتازت به عن سالفاتها من مراجعة وافیه وضبط أدقّ للنص، وإخراج أفضل وأداء أجمل للشکل.

وقد كان هذا الكتاب محاولة فی تبسيط النص وحلّ عقدة الغموض فی كثير ممّا يتصل ببحث العصمة من مفاهيم فلسفية وعقلية.. فحظي بإقبال كريم دلّ عليه نفاذ نسخه وتكرّر طبعاته فی مدّة وجيزة.

وسيسرّني أن يتناول القراء الأفاضل هذه المحاولة بالنقد والتحليل؛ فربّما تخلفها محاولات أخرى فی مسائل عقائدية هامة.

وإني إذ أضع هذا المجهود بين أيديكم أرفع يد الضراعة لله تعالى فی قبول العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم إنّه سميع مجيب.. وهو وليّ التوفيق والسداد.

محمد القاضي

محرم الحرام - ١٤٢٠ هـ

تقديم

بقلم: الأستاذ كمال الحيدري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

للقوف على ما أدته الإمامة من دور أساسي وفاعل على مستوى الفكر والتاريخ الإسلامي، يكفي المرور . ولو عابراً . على البحوث الكلامية ومسائل الفقه السياسي، وما أنتجت من اختلافات عميقة على مختلف المستويات العقائدية، والفقهية، والسياسية، والاجتماعية.

فعندما نستعرض الأفكار العقائدية التي حفلت بها كتب علم الكلام نجد أنّ الاختلاف في المسائل الكلامية وصل حدّاً كبيراً جداً. فهناك مدارس متعدّدة في التوحيد بمختلف مسأله، من التجسيم والرؤية والصفات ودوام الفيض وغيرها، وفي العدل الإلهي، والنظريات التي طُرحت فيه من الجبر والتفويض، والأمر بين الأمرين، وهكذا على مستوى بحث النبوة وشرائطها من العصمة المطلقة والعلم ونحوهما.

يقول الطباطبائي في الميزان:

«اختلف الباحثون في التفسير في مسالكهم بعدما عمل  
فيهم الانشعاب في المذاهب ما عمل، ولم يبق بينهم جامع  
في الرأي والنظر إلا لفظ (لا إله إلا الله ومحمد رسول الله  
«صلّى الله عليه وآله) واختلفوا في معنى الأسماء والصفات  
والأفعال، والسماوات وما فيها، والأرض وما عليها، والقضاء  
والقدر والجبر والتفويض، والثواب والعقاب، وفي الموت،  
وفي البرزخ، والبعث والجنّة والنار، وبالجملة في جميع ما  
تمسّه الحقائق والمعارف الدينية ولو بعض المسّ»<sup>(١)</sup>.

هذا على مستوى البحث العقائدي، وأما إذا جننا إلى البعد الفقهي  
والاتجاهات والمدارس التي وجدت في الفكر الإسلامي فهي كثيرة جداً،  
ولا نبالغ إذا قلنا إنها اتجاهات فقهية متناقضة في المسائل الأساسية، ويتّضح  
ذلك جلياً في بحوث الفقه السياسي ونظام الحكم والإدارة في الإسلام.

ما نبغي قوله إنّ هذه الاختلافات والانقسامات العميقة التي ضربت  
المجتمع الإسلامي فكراً وعقيدة وتاريخاً، وأدّت إلى مصادمات دامية في  
كثير من الأحيان، ترجع في جذورها الأساسية إلى الاختلاف الذي وقع في  
مسائل الإمامة وشرائطها وموانعها.

(١) الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مطبعة  
إسماعيليان، قم، ط ٥، ١٤١٢ هـ ج ١، ص ٥.

أما تلك العوامل والأسباب الأساسية التي أدت إلى وقوع مثل هذا التضارب في الآراء في حقيقة الإمامة، فهي عديدة ذكروا منها ظاهرة النفاق والحسد وغيرهما، ولكن ثمَّ من وراء هذه العوامل العنصر المنهجي، الذي يعدُّ من أهمِّ العناصر التي أدت إلى هذا الاختلاف والانقسام.

فعندما نأتي إلى المنهج الكلامي الذي أخذ به أتباع مدرسة الخلفاء في فهم مسائل الإمامة وأبعادها ووظائفها، نجد أنه ينطلق من نقطة مركزية هي أنّ الإمام يعنى القائد والزعيم السياسي المسؤول عن إدارة شؤون الناس على مختلف الأصعدة والمستويات. ثمَّ إنَّهم عندما أرادوا أن يفهموا شرائط وموانع هذه الإمامة - التي هي الخلافة باصطلاح علم الكلام السنِّي<sup>(١)</sup> - حاولوا تأسيس ذلك من خلال الواقع الذي أوجده الخلفاء الثلاثة الأوائل فصاروا بصدد إقامة الأدلّة من الطرق المختلفة العقلية والنقلية لإثبات صحّة ما انتهت إليها الخلافة بعد الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله، فأرادوا معرفة الحقّ من خلال معرفة الرجال.

وهذا المنهج أدّى بهم إلى أن يلتزموا أنّ الخلافة هي:

أولاً: بالانتخاب والشورى.

ثانياً: منقطعة وليست دائمة.

ثالثاً: لا يُشترط فيها - على أفضل الأحوال - إلاّ العدالة والعلم المتعارف.

هذا من حيث الشرائط، أمّا من حيث المسؤوليات والوظائف الملقاة على عاتق الخلافة، فقد انحصرت عند المدرسة السنّية بالقيادة السياسية

(١) لأنّ الخلافة في المصطلح القرآني لها أبعاد أخرى أعمق ممّا اصطلح عليه في علم الكلام، ومنه قوله تعالى (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

والزعامة؛ فهي المسؤولة عن اتّخاذ التدابير اللازمة لحفظ الأمة الإسلاميّة وتطبيق الشريعة فيها.

وعندما اتّجه المنهج الكلامي في المدرسة الشيعية إلى مسألة الإمامة والخلافة - وكردّ فعل للاتّجاه السنّي - لم يحدّد محلّ النزاع والخلاف بين المدرستين، وإنّما دخل إلى البحث مباشرة، فقال:

أولاً: بنظرية النصّ، في قبال نظرية الشورى وانتخاب أهل الحلّ والعقد.

ثانياً: بنظرية العصمة المطلقة، من حيث الاعتقاد والأخلاق والسلوك الخارجي.

ثالثاً: بالعلم الكامل الخاصّ من غير كسب متعارف.

رابعاً: بأنّ الإمامة ظاهرة مستمرة ودائمة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولمّا كانت الانطلاقة للطرفين المتنازعين تبدو وكأنّها من نقطة واحدة، تراءى لبعض أنّ هناك تهافتاً وعدم انسجام بين المسؤولية الملقاة على عاتق الإمام - وهي القيادة والزعامة - وبين الشرائط والمواصفات التي ذُكرت له.

وهذا ما وجدناه في بعض الكتابات المعاصرة التي حاولت رفض فكرة العصمة في الإمام، من خلال الاستدلال بأنّ العصمة لو كانت شرطاً أساسياً في القائد والإمام فلماذا لم يلتزم أصحاب هذه النظرية بهذا الشرط حتّى النهاية، بل رفعوا اليد عنها واكتفوا بكون الإمام - أي القائد والولي - في زمن الغيبة عادلاً لا أكثر؟

بيد أنّ الذي نستوحيه من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والروايات الصحيحة الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام - الذين هم



عدل القرآن العظيم كما هو نصّ حديث الثقلين المتواتر سنداً ومضموناً - أن الإمامة التي تعتقد بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام تختلف اختلافاً جوهرياً عن تلك التي ينحصر دورها في الخلافة والحكم؛ وذلك لأنّ هذا الاتجاه يرى أنّ للإمامة دوراً فوق القيادة والزعامة، وهو الدور الذي بيّنه القرآن الكريم لإبراهيم الخليل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾<sup>(١)</sup>، وعبر عنه الإمام الرضا عليه السلام بكونه: «مرتبة ثالثة بعد النبوة والحلّة، وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ذكره»<sup>(٢)</sup>.

وأما الزعامة والقيادة السياسيّة فهي ثمرة من ثمرات تلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.

## منهجان

لفهم هذه الحقيقة هناك طريقتان يختلفان في الآثار وكذلك في النتائج المترتبة عليهما.

**الطريق الأول:** أن نرجع إلى القرآن الكريم والسنة المباركة لنرى ماذا يقولان عن حقيقة الإمامة وشرائطها، بقطع النظر عن المسؤوليات والوظائف التي أُلقيت على عاتقها.

وهنا نجد أنّ القرآن الكريم - وبمعونة الروايات الواردة في المقام - ثبت

---

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

(٢) أصول الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨ هـ، ج ١، ص ١٩٩.

أن الإمامة تتلخص أهمّ مسائلها في الأمور التالية:

١ - إنّها عهد إلهي، وجعل ربّاني، ونصب منه سبحانه وتعالى. وهذا صريح الآيات والروايات؛ قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم:

«إنّ الله عزّوجلّ أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه، وأبلغ بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه. فمن عرف من أمة محمد صلى الله عليه وآله واجب حقّ إمامه، وجد حلاوة إيمانه، وعلم فضل حلاوة إسلامه لأنّ الله تبارك وتعالى نصب الإمام علماً لخلقه، وجعله حجة على أهل مواده<sup>(٣)</sup> وعالمه...».

إلى أن يقول عليه السلام:

«ولا يُنال ما عند الله إلاّ بجهة أسبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلاّ بمعرفته... فلم يزل الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٧٣.

(٣) قال المجلسي: «المادة: الزيادة المتصلة، أي الذين يصل إليهم رزقه تعالى وترتيبه، أو هداياته وتوفيقاته الخاصة». (مرآة العقول، محمد باقر المجلسي، دار الكتب الإسلامية، إيران، ط ٢، ١٤٠٤ هـ ج ٢، ص ٤٠٠).

من عقب كلِّ إمام يصطفيهم لذلك ويحببهم ويرضى بهم لخلقهم ويرتضيهم، كلما مضى منهم إمام نصب لخلقهم من عقبه إماماً، علماً بيناً، وهادياً نيراً، وإماماً قيماً، وحجة عالماً، أئمة من الله، يهدون بالحقّ وبه يعدلون... يدين بهديهم العباد، وتستهلّ بنورهم البلاد، وينمو ببركتهم التّلال، جعلهم الله حياة للأنام، ومصايح للظلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام، جرت بذلك مقادير الله على محتومها.

فالإمام هو المنتجب المرتضى، والهادي المنتجى، والقائم المرتجى، اصطفاه الله بذلك... واختاره بعلمه، وانتجبه لطهره، بقيّة من آدم عليه السلام، وخيرة من ذريّة نوح، ومصطفى من آل إبراهيم، وسلالة إسماعيل، وصفوة من عترة محمد صلى الله عليه وآله<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

«هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأئمة فيجوز فيها اختيارهم... فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام، أو يمكنه اختياره؟... وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟».

إلى أن يقول:

«رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

(١) أصول الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٠٣.

سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»<sup>(١)</sup>.

وقال عز وجل: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» (سورة الأحزاب: ٣٦) <sup>(٢)</sup>.

فمقام الإمامة كالرسالة والنبوة من حيث إنها بيد الله سبحانه وتعالى وهو «أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»<sup>(٣)</sup>. فإذا كانت الإمامة عهداً، وشأننا، وأمرأ إلهياً، فلا بد أن تكون بنصبٍ ونصٍّ منه تعالى، ولا مجال لدعوى تفويض أمرها إلى اختيار الناس وانتخابهم استناداً لقوله تعالى: «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ»<sup>(٤)</sup>، لأن الإمامة - بحسب الاصطلاح القرآني - ليست أمراً وشأننا من شؤون الناس، بل هي عهد إلهي وفقاً للآية: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»، وواضح أن المراد من العهد هنا هو عهد الإمامة، كما أشار إليه المحققون من مفسري الفريقين.

٢ - إن الإمام لا بد أن يكون معصوماً بعصمة تامة على مختلف المستويات، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم والروايات المتواترة عن الرسول الأعظم وأهل بيته صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين، كقوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»<sup>(٥)</sup>. وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

(١) سورة القصص: ٦٨.

(٢) أصول الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٩.

(٣) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٤) سورة الشورى: ٣٨.

(٥) سورة الأحزاب: ٣٣.

الأمر منكم<sup>(١)</sup>.

ومن الروايات حديث الثقلين المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله، جبل ممدود من السماء إلى الأرض. وعترتي أهل بيتي. ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) «هذا الحديث يكاد يكون متواتراً، بل هو متواتر فعلاً، إذا لوحظ مجموع رواياته من الشيعة والسنة في مختلف الطبقات، واختلاف بعض الرواة في زيادة النقل ونقيصته تقتضيه طبيعة تعدد الواقعة التي صدر فيها، ونقل بعضهم له بالمعنى، وموضع الالتقاء بين الرواة متواتر قطعاً.

وحسب الحديث لأن يكون موضع اعتماد الباحثين أن يكون من روايته كل من صحيح مسلم، وسنن الدارمي، وخصائص النسائي، وسنن أبي داود، وابن ماجه، ومسنند أحمد، ومستدرک الحاكم، وذخائر الطبري، وحلية الأولياء، وكنز العمال، وغيرهم، وأن تعنى بروايته كتب المفسرين أمثال الرازي، والشعبي، والنيسابوري، والخازن، وابن كثير، وغيرهم. بالإضافة إلى الكثير من كتب التاريخ، واللغة، والسير، والتراجم. وما أظن أن حديثاً يملك من الشهرة ما يملكه هذا الحديث، وقد أوصله ابن حجر في الصواعق المحرقة إلى نيف وعشرين صحابياً. يقول في كتابه: (ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً)، وفي غاية المرام وصلت أحاديثه من طرق السنة إلى (٣٩ حديثاً)، ومن طرق الشيعة إلى (٨٢ حديثاً)».

(الأصول العامة للفقهاء المقارن، السيد محمد تقي الحكيم، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ١٦٤).

بل في «نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار» للإمام السيد حامد حسيني الكهنوي، ذكر أن هذا الحديث: «رواه عن النبي صلى الله عليه وآله أكثر من ثلاثين صحابياً، وما لا يقل عن ثلاثمئة عالم من كبار علماء أهل السنة، في مختلف العلوم

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّمَا الطَّاعَةُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْوَلَاةِ الْأَمْرِ، وَإِنَّمَا أَمْرُ بَطَاعَةِ أَوْلَى الْأَمْرِ لِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مَطْهُرُونَ، لَا يَأْمُرُونَ بِمَعْصِيَةٍ»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«الْأَنْبِيَاءُ وَأَوْصِيَاءُهُمْ لَا ذَنْبَ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مَطْهُرُونَ»<sup>(٢)</sup>.

٣ - إِنَّ الْإِمَامَ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِلْمٌ خَاصٌّ مِنْ غَيْرِ كَسْبِ مَتَعَارِفٍ، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فاليقين الذي يصل إليه الإمام يختلف عن العلم المتعارف عندنا، كما سيُتضح من خلال بحوث هذه الدراسة.

٤ - إِنَّ الْإِمَامَةَ مُسْتَمِرَّةٌ وَدَائِمَةٌ لَا انْقِطَاعَ لَهَا، وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ:

والفنون، في جميع الأعصار والقرون، بألفاظ مختلفة وأسانيد متعددة، وفيهم أرباب الصحاح والمسانيد وأئمة الحديث والتفسير والتاريخ، فهو حديث صحيح متواتر بين المسلمين» (نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار، لحجة التاريخ والبحث والتحقيق الإمام السيد حامد حسين الكهنوي، بقلم علي الحسيني الميلاني، ج ١، ص ١٨٥).

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ج ٢٥، ص ٢٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢٥، ص ١٩٩.

(٣) سورة السجدة: ٢٤.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

والروايات التي أُيدت هذه الحقيقة فوق حدّ الإحصاء، وسنشير إلى بعضها في مطاوي البحث. ولا أدلّ من حديث الثقلين الدالّ على عدم افتراقهما حتّى يرثاه عليه الحوض، وهو يكشف عن بقاء العترة إلى جنب الكتاب إلى يوم القيامة، فلا يخلو منهما زمان من الأزمنة.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال السائل: قلت:

لأيّ شيء يُحتاج إلى النبي والإمام؟

فقال: «لبقاء العالم على صلاحه»<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«لم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة الله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة الله فيها».

قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: كيف ينتفع الناس بالحجّة

الغائب المستور؟

قال عليه السلام: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»<sup>(٣)</sup>.

وهذا الطريق ينظر إلى الأدلّة الدالّة على هذه العناصر الأساسية في الإمامة، بقطع النظر عن ارتباط ذلك بالوظائف والمسؤوليات التي يقوم بها، وما هي مقتضيات تلك المسؤوليات ولوازمها، فلا تقاس هذه المواصفات

(١) سورة الزخرف: ٢٨.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٢٣، ص ١٩.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢٣، ص ٥.

والعناصر إلى تلك الوظائف والمسؤوليات حتّى يقال بالتهافت.

فلو دلّ الدليل - مثلاً - على إثبات العصمة المطلقة للنبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله من ولادته إلى آخر عمره وفي جميع شؤونه، لا يقال: إنّنا لا نحتاج إلى ذلك، لأنّ الحجّية لأقواله وأفعاله إنّما هي بعد نبوّته ورسالته.

وبعبارة أخرى: مقتضى الرسالة والنبوّة لا يستلزم العصمة المطلقة، لأنّ هذا الطريق يبحث في نفس الدليل بقطع النظر عن المسؤوليات.

وقد نصطلح على هذا الطريق بالمنهج اللمّي، لأنّه يحاول أن يفهم الإمامة وشرائطها من خلال نفس الأدلّة التي تتكلّم عن هذه العناصر.

نعم، بعد أن تثبت العناصر التي أشرنا إليها تتجلى المسؤوليات والوظائف التي أُلقيت على عاتق الإمام، وهي المرجعية الدينية، والقيادة السياسية، والقدوة الصالحة... وغيرها.

**الطريق الثاني:** وهو الأسلوب الذي اتّبعه كثير من علماء الكلام من الفريقين، وهو الذي سُمّي في كلماتهم بالدليل العقلي لإثبات تلك العناصر، ومنطلقه أن تُحدّد المسؤوليات الأساسية التي أُلقيت على عاتق النبيّ أو الإمام، ثمّ يلتزمون بالشرائط التي لا بدّ من تحقّقها في الشخص المسؤول عن ذلك، من خلال معرفة حدود تلك الوظائف، ومدى المسؤوليات التي ينهض بها الإمام.

بيد أنّ التساؤل المطروح بهذا الشأن: أنّنا لو أردنا إثبات شرائط الإمامة من خلال المسؤوليات والوظائف، فإنّ النتيجة التي ننتهي إليها قد تختلف في بعض خطوطها عن الطريق الأوّل.



فالعصمة - مثلاً - لا تغدو من لوازم منصب القيادة والزعامة في الأمة، ولكن هذا لا يعني انتقال المنصب إلى غير المعصوم مع وجود المعصوم، بل يكون هو المتعين له، كما هو الحال في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فمع وجوده يكون هو الأحق والأولى - بالألوية التعيينية - لإدارة شؤون الناس. بعبارة أخرى: إنَّ هذا الاتجاه وإن كان لا يشترط أن يكون الإمام والقائد والوليَّ معصوماً كما تُوهَّمُ فيما سبق، إنّما يرمي إلى إثبات أن كلَّ معصوم هو الإمام والقائد والحاكم، والفارق بين الأمرين كبير.

الفارق نفسه يبرز في مجال الإبلاغ والتبيين والتوضيح. فهذه الدائرة وإن كانت تستلزم العصمة، ولكن في حدود هذه المسؤولية، وليست أكثر. ومن هنا وجدنا أنَّ جلَّ الفرق والمذاهب الإسلامية لم تلتزم بالعصمة إلا في حدود ما يقتضيه مقام إبلاغ الرسالة الإلهية، لأنَّ هذه المسؤولية لا تستلزم العصمة المطلقة في حدود هذا المنهج.

في «سَلْمُ الوُصُول» - وهو كلام جار نظيره على السنة الكثير - :

«إنَّ أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام، وأفعاله وتقريراته، إنّما تكون دليلاً من الأدلّة، ومصدراً من المصادر التشريعيّة التي تُستمدّ منها الأحكام الشرعية، إذا صدرت منه بمقتضى رسالته لسنّ القوانين، وتشريع الأحكام، أو بيانها»<sup>(١)</sup>.

وهكذا الحال في مضمار القدوة والأسوة الحسنة، فلو أراد الإنسان أن

(١) سَلْمُ الوُصُول، ص ٢٦٢، بواسطة: الأصول العامّة للفقّه المقارن، ص ٢٣٠.

يدقق في هذه المسؤولية ويلحظها بنحو تجريدي محض، لأنه لا يمكنه أن يقول إنها لا تستلزم أكثر من أن يكون الإمام معصوماً على مستوى الفعل الخارجي، لا النوايا والضمائر والعقائد والملكات، بل ولا على مستوى الفعل الخارجي إذا كان مختلياً بنفسه ولم يره أحد، فإنه لا موضوع لمسألة القدوة والأسوة.

فلو أردنا أن نصل إلى الشروط والعناصر الأساسية من خلال هذا الطريق، وهو ما نعبر عنه - إن صحّ ذلك - بالطريق الإتي الذي يتحرك من المعلول إلى العلة، لوجدنا أنّ تلك الشرائط تضيق دائرتها في بعض الأحيان، وقد تتعدم في أحيان أخرى.

الشيء المهم الذي نريد تأكّيده هو أنّ العصمة تشكّل المحور الرئيس في فهم عناصر الإمامة ومقوماتها في المنهجين، وهي الحجر الأساس فيهما. فعلى المسلك الأوّل نجد أنّ دور النصّ يبرز بسبب أنّ العصمة لا يمكن معرفتها إلاّ من خلال التنصيص عليها، وهذا ما أكّده الأخبار الكثيرة من أنّ فلسفة النصّ الأساسية إنّما تتجسّد في إثبات عصمة الشخص.

قال الإمام السجّاد عليه السلام:

«الإمام ممّا لا يكون إلاّ معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلق لتُعرف، ولذلك لا يكون إلاّ منصوصاً»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا لم تبرز نظرية النصّ لأجل إثبات قيادة الإمام وزعامته السياسية

(١) معاني الأخبار، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ (الشيخ الصدوق)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ص ١٣٢.

فقط، كما ذهب لذلك بعضٌ، بل الغرض الأساسي إثبات عصمته.

وهذا لا يعني أنّ النصوص الواردة لإثبات إمامة أهل البيت عليهم السلام كلّها منصبّة على هذه الجهة، بل إنّ كثيراً من الآيات والروايات أكّدت إمامتهم وقيادتهم السياسية للأمة بما لا ريب فيه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقول الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله في حديث غدیر خم:

«أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أُولَى النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ، وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا أُولَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك مسألة العلم الخاصّ فإنّه سيّضح من بحوث هذا الكتاب أنّ العصمة منشؤها نحو من العلم واليقين الذي يميّز به مقام النبوة والإمامة.

وهكذا على المسلك الثاني، فإنّ المرجعية الدينية والقُدوة الصالحة وغيرهما من المسؤوليات إنّما ترجع حقيقة إلى العصمة.

ومن هنا حاولنا في هذه الدراسة أن نقف على بعض العناصر الأساسية التي يتكوّن منها بحث العصمة، لأنّه بثبوتها تحلّ كثير من المسائل الأساسية في بحوث الإمامة.

(١) سورة المائدة: ٥٥.

(٢) الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان - ط ٤، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ١، ص ١١.

وفي الختام، بوّدي أن لا تفوت فرصة هذه المقدّمة دون أن أوجّه شكري  
الجزيل لأخي العزيز الحجّة السيّد محمّد القاضي، بما تجشّمه من عناء في  
تقرير هذه الأبحاث، راجياً أن يواصل الشوط الذي افتتحه بهذه الدراسة،  
فيما يزمع به من إنجاز مجموعة من البحوث العقائدية، لاسيّما مع ما تعيشه  
الأمة من تساؤلات في هذا المضمار، آملاً أن تستجيب لبعض تلك المتطلّبات  
الفكرية.

وما توفّيقني إلّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

كمال الحيدري

شهر رمضان المبارك

١٤١٧هـ

## مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين المنتجبين.

وبعد: فإنّ بحث العصمة أحد أهمّ بحوث الفكر الإسلامي، ومن المسائل التي مازالت حيّة في أبحاث علم الكلام والعقيدة الإسلامية، لما تفرضه هذه المسألة من أهميّة قصوى في تحديد مصادر التشريع من جهة، وما تمثّله من نتائج فعليّة وقائمة في حياة كلّ فرد مسلم يريد أن يتعبّد لله تعالى في اتّباع أحكامه، في مجال العمل والسلوك من جهة أخرى.

وجاء هذا البحث وهو يمثّل مجموعة محاضرات قيّمة ألقاها سماحة أستاذنا الجليل السيّد كمال الحيدري دامت بركاته، حول «آية التطهير» ودلالاتها على العصمة، مضافاً إلى إفاضاته العلمية وتوجيهاته السديدة ضمن بحوثه في علوم الفلسفة والعقيدة الإسلامية.

إن مجموعة العناصر التي تؤلف المعالم الرئيسية لبحث العصمة مسائل حيوية وهامة، تستحق أحاديث طويلة، وبعضها يستحق البحث العلمي في كتاب مستقل، ولكنني أردت الحديث عاماً شاملاً لجميعها في هذا الكتاب، وإن جاء مقتضباً في بعض الحالات.

وقد حرصت على أن يكون أسلوب الكتابة واضحاً، بعيداً عن المصطلحات العلمية، ساعياً جهد الإمكان لحل عقدة الغموض في المسائل الفلسفية أو الكلامية، جاهداً إيصال مفاهيمها إلى مختلف طبقات القراء، متناولاً في هذا البحث العصمة وأهم أبعادها على المستوى النظري والعملية.

وفد خصصتُ الفصل الأول للحديث عن الإمامة، التي نصّ القرآن الكريم بها لبعض أنبيائه وأصفياؤه، للترابط الوثيق بين البحثين، وللصلة الأكيدة فيما بينهما.

من هنا فقد انتظم البحث في فصلين رئيسيين.

### الفصل الأول: الإمامة.

### الفصل الثاني: العصمة.

مبتدئاً الفصل الأول بإمامة إبراهيم الخليل عليه السلام، مثنياً له بالبحث عن صفات الإمام من خلال الرؤية القرآنية، مختتماً الفصل بأبحاث عديدة حول الملكوت ورؤيته.

ويتلوه الفصل الثاني مبتدئاً فيه بآية التطهير، وما تفيدته من شمولية في نفي

الرجس وإثبات الطهارة لمن نزلت في حقّه، مردفاً لها بأبحاث هامة في العصمة مفهوماً ومضموناً، معقّباً لها بالحديث عن الإرادة، مختتماً ببحث روائي في شأن نزول آية التطهير.

شاكراً لأستاذي الجليل ما تحمّله معي من عناء، وما بذله من جهد، سائلاً الله سبحانه الهداية إلى صراطه، والتوفيق لما يحبّه ويرضاه، إنّه حسبنا ونعم الوكيل.

محمد القاضي

١٧ / رجب الحرام / ١٤١٧هـ

الموافق ٣٠ / ١١ / ١٩٩٦م

الفصل الأوّل

الإمامة



## تمهيد

التكامل فطرة جُبل عليها الإنسان منذ أن وُجد على ظهر هذا الكوكب، والسعادة غايته التي يسعى إليها، وهو دائب السعي وراء ما يحقق له الهدف، ويوصله إلى غايته القصوى.

ومن بديهيات الإيمان بالله واليوم الآخر أن أتمّ سعادة وأكملها للإنسان هي القرب من الله تعالى والوصول إليه - جلّت آلاؤه وعظمت نعمائه - لأنه الكمال المطلق. وهذا هو أسمى هدف خلق الإنسان من أجله؛ قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>. فهو - عزوجل - غاية ليس بعدها غاية، وهدف ليس وراءه أي هدف.

إلا أن الإنسان عاجز عن الوصول بنفسه إلى الكمال المنشود له. فهو دائم الحاجة طوال مسيرته في هذه النشأة، إلى من يأخذ بيده ليدلّه على غايته المطلوبة، وهدفه الذي يسعى إليه.

---

(١) سورة النجم: ٤٢.

(٢) سورة العلق: ٨.

من هنا نشأت الحاجة إلى الدين، لأنه السبيل الوحيد في وصول الناس إلى غايتهم، فكان من لطف الله سبحانه أن أرسل إليهم ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾<sup>(١)</sup>، هداة إلى الله سبحانه، وأدلاء على مرضاته، ولئلا يقول أحد: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾<sup>(٢)</sup>، وهكذا شرعت الرسالات تترى على الناس، كلما استكملت رسالة أهدافها أعقبها أخرى أوسع منها وأشمل لتلبية حاجات الأمم ومتطلباتها.

الملاحظ من خلال مطالعة الكتاب العزيز والسنة الشريفة أن الرسل لم يكونوا في مرتبة واحدة، بل إن لكل واحد منهم خصائصه الذاتية والرسالية. كما أنهم ليسوا صنفاً واحداً، ولا هم في مرتبة واحدة، فهناك أنبياء ورسل، والنبى غير الرسول. وقد تجتمع النبوة والرسالة في شخص واحد؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّتْ...﴾<sup>(٣)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَوْسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾<sup>(٤)</sup>.

كما تميّز أولو العزم من الرسل بـمميّزات خاصة، ربّما كان من بينها «الصبر»؛ قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٥)</sup>.

بل نجد أولي العزم أنفسهم يختلفون في مراتبهم وتتفاوت درجاتهم؛

(١) سورة النساء: ١٦٥.

(٢) سورة طه: ١٣٤.

(٣) سورة الحج: ٥٢.

(٤) سورة مريم: ٥١.

(٥) سورة الأحقاف: ٣٥.

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ...﴾<sup>(١)</sup>.. إلى غير ذلك مما أُوتوا من خصائص متفاوتة.

وكان مما اختصَّ به تعالى بعض أنبيائه ورسله الإمامة. ومن الذين نالوا هذا المقام السامي سيّدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، إذ قال له ربّه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾<sup>(٢)</sup>، واختصَّ بها أنبياء آخرون أيضاً كما قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...﴾<sup>(٣)</sup>.

وهكذا يصبح بحث «الإمامة» من أهمّ بحوث الفكر الإسلامي على المستويين العقيدي والتشريعي، وهو بحث متشعب الجوانب، متعدّد الأبعاد، نحاول تسليط الضوء على بعضها، بمقدار ما يرتبط ببحث العصمة، حيث نتناول في هذا القسم بحثها القرآني من خلال إمامة نبيّ الله إبراهيم الخليل عليه السلام التي نصّ عليها الكتاب العزيز، وما تفيده مفردات الآية المباركة من مفاهيم قرآنية تمتّ للعصمة بأوثق الصلة؛ ممهّدين له من خلال النقاط الثلاث الآتية:

### ١ - الإمامة والنبوة

### ٢ - استمرار الإمامة

### ٣ - العهد لا ينال الظالم

(١) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

(٣) سورة الأنبياء: ٧٢، ٧٣.

## الإمامة والنبوة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

من الملاحظ أنّ إبراهيم عليه السلام لم يبلغ مقام الإمامة إلاّ أواخر أيام حياته، وهذا يعني أنّ الإمامة متأخرة عن النبوة والرسالة وغيرهما من المقامات السامية التي بلغها خليل الرحمن عليه السلام، وأنّها مقام يختلف عن النبوة والرسالة. يدلّ على ذلك شواهد جمّة؛ منها:

١ - طلب الإمامة للذرية: فمن الواضح أنّ حصول إبراهيم عليه السلام على الذرية كان في كبره وشيخوخته، كما حكى عنه قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وحكى عن زوجة إبراهيم: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وتفيد أحاديث بشارته بالولد في القرآن الكريم أنّه كان نبياً مرسلًا تنزل عليه الملائكة آنذاك.

ونجد إبراهيم الخليل عليه السلام في آية الإمامة يطلبها لذريته، مع أنّه لا يصحّ مثل هذا الطلب إلاّ لمن كان لديه ذرية، أمّا من كان آيساً من الولد،

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٩.

(٣) سورة هود: ٧٢.

ويجيب مبشّريه به بالقول: «أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِي الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشَّرُونَ»<sup>(١)</sup> فيُعدّ مثل هذا الطلب منه أمراً غير صحيح؛ فلا يُعقل صدوره منه مع ما يحظى به من مقام النبوة والرسالة.

فهذا يدلنا بوضوح على أنّ مقام الإمامة إنّما انتهى إليه في أخريات أيام حياته، كما يدلنا - بالتبع - على اختلاف مقامَي النبوة والإمامة.

٢ - إنّ إبراهيم عليه السلام لم ينل مقام الإمامة السامي إلا بعد الابتلاء والامتحان كما هو صريح قوله تعالى: «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ»<sup>(٢)</sup> ومن جملة ما ابتلي به في حياته ذبح ولده، قال تعالى: «فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ \* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ»<sup>(٣)</sup>.

ومن الواضح أنّ حادثة الذبح كانت أيام شيخوخته وكبره عليه السلام أي بعد نبوته، وهذا ممّا يعني أنّ النبوة كانت قبل الإمامة، وأنهما مقامان مختلفان.

٣ - الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث مطوّل يقول فيه: «وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام، حتّى قال الله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ فقال الله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الحجر: ٥٤.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

(٣) سورة الصافات: ١٠٣ - ١٠٦.

(٤) الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٤.

٤ - ما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أيضاً أنه قال:  
 «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا، وَإِنَّ  
 اللَّهَ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ  
 يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَامًا، فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ  
 الْأَشْيَاءَ قَالَ: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا»، قَالَ: فَمَنْ عَظَمَهَا فِي عَيْنِ  
 إِبْرَاهِيمَ «قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي. قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»، قَالَ: لَا يَكُونُ  
 السَّفِيهَ إِمَامَ التَّقِيِّ»<sup>(١)</sup>.

من خلال هذه الشواهد يتضح لنا أن الإمامة مقام يختلف عن مقام  
 النبوة والرسالة، بل هي أسمى منهما وأرفع، وأن إبراهيم عليه السلام  
 بلغها أيام شيخوخته، بعد أن خرج من جميع ما ابتلاه الله تعالى به صابراً  
 مسلماً<sup>(٢)</sup>.

### استمرار الإمامة

من الملاحظ أيضاً أن إمامة إبراهيم عليه السلام - وبغض النظر عن  
 جميع معانيها - لم تتوقف عنده، بل استمرت في عقبه وذريته من بعده،  
 وهي باقية إلى يوم القيامة، وذلك من خلال عدة دلائل:

**الأول:** دعاؤه عليه السلام عند منحه هذا المقام، وطلبه لذريته، فإن  
 جواب الحق سبحانه له لم يكن بنفي ذلك نفياً قاطعاً، بل بأنه: (عهد)،  
 وعهد الله تعالى لا ينال الظالمين.

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٥.

(٢) انظر: تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٦٧.

كما لم يخصَّص (هذا المقام) لا في السؤال ولا في جوابه بالذرية الصليبين وحدهم بل هو شامل لجميع ذريته، شريطة أن لا يكون الفرد ظالماً لنفسه.

وبالفعل، فقد جعل الله تعالى من ذريته أئمة؛ قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَهْدُونَ يَا أَمْرًا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ...﴾<sup>(١)</sup>.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ \* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِين \* وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب جمع من المفسرين إلى أن الكلمة الباقية في عقب إبراهيم عليه السلام هي كلمة التوحيد، إذ براءته مما يعبد قومه، واتجاهه نحو الذي فطره هو عين معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يعني أن يرجع المشرك منهم بدعوة الموحد إلى الله سبحانه<sup>(٤)</sup>.

إذن فقد جعل الله تعالى التوحيد باقياً في ذرية إبراهيم عليه السلام

(١) سورة الأنبياء: ٧٢ - ٧٣.

(٢) سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٨.

(٣) التبيان، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج ٩، ص ١٩٣؛ الكشاف، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٠٧هـ، ج ٤، ص ٢٤٦؛ تفسير الرازي، ج ٢٧، ص ٢٠٨؛ الميزان، مصدر سابق، ج ١٨، ص ٩٦.

(٤) المصدر نفسه.

وعقبه، ولا تخلو ذريته من الموحدين.

وسياتي قريباً بيان أن جميع المعاصي نوع بل مرتبة من مراتب الشرك بالله تعالى. فالتوحيد الذي جعله الله تعالى باقياً في عقب إبراهيم لا بد أن يكون التوحيد الحقيقي الذي لا يشوبه شيء من الشرك أبداً، ليستحق الإشادة به في القرآن الكريم، وإلا أفيمكن أن يريد به التوحيد الذي وصفه الله سبحانه بقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup>!

أضف إلى ذلك مقابله بتوحيد إبراهيم عليه السلام، وهو بلا شك توحيد حقيقي، لم يخالطه أدنى شرك بالله العظيم، وهذا مما يعني أن الباقي في الأعقاب والذرية من نوع ما كان يتمتع به الخليل عليه السلام.

لكن ترى من كان يتحلّى بمثل هذا التوحيد الحقيقي علماً وعملاً، ومن كان يحمل بين جوانحه ما يحمله شيخ الموحدين، الذي ﴿قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسَلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>! لاشك أنه الذي ناله عهد الله سبحانه من ذرية الخليل عليه السلام، حينما ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

من هنا يتضح جلياً بقاء الإمامة، التي جعلها الله تعالى لخليله إبراهيم، ببقاء تلكم الكلمة المباركة في عقبه وذريته، وإلى الأبد.

الثالث: قوله تعالى - حكاية عن دعاء إبراهيم - : ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة يوسف: ١٠٦.

(٢) سورة البقرة: ١٣١.

(٣) سورة الشعراء: ٨٤.



وهذه الآية المباركة بمعنى الآية المتقدمة، فقد ذكروا في تفسيرها أنها دعاء في أن يبعث الله تعالى في الآخرين من يقوم بدعوته، ويدعو الناس إلى ملته وهي التوحيد<sup>(١)</sup>؛ «قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»<sup>(٢)</sup>.

واستجاب الله تعالى دعاء نبيه؛ فقال - عز من قائل - : «فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا \* وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا»<sup>(٣)</sup>.

### الأدلة النقلية

ومن ثم جاءت النصوص الكثيرة فيما يتعلق ببقاء الإمامة في عقب إبراهيم عليه السلام، مفسرة للآيات المتقدمة في ذلك؛ منها:

١- صحيح أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أنه قال:

«فينا نزلت هذه ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾، والإمامة في عقب الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام إلى يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>.

(١) التبيان، مصدر سابق، ج ٨، ص ٣٤؛ تفسير الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ج ٢٤، ص ١٤٧؛ تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ١٥، ص ٢٨٥.

(٢) سورة آل عمران: ٩٥.

(٣) سورة مريم: ٤٩ - ٥٠.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٥هـ، ص ٣٢٣.

٢ - الحديث المعتبر عن هشام بن سالم، قال:

قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: الحسن أفضل أم الحسين؟

فقال: «الحسن أفضل من الحسين».

قلت: فكيف صارت الإمامة من بعد الحسين في عقبه دون ولد الحسن؟

فقال: «إنَّ الله تبارك وتعالى أحبُّ أن يجعل سنَّة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين، ألا ترى أنَّهما كانا شريكين في النبوة كما كان الحسن والحسين شريكين في الإمامة، وأنَّ الله عزَّوجلَّ جعل النبوة في ولد هارون ولم يجعلها في ولد موسى، وإن كان موسى أفضل من هارون؟!»

قلت: فهل يكون إمامان في وقت؟

قال: «لا إلاَّ أن يكون أحدهما صامتاً مأموماً لصاحبه، والآخر ناطقاً إماماً لصاحبه، وأمّا أن يكونا إمامين ناطقين في وقت واحد فلا».

قلت: فهل تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام؟

قال: «لا إمّا هي جارية في عقب الحسين عليه السلام، كما قال الله عزَّوجلَّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾، ثمَّ هي جارية في الأعقاب، وأعقاب الأعقاب، إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٢٥، ص ٢٤٩.

٣ - حديث المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، في حديث، قال المفضل:

فقلت له: يا بن رسول الله فأخبرني عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾؟

قال: «يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

٤ - حديث أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّوجلّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾:

«إنّها في الحسين عليه السلام، تنتقل من ولد الى ولد، ولا ترجع إلى أخ ولا عم»<sup>(٢)</sup>.

٥ - عن أبي بصير أيضاً قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾؟

قال: «هي الإمامة جعلها الله عزّوجلّ في عقب الحسين عليه السلام باقية إلى يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ (الشيخ الصدوق)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ص ٣٠٤؛ بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ١٢، ص ٦٦.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، مصدر سابق، ص ٢٣١؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٥٣

(٣) معاني الأخبار، ابن بابويه القميّ (الشيخ الصدوق)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ص ١٣٢؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٦٠.

٦ - عن أبي هريرة، قال:

سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلَهَا  
كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾؟

قال: «جعل الإمامة في عقب الحسين، يخرج من صلبه تسعة من  
الأئمة، ومنهم مهدي هذه الأمة...»<sup>(١)</sup>.

وثمة أحاديث كثيرة غيرها، لا يسعنا استقصاؤها في هذه العجالة.

صفوة القول: إن الإمامة لم تقف عند إبراهيم عليه السلام، بل هي  
جارية مستمرة في عقبه وذريته إلى يوم القيامة، وذلك بصريح الآيات  
والروايات المتقدمة.

### العهد لا ينال الظالم

أوضحت آية الإمامة صفة الذين لا ينالهم العهد الإلهي من ذرية  
إبراهيم عليه السلام، وهذه الصفة هي «الظلم». ومن خلال ملاحظة سريعة  
للكتاب العزيز نجده قد وصف ذرية إبراهيم بأوصاف عديدة:

فهو يصف إبراهيم عليه السلام بأنه من المحسنين، وذريته بأنّ منهم  
المحسن والظالم؛ قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ \* كَذَلِكَ نَجْزِي  
الْمُحْسِنِينَ... وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ  
لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>. فذرية إبراهيم عليه السلام منقسمة الى: الظالم والمحسن.

(١) كفاية الأثر، أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز، مطبعة الخيام، قم، إيران،  
١٤٠١هـ، ص ٨٦.

(٢) سورة الصافات: ١٠٩ - ١١٣.

كما وصفهم سبحانه في موضع آخر بأن منهم المهتدي والفاسق؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوءَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

والفاسق هو الظالم؛ لقوله سبحانه: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يُفْسِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ووصف القرآن الكريم بعض تلك الذرية بالصالحين؛ كما في قوله تعالى - حكاية عن إبراهيم - : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. فاستجيب دعاؤه بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٤)</sup>. وهكذا تجد الأوصاف الكثيرة لذرية إبراهيم عليه السلام.

ولم تمنع آية الإمامة أحداً من تناول العهد له إلا الظالم، وعليه فلا بد لنا من الوقوف عند آيات الذكر الحكيم، لتعرف منها على المفهوم القرآني للظلم والظالم، ونكون من خلال ذلك أيضاً قد تعرفنا على الذين نالوا الإمامة التي جعلها الله تعالى لخليله عليه السلام، ونالهم العهد الإلهي.

## مفهوم الظلم

الظلم من المفاهيم المتداولة بين الناس في حياتهم اليومية، وفي جميع

(١) سورة الحديد: ٢٦.

(٢) سورة البقرة: ٥٩.

(٣) سورة الصافات: ١٠٠.

(٤) سورة الصافات: ١١٢.

المجالات. فكلّ اعتداء على الآخرين، وكلّ تجاوز على حقوق الناس فهو من الظلم، ويسمى المعتدي والمتجاوز ظالماً. ولم يقفوا في ذلك عند حقوق الناس وظلمهم، بل غُدّ مخالفة الإنسان للقوانين العامّة التي تضمن له سعادته، كالقوانين الصحيّة والاجتماعية والحكوميّة وأشباهاها من الظلم للنفس أيضاً.

فالظلم حقيقة يفهمها ويدركها كلّ إنسان، ولا يرضاها لنفسه ولا لغيره من أبناء جنسه، بل حتّى للبهائم والحيوانات.

ولم يكن القرآن الكريم ليأتي بمعنى جديد، أو اصطلاح خاصّ في الظلم، بل إنّ استقراء الآيات الكريمة يُظهر أنّها لم تستعمل الظلم إلاّ في المعنى المألوف عند الناس، الذي يعرفه كلّ أحد.

فكما أنّ الخروج عن طاعة قانون السلطة الحاكمة يعتبر ظلماً للنفس، فكذا الخروج عن طاعة القانون الإلهي ظلم لها.

وكما أنّ للظلم مراتب متفاوتة عند الناس، فكذلك هو في القرآن الكريم، ولذا كان من عظيم الظلم الشرك بالله سبحانه، قال تعالى في وصيّة لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ولهذا نجد القرآن الكريم قد دأب على تسمية المشركين والكافرين بـ«الظالمين»؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ...﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) سورة البقرة: ٥٤.

وقال سبحانه: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال عز اسمه: ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾<sup>(٢)</sup>...

وهكذا كثير من الآيات المباركة، تسمي المشرك والكافر ظالماً. ومن وصية لقمان والتعبير فيها عن الشرك بالله تعالى بأنه (ظلمٌ عظيمٌ)، نعرف أنّ للظلم مراتب عديدة أعظمها الشرك، ولا يختصّ الظلم به، كما ورد التعبير القرآني عن كثير من المعاصي بالظلم. وفيما يلي أمثلة من آيات الذكر الحكيم التي ورد التعبير فيها عن المعصية بالظلم:

١- افتراء الكذب على الله تعالى؛ قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...﴾<sup>(٣)</sup>.

٢- الادّعاء الكاذب؛ قال تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ... إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

٣- قتل النفس المحترمة بغير الحق؛ قال تعالى في قصة ابني آدم: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة البقرة: ٢٥٤.

(٢) سورة المائدة: ٧٢.

(٣) سورة الأنعام: ٩٣.

(٤) سورة هود: ٣١.

(٥) سورة المائدة: ٢٩.

٤- الزنا؛ قال تعالى في قصة يوسف: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

٥- الحكم بغير ما أنزل الله؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٦- كتمان الشهادة؛ لقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ...﴾<sup>(٣)</sup>.

٧- الاعتداء على الآخرين؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ... وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكثير غيرها مما يُعدّ بعض المعاصي ظلماً للعباد أو للنفس، ومنها نستكشف بأنّ الظلم لا يختصّ بالشرك بالله سبحانه وتعالى.

وإنّما صارت معصية الله تعالى ظلماً، لأنّ ظلم النفس هو الخروج عن القانون الذي يضمن السعادة والسلامة لها، وأيّ قانون هو أضمن لسعادة الإنسان من القوانين الإلهية؟! وأيّ سلطة أحقّ بالاتباع من الله تعالى؟! فمن البديهي أن يكون الخروج عنها ظلماً للنفس، وجحودها خروجاً عن الطاعة.

بناءً على هذا، فالظلم لا يختصّ بالشرك، بل هو ذو مراتب متعدّدة

(١) سورة يوسف: ٢٣.

(٢) سورة المائدة: ٤٥.

(٣) سورة البقرة: ١٤٠.

(٤) سورة البقرة ٢٣١.



كما أشرنا، ومن ثمّ فقد تتفاوت نسبه بتفاوت ما يتعلّق به. فكلمًا تعلّق بعظيم عظم، حتّى يكون الشرك بالله تعالى أعظم مراتب الظلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

### المعصية مرتبة من الشرك

إنّ جميع المعاصي تعود إلى الشرك؛ لأنّ الشرك إشراك غير الله سبحانه في ما هو له، سواء في الطاعة والامتاعة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ...﴾<sup>(٢)</sup>، وقال عزّ اسمه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾<sup>(٣)</sup>، أم في الفعل والتدبير، كما في قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَثَقَلَتِ دَعَا اللَّهَ رَبِّهَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ \* فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالشرك لا ينحصر بعبادة الأوثان مثلاً، بل إنّ طاعة كلّ أحد واتباعه اتّباعاً غير مرضيٍّ لله سبحانه هو من الشرك، كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup>.

وغير خفيٍّ أنّ اليهود والنصارى لم يعبدوا أحبارهم ورهبانهم، إلاّ أنّهم أطاعوهم واتبعوهم في ما لا يرضى الله تعالى به.

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) سورة يس: ٦٠.

(٣) سورة الجاثية: ٢٣.

(٤) سورة الأعراف: ١٩٠.

(٥) سورة التوبة: ٣١.

ولولا إغراءات الشيطان، وهوى النفس، والجهل وأمثالها لما أقدم الإنسان على معصية ربّه في ما أمره به أو نهاه عنه، ولما أطاع الشيطان في ما زيّنه وسوّله له، والطاعة عبادة كما تقدّم.

ومن ثمّ فالمعصية مرتبة من مراتب الشرك، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فإنّ حقيقة الإيمان بالله هو تعلّق القلب به بالخضوع التام، وحقيقة الشرك تعلّقه بغيره تعالى ممّن لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً. وحيث كان لكلّ واحد من الإيمان والشرك مراتب متفاوتة اجتمعا معاً عند كثير من الناس، فترى بعضهم يخالف فعله معتقداته، وهذا ما صرّح به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

نعم، بعض مراتب الشرك واضحة جليّة، وبعضها ليس كذلك وهو المسمّى بالشرك الخفيّ، كما قال الإمام أبو محمّد العسكريّ عليه السلام:

«إنّ الإشراك في الناس أخفى من ديبب الذرّ على الصفا في الليلة الظلماء، ومن ديبب الذرّ على المسح الأسود»<sup>(٣)</sup>.

وبهذا المعنى وردت نصوص أخرى أيضاً عن أهل البيت عليهم السلام:

● عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ قال:

(١) سورة يوسف: ١٠٦.

(٢) سورة الجاثية: ٢٣.

(٣) الغيبة، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، إيران، ص ٢٠٧؛ بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٦٦، ص ٣٥٩.

«شرك طاعة، ليس بشرك عبادة، والمعاصي التي يرتكبون فهي شرك طاعة، أطاعوا فيها الشيطان فأشركوا بالله في الطاعة لغيره، وليس بإشراك عبادة، أن يعبدوا غير الله»<sup>(١)</sup>.

● عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«يقول الله عزّوجلّ: أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عمل عمله، لم أقبله، إلا ما كان لي خالصاً»<sup>(٢)</sup>.

● عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>، فقال:

«أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم ولكن أحلّوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لا يشعرون»<sup>(٤)</sup>.

وهكذا كثير من نصوص أهل البيت عليهم السلام، تجعل كل معصية لله سبحانه من عبادة الشيطان وهي مرتبة من مراتب الشرك بالله العظيم.

وهكذا نخلص إلى أنّ كل معصية لله سبحانه، وكلّ خروج عن طاعته، وكلّ متابعة للهوى في ما لا يرضي الله تعالى فهو ظلم للنفس - لأنّه من مراتب الشرك وهو ظلم عظيم - . وبهذا نكون قد عرفنا «الظالم» الذي لا يناله عهد الله سبحانه بأنّه الخارج عن عزّ الطاعة إلى ذلّ المعصية، وقد قال تعالى: (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)﴿

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٩، ص ٢١٤.

(٢) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٣) سورة التوبة: ٣١.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٥٣.

وهذا المعنى هو الذي فهمه المفسرون أيضاً؛ قال الزمخشري في الكشاف:  
 «أي من كان ظالماً من ذريتك لا يناله استخلافه وعهدي  
 إليه بالإمامة، وإنما ينال من كان عادلاً بريئاً من الظلم.  
 وقالوا: في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة».  
 إلى أن يقول:

«وكان أبو حنيفة رحمه الله يفتي سرّاً بوجوب نصره زيد  
 بن عليّ رضوان الله عليهما، وحمل المال إليه، والخروج  
 معه على اللصّ المتغلب المتسمي بالإمام والخليفة،  
 كالدوانيقي وأشباهه. وقالت له امرأة: أشرت على ابني  
 بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى  
 قُتل! فقال ليتني مكان ابنك.

وكان يقول في المنصور وأشياعه: لو أرادوا بناء مسجد  
 وأرادوني على عدّ أجره لما فعلت.

وعن ابن عيينة: لا يكون الظالم إماماً قطّ. وكيف يجوز  
 نصب الظالم للإمامة، والإمام إنما هو لكفّ الظلمة؟! فإذا  
 نصب من كان ظالماً في نفسه فقد جاء المثل السائر: من  
 استرعى الذئب ظلم»<sup>(١)</sup>.

وكأنّه بهذا يشير إلى ما أشار إليه الطباطبائي في «الميزان»، حيث يقول:  
 «ثم إنّ هذا المعنى - أعني الإمامة - على شرافته وعظمته لا يقوم إلاّ بمن  
 كان سعيد الذات بنفسه، إذ الذي ربّما تلبّس بالظلم والشقاء، فإنما سعاده  
 بهداية من غيره، وقد قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ

(١) الكشاف، مصدر سابق، ج ١، ص ١٨٤.

أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ (يونس: ٣٥). وقد قوبل في الآية بين الهادي إلى الحق وبين غير المهتدي إلا بغيره، أعني المهتدي بغيره، وهذه المقابلة تقتضي أن يكون الهادي إلى الحق مهتدياً بنفسه، وأن المهتدي بغيره لا يكون هادياً إلى الحق البتة»<sup>(١)</sup>.

وقال الفخر الرازي عند تفسيره الآية المباركة:

«المسألة السادسة: الآية تدل على عصمة الأنبياء من وجهين:

الأول: أنه قد ثبت أن المراد من هذا العهد «الإمامة»، ولاشك أن كل نبي إمام، فإن الإمام هو الذي يؤتم به، والنبي أولى الناس، وإذا دلت الآية على أن الإمام لا يكون فاسقاً، فبأن تدل على أن الرسول لا يجوز أن يكون فاسقاً وفاعلاً للذنب والمعصية أولى.

الثاني: قال: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»، فهذا العهد إن كان هو النبوة، وجب أن تكون لا ينالها أحد من الظالمين، وإن كان هو الإمامة، فكذلك لأن كل نبي لا بد وأن يكون إماماً يؤتم به، وكل فاسق ظالم لنفسه، فوجب ألا تحصل النبوة لأحد من الفاسقين. والله أعلم»<sup>(٢)</sup>.

وقال في موضع آخر - بعد حديث له - :

«على أنا بيّننا أن المراد من الإمامة في هذه الآية: النبوة، فمن كفر بالله طرفة عين فإنه لا يصلح للنبوة»<sup>(٣)</sup>.

وفي موضع ثالث يقول:

«فإن قيل: ظاهر الآية يقتضي انتفاء كونهم ظالمين ظاهراً

(١) الميزان، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٧٣.

(٢) تفسير الفخر الرازي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٤٣.

(٣) تفسير الفخر الرازي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٤٢.

وباطناً، ولا يصحّ ذلك في الأئمة والقضاة.

قلنا: أمّا الشيعة فيستدلّون بهذه الآية على صحّة قولهم في وجوب العصمة ظاهراً وباطناً، وأمّا نحن فنقول: مقتضى الآية ذلك، إلّا أنّنا تركنا اعتبار الباطن فتبقى العدالة الظاهرة معتبرة<sup>(١)</sup>.

ولكن من يسأل الرازي - وهو المفسّر لكتاب الله تعالى المتضلع في هذا الفنّ - : لماذا ترك ما دلّت عليه هذه الآية من اعتبار العدالة ظاهراً وباطناً، واكتفى بالعدالة الظاهرية؟! «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»<sup>(٢)</sup> مع اعترافه بدلالاتها على ذلك. ولكن.. «سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ»<sup>(٣)</sup>.

والخلاصة: إنّ ما تقدّم يدلّ بوضوح على عدم صلاحية الظالم - وهو المرتكب لأيّ معصية من معاصي الله تعالى - لعهد الله عزّ وجلّ.

(١) تفسير الفخر الرازي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٤٢.

(٢) سورة البقرة: ١١١.

(٣) سورة الزخرف: ١٩.

## الإمام في القرآن الكريم

بعد وضوح الصفة السلبية المانعة من بلوغ الإنسان مرتبة الإمامة، لابدّ من بحث الصفة الإيجابية لها، أعني الصفات التي يلزم أن يتحلّى بها الفرد عند بلوغه تلك المرتبة، وهي مرتبة تسلّم عهد الله سبحانه وتعالى، كما تحلّى بها نبيّ الله وخليله إبراهيم عليه السلام.

صريح آية الإمامة أنّ جعل إبراهيم عليه السلام إماماً لم يكن إلاّ بعد إتمامه الكلمات التي ابتلي بها، وعليه فلا بدّ لكلّ من يُراد له أن يكون إماماً للناس من قطع الشوط الذي قطعه سيّدنا إبراهيم عليه السلام حتّى بلغ تلك المرتبة، وكذلك إتمام الكلمات كما أتمّها إبراهيم عليه السلام.

لكن تلك الكلمات لم توضحها الآية الشريفة نفسها، ليتسنى لنا ملاحظتها في الآخرين عند الحكم لهم بتسلّم منصب الإمامة.

ويمكن استيضاح هذه الحقيقة من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فقد أوضحت هذه الآية الشريفة أنّ الإمامة لابدّ فيها من عنصرين مرتبطين ببعضهما في شخصيّة الإنسان، هما:

---

(١) سورة السجدة: ٢٤.

١ - البعد العملي، وهو الصبر.

٢ - البعد العلمي، وهو اليقين.

فينبغي للإمام أن يكون مزوداً بهذين العاملين، فهو على مستوى العمل متوشح بـ«الصبر»، وعلى مستوى العلم متحلّ بـ«اليقين».

## الصبر

أمّا البعد الأوّل فقد عدّه القرآن من صفات الأنبياء عليهم السلام، فوصف الكتاب العزيز ذريّة إبراهيم بأنّ منهم المهتدي، فقال عزّ من قائل: ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ﴾<sup>(١)</sup> ووصف الصابرين بالمهتدين في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال عن تلك الذريّة أيضاً: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾<sup>(٣)</sup>، ثمّ وصف الصابرين بالمحسنين، وفي أكثر من موقع؛ قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>. وقال عزّ من قائل: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>. وقال عزّ اسمه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الحديد: ٢٦.

(٢) سورة البقرة: ١٥٥ - ١٥٧.

(٣) سورة الصافات: ١١٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٥) سورة هود: ١١٥.

(٦) سورة يوسف: ٩٠.



وقد ندب القرآن الكريم إلى الصبر في موارد كثيرة، ومدح الصابرين، وأجزل لهم المثوبة؛ قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال يحكي حال أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾<sup>(٢)</sup>.  
وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال عز اسمه: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>...

وهكذا في كثير من الآيات الكريمة المادحة للصبر والصابرين.

كما نجد أهمية الصبر بوضوح في نصوص السنة الشريفة:

١ - الصحيح عن أبي الحسن الرضا، عن أبيه عليهما السلام قال:

رفع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قوم في بعض غزواته، فقال:

مَنْ الْقَوْمُ؟

فقالوا: مؤمنون، يا رسول الله.

قال: وما بلغ من إيمانكم؟

قالوا: الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بالقضاء.

(١) سورة الأحقاف: ٣٥.

(٢) سورة ص: ٤٤.

(٣) سورة البقرة: ١٥٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٤٦.

(٥) سورة الأنفال: ٤٦.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«حلماء، علماء، كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء، إن كنتم كما تصفون فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واثقوا الله الذي إليه ترجعون»<sup>(١)</sup>.

٢ - الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال:

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الإيمان فقال:  
«إن الله عزّوجلّ جعل الإيمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهد.  
فالصبر من ذلك على أربع شعب: على الشوق، والإشفاق، والزهد، والترقّب.

فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرّمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات...»<sup>(٢)</sup>.

٣ - الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس، فيأتون باب الجنة فيضربونه، فيقال لهم: مَنْ أَنْتُمْ؟  
فيقولون: نحن أهل الصبر.  
فيقال لهم: على ما صبرتم؟

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٠.

فيقولون كُنَّا نَصْبِرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَنَصْبِرُ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: صَدَقُوا ، أَدْخَلُوهُمْ الْجَنَّةَ . وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: «إِنَّمَا يُؤَفِّقِي الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»<sup>(١)</sup>.

٤ - الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»<sup>(٢)</sup>.

٥ - الصحيح عن سماعة بن مهران قال:

قال لي أبو الحسن عليه السلام: ما حبسك عن الحج؟

قال: قلت: جعلت فداك، وقع عليّ دين كثير، وذهب مالي، وديني الذي قد لزمني هو أعظم من ذهب مالي، فلولا أنّ رجلاً من أصحابنا أخرجني ما قدرت أن أخرج.

فقال لي: «إن تصبر تغتبط، وإلاّ تصبر ينقذ الله مقاديره، راضياً كنت أم كارهاً»<sup>(٣)</sup>.

٦ - الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قال الله عزّوجلّ:

«إِنِّي جَعَلْتُ الدُّنْيَا بَيْنَ عِبَادِي قَرْضًا ، فَمَنْ أَقْرَضَنِي مِنْهَا قَرْضًا أُعْطِيْتَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ ، وَمَا شِئْتَ مِنْ ذَلِكَ ، وَمَنْ

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٥.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٨٩.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٩٠.

لم يقرضني منها قرضاً فأخذت منه شيئاً قسراً فصبراً، أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهن ملائكتي لرضوا بها مني».

قال: ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

فهذه واحدة من ثلاث خصال، ﴿وَرَحْمَةً﴾ اثنتان، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ ثلاث.

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «هذا لمن أخذ الله منه شيئاً قسراً»<sup>(١)</sup>. من هنا فقد عدّ علماء الأخلاق الصبر أساس جميع الفضائل النفسية، وأصلاً لجميع مكارم الأخلاق، وسيُتضح من خلال البحث أنّ الصبر وريث اليقين، بل اليقين يورث ما هو أعلى من الصبر بمراتب، وهو الرضا والتسليم لله سبحانه وتعالى؛ قال تعالى واصفاً خليته إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

## اليقين

أمّا اليقين فهو «العلم الذي لا يداخله شكّ وريب»<sup>(٣)</sup>. ويبدو من خلال الآيات الكريمة أنّ هذا اليقين لا يحصل إلاّ بمشاهدة العوالم الأخرى غير المادية؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٩٢.

(٢) سورة البقرة: ١٣١.

(٣) الميزان، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٣٥١.

وَلْيَكُونَنَّ مِنَ الْمُوقِنِينَ<sup>(١)</sup>.

فاليقين الذي حظي به سيّدنا إبراهيم عليه السلام عند مشاهدته ملكوت السماوات والأرض، ليس هو يقيناً معتمداً على البرهان والمنطق النظري، بل هو يقين حصل له من مشاهدة الحقائق الملكوتية نفسها.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى بحثين:

الأوّل: معنى الملكوت.

الثاني: رؤية الملكوت تورث اليقين.

### معنى الملكوت

الملكوت في اللغة هو (المُلك): مصدر زيدت فيه الواو والتاء، مثل الطاغوت والجبروت، وهذه الزيادة فيه توجب تأكيداً في معناه، أو كما يقولون: زيادة مبني تفيد زيادة معنى.

قال علماء العربية:

«الملكوت بمنزلة الملك، غير أنّ هذه اللفظة أبلغ من الملك، لأنّ الواو والتاء يزدان للمبالغة»<sup>(٢)</sup>.

وقد استعمل في القرآن الكريم بنفس المعنى اللغوي من غير تفاوت، كسائر الألفاظ القرآنية، فلم يكن القرآن الكريم لبيّتدع معاني خاصة للألفاظ التي يستعملها.

---

(١) سورة الأنعام: ٧٥.

(٢) التبيان، ج ٤، ص ١٧٦، ونقله عن الزجاج والفراء والبلخي والجبائي والطبري.

نعم، غاية الاختلاف بينهما هو في المصاديق المنطبقة على تلكم المعاني التي استعملت الألفاظ فيها. فإنّ الملك والملكوت هما نوع من السلطنة والاختصاص بالأشياء يوجب إمكانية التصرف فيها وصحته.

والملك قد يكون اعتبارياً تارة، كمُلك الإنسان لما تحت يده من مال وعقار وغيرهما. وهذه الملكية قابلة للنقل والانتقال والهبة والتفويض، بل إمكانية غضبها من مالكةا الشرعي أيضاً.

وقد يكون حقيقياً تارة أخرى، وهو عين الملك بالمعنى السابق، ولكن يختلف عنه بعدم إمكانية نقله من مالكة إلى آخر، ولا تفويض غيره فيه، ومن هنا كان حقيقياً، ويختلف عن سابقه بالمصداق فقط.

ومثاله الواضح ملك الإنسان لقواه وأفعاله، فكل واحد منا يملك نفسه، بمعنى أنّه هو الحاكم المسلط المتصرف في سمعه، وبصره، وسائر قواه، وأفعاله، فسمعه وبصره إنّما يعملان بإرادة منه، وتبعاً لحكمه وسلطانه عليهما، لا بتبع إرادة غيره من الناس.

وهذا النحو من الملك يجده كل إنسان في نفسه، ولا يشك فيه أحد، وهو ملك لا يقبل الانتقال، ولا الهبة، ولا الغصب، ولا تفويض الآخرين فيه. الإنسان يملك قواه وأفعال نفسه، وهي جميعاً تبعات وجوده، قائمة به، غير مستقلة ولا مستغنية عنه. فالعين إنّما تبصر بإذن من الإنسان الذي يبصر بها، وكذا الأذن إنّما تسمع بإذن منه، ولولا الإنسان لم يكن ثمّة سمع ولا استماع، ولا بصر ولا إبصار.

ولاشك أنّ هذا المعنى من الملك يمكن أن ينسب الى الله سبحانه، أعني ذلك الملك الحقيقي التكويني، فهو تعالى المالك الحقيقي لكل شيء، وإليه يرجع تكوين الأشياء وتدبيرها، فلا غنى للمخلوق عن الخالق عزّ

اسمه، لا في نفسه، ولا في توابعه من قوى وأفعال، ولا استقلال له لا منفرداً، ولا مجتمعاً مع سائر أجزاء الكون المرتبطة، والممتزج بعضها ببعض امتزاجاً يكون هذا النظام العام المشاهد<sup>(١)</sup>.

من هنا يتضح الجمع بين ما يثبته القرآن الكريم للأشياء من نظام السببية وقانون العلية والمعلولية، وبين ما يثبته من استناد الأمر كله لله تعالى. فهو يعني أنّ الأسباب غير مستقلة في التأثير، والمؤثر الحقيقي فيها - وبتمام معنى الكلمة - ليس إلا الله عزّ سلطانه؛ قال تعالى:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٦)</sup>...

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواضحة الدلالة على أنّ كلّ شيء مملوك محض لله سبحانه، لا يشاركه فيه أحد، وله سبحانه أن يتصرف في الأشياء كيف يشاء، ويملك غيره التصرف فيها من غير استقلال له بل مجرد

(١) الميزان، مصدر سابق، ج ٧، ص ١٧٠، بتصرف وتوضيح.

(٢) سورة الأعراف: ٥٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٤.

(٤) سورة الحديد: ٥.

(٥) سورة النساء: ٧٨.

(٦) سورة الملك: ١.

إذن لا يستقلّ به المأذون له دون أن يعتمد على إذن الأذن التكويني<sup>(١)</sup>.  
ولذا جاء قوله تعالى: «إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ \* لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ \* وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»<sup>(٢)</sup>.

حيث دلّت هذه الآية ونظائرها على أنّ الأمر الذي للإنسان أن يريده،  
وبيده زمام اختياره، لا يتحقّق موجوداً إلاّ أن يشاء الله ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقد ورد تأكيد هذا المعنى في نصوص أهل البيت عليهم السلام أيضاً.

١ - الحديث المرويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام في معنى  
الاستطاعة، حيث قال لعباية بن ربعي:  
«تملكها من دون الله أو مع الله؟»  
فسكت عباية بن ربعي، فقال له: قل يا عباية.  
قال: وما أقول يا أمير المؤمنين؟!  
إلى أن يقول..

«تقول: تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن ملكها كان ذلك  
من عطائه، وإن سلبها كان ذلك من بلائه، وهو المالك لما ملكك،  
والمالك لما عليه أقدرك. أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حيث  
يقولون: لا حول ولا قوة إلاّ بالله...»<sup>(٤)</sup>

(١) الميزان، مصدر سابق، ج ١، ص ٧٨، بتصرف وتوضيح.

(٢) سورة التكوير: ٢٧ - ٢٩.

(٣) الميزان، ج ١، ص ٨١.

(٤) الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي، منشورات النعمان،  
النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ج ٢، ص ٢٥٥.



٢ - الصحيح عن رجل من أهل البصرة سأل الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن الاستطاعة، فقال عليه السلام:

«إنَّ الله خلق خلقاً فجعل فيهم آلة الاستطاعة، ثمَّ لم يفوض إليهم، فهم مستطيعون للفعل وقت الفعل مع الفعل إذا فعلوا ذلك الفعل، فإذا لم يفعلوه في ملكه لم يكونوا مستطيعين أن يفعلوا فعلاً لم يفعلوه، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أعزَّ من أن يضادّه في ملكه أحد...»<sup>(١)</sup>.

فهذه الأحاديث وكثير غيرها تؤكد هذه الحقيقة، وأنَّ الملك الحقيقي لله سبحانه، وأنَّ ليس لأحد الاستقلال في الفعل والتأثير، ولا يمكن أن يتحقَّق الشيء موجوداً إلاَّ بإذنه سبحانه وتعالى.

ثمَّ إنَّ القرآن الكريم يعلِّل الملك بالخلق؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني أنَّ كون الأشياء منه، وأنَّ انتساب وجودها وواقعيتها إليه تعالى هو الملاك في تحقُّق ملكه، وهو الملك الذي لا يشاركه فيه غيره، ولا يزول عنه إلى غيره، ولا يقبل نقلاً ولا تفويضاً يغني عنه تعالى، ولا يمكن أن ينصب غيره مقامه. وهذا هو الذي يفسَّر به معنى الملكوت في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ\* فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ...﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٦١.

(٢) سورة المائدة: ١٧.

(٣) سورة يس: ٨٢ و ٨٣.

فالآية الثانية بيّنت أنّ ملكوت كلّ شيء إنّما هو قوله تعالى للشيء  
 ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، وهذا القول كناية عن إفاضته تعالى الوجود على الشيء، من  
 غير حاجة إلى شيء آخر وراء ذاته المتعالية، ومن غير تخلّف ولا مهلة.  
 وليس من المعقول أن يكون هذا القول لفظاً يتلفّظ به ذات الحقّ  
 لإيجاد الأشياء، وإلاّ احتاج ذلك اللفظ إلى إيجاد كذلك، وهذا الإيجاد  
 محتاج إلى التلفّظ بـ(كن) أيضاً... وهكذا يتسلسل لا إلى نهاية.  
 هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يُعقل أيضاً وجود مخاطب ذي  
 سمع لتلقّي هذا الأمر، واستماع هذا الخطاب ليوحد به، لأنّ الاستماع لا بدّ  
 أن يكون بعد الوجود لا قبله، كما هو واضح.

فإذا اتّضح معنى الملك الحقيقي، يتّضح أيضاً أنّ التفويض - سواء كان  
 بمعنى أنّ الله سبحانه قد فوّض أمر العالم إلى عباده يفعلون ما يريدون، كما  
 يصوّر ذلك المفوضة، أو أنّ الله تعالى فوّض أمر هذا الكون تكويناً وتديراً  
 وتشريعاً إلى الأئمّة عليهم السلام مثلاً، كما يفعل ذلك بعض الملوك إذ  
 يعتزلون عن تدبير مملكتهم، ويفوضون ذلك إلى أحد وزرائهم<sup>(١)</sup> - ممتنع  
 عقلاً، لأنّ ملك الله سبحانه للأشياء غير قابل للنقل والانتقال، ويشبهه بعض  
 الشيء ملك الإنسان لقواه وأفعاله حيث إنّها لا تقبل النقل والانتقال  
 والشركة وغيرها كما تقدّم، فلا بدّ لنا والحالة هذه من التصرّف في ظواهر  
 تلك النصوص، وحملها على ما ينسجم والبرهان العقلي والدليل النقلي.  
 وقد تبين ممّا تقدّم أنّ وجود الأشياء المادّية في نشأة الطبيعة لها جهة  
 من الوجود، وهي الجهة المادّية لها، والتي تنتسب إلينا، وهي زائلة، فانية،

(١) ولعلّ هذا المعنى هو المتراءى بدوّاً من بعض النصوص الروائية والأدبيّة  
 وغيرهما.

متغيرة، والزمان والحركة مصاحبان لها، والمكان لا ينفك عنها.

وهناك جهة أخرى للأشياء، عدا هذه الجهة المادية، وهي جهة انتسابها وارتباطها بالله سبحانه وتعلقها به، وقيامها به قياماً وجودياً، وقرها إليه فقراً تاماً، وهذه الجهة لا تتغير، ولا تبدل، ولا تتلبس بالدرج، بل هي بجميع وجودها تابعة لله سبحانه، غير مستقلة ولا مستغنية عنه، فهي في ملكه ويده، يتصرف فيها ما يشاء؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

فما هو عنده ثابت لا يزول ولا يتغير عما هو عليه، وخزائن كل شيء كائناً ما كان أمور ثابتة غير زائلة ولا متغيرة.

وهذه الجهة لا تقبل الشركة وتختص به تعالى وحده . فالربوبية - التي هي الملك والتدبير - لا تقبل تفويضاً، ولا تمليكاً انتقالياً. وهذه الجهة الثانية للأشياء هي التي يسميها القرآن الكريم بـ«الملكوت».

وإلى هذا أشير في نصوص أهل البيت عليهم السلام الواردة في شرح الملكوت؛ وإليك بعضاً منها:

١ - الصحيح عن أبي جعفر الباقر عليه السلام حينما سُئل عن قول الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>. قال: «كشط الله له السماوات والأرض حتى رآها وما فيها، وحتى رأى

(١) سورة الحجر: ٢١.

(٢) سورة النحل: ٩٦.

(٣) سورة الأنعام: ٧٥.

العرش ومن عليه ، وفعل ذلك برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»<sup>(١)</sup> .

٢ - الصحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال:

«كشط له عن الأرض ومن عليها ، وعن السماء ومن فيها ، والمَلَك الذي يحملها ، والعرش ومن عليه ، وفعل ذلك برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَام»<sup>(٢)</sup> .

٣ - الصحيح الآخر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أيضاً قال:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾:

«كشط لإبراهيم عليه السلام السماوات السبع حتى نظر إلى ما فوق العرش ، وكشط له الأرض حتى رأى ما في الهواء ، وفعل بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَإِنِّي لَأَرَى صَاحِبِكُمْ وَالْأئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ قَدْ فَعَلَ بِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ»<sup>(٣)</sup> .

يتضح إذن أنّ المراد بإراءة الملكوت لإبراهيم عليه السلام هو توجيهه تعالى خليله عليه السلام إلى مشاهدة الأشياء من جهة استناد وجودها إليه عز اسمه. وإذا كان استناداً لا يقبل الشركة لم يلبث دون أن حكم عليها أن

(١) بصائر الدرجات، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤هـ، ص ١٠٨؛ التبيان، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٧٧؛ بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٢٦، ص ١١٦.

(٢) تفسير القمّي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمّي، مطبعة النجف الأشرف، ١٣٧٨هـ، ج ١، ص ٢٠٥.

(٣) بصائر الدرجات، ص ١٠٧؛ بحار الأنوار، ج ١٢، ص ٧٢.

ليس لشيء منها ربٌّ غيره، ولا مالك ومدبرٌ لها سواه، سبحانه وتعالى.

ومن البديهي أن النظر في ملكوت الأشياء موجب لهداية الإنسان إلى التوحيد هداية قطعية يقينية، لا يداخلها ريب، ولا يشوبها شك بوجه من الوجوه، وهذا هو اليقين الذي بلغه إبراهيم عليه السلام.

ولمّا كان النظر في الملكوت موجباً لليقين بالله سبحانه وبجميع صفاته وأسمائه تعالى، ورد الحثّ على ذلك؛ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

### مشاهدة الملكوت

قد يُتساءل هنا: هل هذه الرؤية لعالم الملكوت بصريّة ماديّة أم ماذا؟ والجواب: إنها ليست بصريّة ماديّة، لأنّ العين الماديّة لم يقدر لها رؤية شيء خارج عالم المادّة. ومن خلال ما بيّناه من معنى الملكوت وما شرحته النصوص اتّضح أنّ الملكوت ليس شيئاً مادياً، ليتسنى للعين الماديّة رؤيته، بل هو من العوالم الأخرى غير الماديّة، وإلاّ كيف نفسّر غيابه عن شخص وترائيه لآخر؟!

هذا، وقد صرّح القرآن الكريم والسنة الشريفة بوجود أعين للإنسان غير الأعين الماديّة، وهذه الأعين قد تُصاب بالعمى عند أناس كما هو حال العين الماديّة، وقد تمتاز بقوة النظر عند آخرين فتتجلّى لهم العوالم

(١) سورة الأعراف: ١٨٥.

الأخرى وتشاهد ملكوت الرحمن تبارك وتعالى؛ قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فهذه الأعين والآذان التي لا يسمعون ولا يبصرون بها لا بد أن يكون المقصود بها غير المادية، وذلك من خلال تشبيههم بالأنعام، وإلا فالأنعام تبصر وتسمع بالأدوات التي تتمتع بها.

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال عز اسمه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(٣)</sup>.

فصرحت هذه الآية المباركة بوجود أعين وأبصار للقلوب يصيبها العمى وحدها مع أن العين المادية مبصرة.

هذا، وكان من تعظيم القرآن الكريم للأنبياء والأولياء وعباد الله الصالحين وصفهم بأنهم ذوو أبصار، فقد قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾<sup>(٤)</sup>.  
وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الأعراف: ١٧٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٨.

(٣) سورة الحج: ٤٦.

(٤) سورة ص: ٤٥.

(٥) سورة آل عمران: ١٣.

وقال عزوجل: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾<sup>(١)</sup>.

وبأدنى تأمل في مضامين هذه الآيات المباركة ونظائرها، يتضح بأن المقصود ليس هذه الأعين المادية، لأنّ ذوي هذه الأبصار هم الذين يعتبرون بآيات الله سبحانه ودلائل عظمته، فلا بدّ أنّ تلك الأعين التي تقودهم إلى الاعتبار هي غير الأعين التي يتمتع بها عامّة الناس، ومنهم المشرك الملحد بالله سبحانه.

قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾<sup>(٢)</sup>، والملاحظ في هذه الآية المباركة أنّها أثبتت بصراحة، الرؤية للفؤاد وهو القلب، كما نسبت العمى إليه في ما تقدّم من الآيات.

وقال عز اسمه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فصرّحت الآية المباركة بأنّ الفؤاد وسيلة من وسائل المعرفة والعلم، كالسمع والبصر. ومن الواضح أنّ هذه الوسيلة إنّما تستخدم لإدراك العوالم الأخرى الخارجة عن نطاق المادة.

وهذا ما أكّدته السنّة الشريفة أيضاً في أكثر من مورد:

١ - ما روي مكرراً بألفاظ مختلفة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في حديث الإسراء أنّه قال - في حديث مطوّل يصف فيه الإسراء -:

(١) سورة النور: ٤٤.

(٢) سورة النجم: ١١.

(٣) سورة النحل: ٧٨.

«فكان توفيقاً من ربي عزّوجلّ أن غمضت عيني، وكلّ بصري وغشّي عتّي النظر، فجعلت أبصر بقلبي كما أبصر بعيني، بل أبعد وأبلغ...»<sup>(١)</sup>.

٢ - ما روي عنه صلّى الله عليه وآله أنه قال:

«لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات»<sup>(٢)</sup>.

٣ - ما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال:

«ألا إنّ للعبد أربع أعين، عينان يبصر بهما أمر دينه ودينه، وعينان يبصر بهما أمر آخرته، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه، فأبصر بهما الغيب في أمر آخرته، وإذا أراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه»<sup>(٣)</sup>.

٤ - جواب أمير المؤمنين عليه السلام لدعبل اليمانيّ لما سأله: هل رأيت ربك؟

فقال عليه السلام: «أفأعبد ربّاً لم أراه!»

فقال: وكيف تراه؟

فقال: «لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان...»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ١٨، ص ٣٩٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ١٦٣.

(٣) الخصال، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٤٠.

(٤) نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، شرح: الشيخ محمّد عبده، مكتب الإعلام الإسلامي، - ١٤١١هـ، ص ٣٨٣.



إلى غير ذلك من الشواهد القرآنية والروائية الكثيرة الدالة على أنّ الرؤية ليست مختصة بالعين المادية، وأنّ غاية ما تدركه العين المادية هو المادة فقط، أمّا العوالم غير المادية فلها وسائل أخرى لمشاهدتها.

### أسباب اليقين

إنّما يحصل اليقين في النفس الإنسانية بأحد سببين، فقد يحصل بسبب وجود مقدّمات منطقية وبراهين علمية وعقلية عند الإنسان، وقد يحصل بمشاهدة الحقيقة ذاتها، وبحضورها بنفسها عنده.

لذا تحصل الغفلة عن المتيقّن بمجرد الغفلة عن المقدّمات والبراهين في الحالة الأولى، بخلاف ما لو كانت الحقيقة حاضرة بنفسها عنده، فلا يمكن تصوّر الغفلة عن ذلك المتيقّن.

ومن الواضح أنّ اليقين الذي يحصل بسبب الرؤية القلبية للملكوت هو من الحالة الثانية لليقين، وليس هو اليقين الحاصل من الفكر والبرهان والاستدلال العقلي.

وإلى هذه الجهة يشير قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ \* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾<sup>(١)</sup>. قال في الميزان:

«الظاهر أنّ المراد رؤيتها قبل يوم القيامة رؤية البصيرة، وهي رؤية القلب التي هي من آثار اليقين على ما يشير إليه قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ

---

(١) سورة التكاثر: ٥ و ٦.

وَالْأَرْضُ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ<sup>(١)</sup>... وهذه الرؤية القلبية قبل يوم القيامة غير محققة لهؤلاء المتلهين بل ممتنعة في حقهم لامتناع اليقين عليهم<sup>(٢)</sup>.

ومن البديهي أنّ هذا اليقين إذا كان حاصلًا بسبب المقدمات المنطقية فإنه لا يوجب رؤية الجحيم رؤية حقيقية تسبب الامتناع عن معصية الله تعالى، إذ غاية ما يستوحيه الإنسان من تلك المقدمات هو العلم بوجود الجحيم. وشتان بين من يعلم بوجود شيء، وبين من يرى ذلك الشيء ويشاهده؟! فإنّ الإنسان يغفل عن الجحيم ووجودها، بمجرد الغفلة عن المقدمات التي صاغها البرهان العقلي، فيرتكب بعض المحرمات الإلهية.

إذن فاليقين الذي يتأتى عن رؤية الجحيم رؤية واقعية حقيقية ليس كاليقين الثابت بالبرهان والدليل، بل هو نوع آخر منه، وهو الذي يحصل عند حضور الحقائق بنفسها عند الإنسان، فلا عجب أن لا يُقدّم الموقن هنا على مخالفة الأوامر الإلهية، لأنّه يرى النار والجحيم أمامه عياناً.

ولذا نجد المنكر للبعث وللوازمه الحتمية من السعادة والشقاء موقناً ذلك اليوم «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ»<sup>(٣)</sup>، لحضور الحقيقة بنفسها عنده حضوراً واقعياً حقيقياً؛ قال تعالى: «وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الأنعام: ٧٥.

(٢) الميزان، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٣٥٢.

(٣) سورة الطارق: ٩.

(٤) سورة السجدة: ١٢.

وهذا النوع من اليقين - أعني الحاصل من حضور الحقائق نفسها - هو العاصم من الذنوب والمعاصي، بل من الخطأ والسهو والغفلة والنسيان أيضاً، وهو الذي يورث الإنسان قوة العصمة، على ما يأتي من توضيح. وقد أكدت نصوص أهل البيت عليهم السلام أنّ اليقين في المصطلح القرآني والروائي هو غير اليقين الحاصل من البرهان والدليل العقلي الذي هو من مصطلحات الفلسفة والمنطق الأرسطي؛ منها:

١ - الصحيح عن الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام قال:

«الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسم في الناس شيء أقلّ من اليقين»<sup>(١)</sup>.

٢ - الصحيح عن الإمام الرضا عليه السلام:

«الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، ولم يقسم بين العباد شيء أقلّ من اليقين»<sup>(٢)</sup>.

٣ - ما عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«الإيمان أفضل من الإسلام، وإنّ اليقين أفضل من الإيمان، وما من شيء أعزّ من اليقين»<sup>(٣)</sup>.

٤ - الصحيح عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام حينما سأله

يونس - وهو من أجلاء أصحابه - عن الإيمان والإسلام، فقال:

---

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥١، ٥٢.

(٢) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥١، ٥٢.

(٣) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥١، ٥٢.

قال أبو جعفر عليه السلام: «إِثْمًا هُوَ الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ فَوْقَهُ بِدَرَجَةٍ، وَالتَّقْوَى فَوْقَ الْإِيمَانِ بِدَرَجَةٍ، وَالْيَقِينُ فَوْقَ التَّقْوَى بِدَرَجَةٍ، وَلَمْ يَقْسَمْ بَيْنَ النَّاسِ شَيْءٌ أَقْلََّ مِنْ الْيَقِينِ».

قلت: فأَيُّ شَيْءٍ الْيَقِينُ؟ قال: «التَّوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ، وَالتَّسْلِيمُ لِلَّهِ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالتَّفْوِيضُ إِلَى اللَّهِ».

قلت: فما تفسير ذلك؟ قال: «هكذا قال أبو جعفر عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

ويبدو واضحاً أنّ هذا النوع من اليقين ليس من الأمور التي يتمكن كلُّ أحدٍ وعيها وإدراكها، فلم يشأ الإمام الرضا عليه السلام تفسير اليقين أكثر من ذلك، حتّى لمثل (يونس) الذي هو من أجلاء أصحابه عليه السلام، بل تركه على غموضه وإبهامه، وما ذلك إلاّ لصعوبة استيعابه فيما لو أوضحه وفسّره، لأنّه نوع آخر من اليقين غير حاصل من مجموع مقدّمات برهانية.

٥ - الحديث المرويّ عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ وَضَعَ الْإِيمَانَ عَلَى سَبْعَةِ أَسْهُمٍ: عَلَى الْبِرِّ، وَالصِّدْقِ، وَالْيَقِينِ، وَالرِّضَا، وَالْوَفَاءِ، وَالْعِلْمِ، وَالْحِلْمِ، ثُمَّ قَسَمَ ذَلِكَ بَيْنَ النَّاسِ، فَمَنْ جَعَلَ فِيهِ هَذِهِ السَّبْعَةَ الْأَسْهُمَ فَهُوَ كَامِلٌ مُحْتَمَلٌ...»<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله عليه السلام هنا: (فهو كامل محتمل) إشارة إلى المؤمن الذي امتحن الله قلبه للإيمان، الذي يحتمل كلامهم وحديثهم عليهم السلام، وذلك لما ورد في الحديث المشهور المستفيض عن أهل البيت عليهم السلام: «إِنَّ عِلْمَ الْعُلَمَاءِ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥١، ٥٢.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٥٢، ٤٢.

مرسل ، أو ملك مقرب ، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان»<sup>(١)</sup>.

٦ - الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله صَلَّى بالناس الصبح، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفراً لونه، قد نحف جسمه، وغارت عيناه في رأسه.

فقال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: كيف أصبحت يا فلان؟

قال: أصبحت يا رسول الله موقناً.

فعجب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله من قوله، وقال:

«إِنَّ لِكُلِّ يَاقِينٍ حَقِيقَةً ، فَمَا حَقِيقَةُ يَاقِينِكَ؟!»

فقال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك، وأنا فيهم، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون، وعلى الأرائك متكئون، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي.

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لأصحابه: «هذا عبد نور الله قلبه

بالإيمان».

ثم قال له: «الزم ما أنت عليه»<sup>(٢)</sup>.

٧ - كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه:

---

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٠١.

(٢) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٣.

«إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ، وَتَبْصُرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمَعَانِدَةِ، وَمَا بَرِحَ اللَّهُ عَزَّتْ آلَاؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَسْمَانِ الْفَتْرَاتِ عِبَادَ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عَقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْتِدَةِ...»<sup>(١)</sup>.

وخلاصة القول: إِنَّ الْيَقِينَ الَّذِي أَشَارَتْ إِلَيْهِ الْآيَاتُ الْمُبَارَكَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ»<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله سبحانه: «وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ»<sup>(٣)</sup>

ليس المراد منه العلم بالمفاهيم الذهنية والمعاني العقلية التي تحكي عنها الألفاظ، لأن مثل هذه العلوم والمعارف تحتاج إلى:

«نظم الأقيسة واستعمال البرهان، وهو - أعني العلم - باق مادام الإنسان متوجّهاً إلى مقدّماته، غير ذاهل عنها، ولا مشغول بغيرها، ولذلك يزول الإشراف على دليله، وتكثر فيه الشبهات، ويثور فيه الاختلاف»<sup>(٤)</sup>.

وهذا هو المسمّى بـ«العلم الحسولي».

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٣٤٢.

(٢) سورة السجدة: ٢٤.

(٣) سورة الأنعام: ٧٥.

(٤) الميزان، مصدر سابق، ج ٦، ص ١٧٠.

وهذا بخلاف اليقين الوارد في الآيات المباركة ونصوص أهل البيت عليهم السلام، فإنّ الإنسان إذا بلغ تلك المرتبة من اليقين فإنّه يشاهد - بالعيان - فقره إلى ربّه، وحاجته إليه في جميع أطوار وجوده.

«يجد نفسه متعلّقة بالعظمة والكبرياء، متّصلة في وجودها، وحياتها، وعلمها، وقدرتها، وسمعها، وبصرها، وإرادتها، وحبّها، وسائر صفاتها وأفعالها بما لا يتناهى بهاءً، وسناءً، وجمالاً، وجلالاً، وكمالاً من الوجود، والحياة، والعلم والقدرة، وغيرها من كلّ كمال»<sup>(١)</sup>.

ويشاهد أيضاً

«إنّ النفس الإنسانية لا شأن لها إلاّ في نفسها، ولا مخرج لها من نفسها، ولا شغل لها إلاّ السير الاضطراري في مسير نفسها، وأنّها منقطعة عن كلّ شيء كانت تظنّ أنّها مجتمعة معه مختلطة به، إلاّ ربّها المحيط بباطنها وظاهرها وكلّ شيء دونها، فوجدت أنّها في خلوة مع ربّها وإن كانت في ملأ من الناس.

وعند ذلك تنصرف عن كلّ شيء وتتوجّه إلى ربّها، وتنسى كلّ شيء وتذكر ربّها، فلا يحجبه عنه حجاب، ولا تستتر عنه بستر، وهو حقّ المعرفة الذي قدّر لإنسان»<sup>(٢)</sup>.

وهذا هو الذي يصطلح عليه بـ «العلم الحضورى».

---

(١) الميزان، مصدر سابق، ج٦، ص ١٧٢.

(٢) الميزان، ج٦، ص ١٧٢.

### خلاصة البحث:

إنّ اليقين الذي هو شرط من شروط الإمامة لا يحصل إلاّ برؤية الملكوت، والملكوت هو الوجه الآخر للأشياء.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا:

من يستطيع رؤية ملكوت الرحمن تبارك وتعالى؟

أهو بمتناول كلّ أحد، أم لقوم مخصوصين؟



## مقتضيات وموانع

### لرؤية الملكوت

اتضح ممّا تقدّم أنّ الملكوت هو الوجه الآخر للكون، وهو الجانب الغيبي للعالم، الذي يواجهه الله تبارك وتعالى مباشرة. فكلّ عالم الغيب من الملكوت، وهو خارج عن عالم الحسّ والمحسوسات المادّية.

وتقدّم أيضاً أنّ رؤية الملكوت ليست رؤية بصرية وبالعين المادّية، بل هي رؤية البصيرة والفؤاد والقلب.

وهذا النوع من الرؤية وإن اختلف عن الرؤية المتحقّقة بالعين المادّية من جهة، إلاّ أنّه يتّفق معها من جهة أخرى، وهي أنّه كما يجب في تحقّق الرؤية البصرية توافر شروطها، من صحّة العين، وسلامتها، وقابليتها على الإبصار، مضافاً إلى عدم وجود الموانع الخارجية والحواجز المانعة للبصر من رؤية الشيء، فكذلك رؤية البصيرة لا بدّ من توافر تلك الشروط فيها أيضاً، كوجود القابلية على الرؤية، وعدم وجود الموانع منها.

لكنّا يجب أن لا نغفل عن فارق أساسيّ بين الرئيتين، وهو أنّ شروط الرؤية المادّية ومقوماتها وكذلك حواجزها مادّية هي الأخرى، أمّا الرؤية غير المادّية فشروطها ومقوماتها غير مادّية أيضاً، وهكذا غير الرؤية من الأفعال كالسمع والنطق وغيرهما، وذلك لوجوب المجانسة والمسانحة بين الأشياء.

ومن هنا نجد القرآن الكريم يجعل للعمى القلبي عدة أسباب، منها:

١ - الكفر بالله تعالى؛ قال سبحانه: ﴿... مِنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَكَلَّهْمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ... أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

حيث وصفت الآية المباركة الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم بأنهم «الغافلون». ومنه يتضح بأن كل غفلة عن الله سبحانه وآياته وأحكامه، فهو من موجبات العمى القلبي.

٢ - متابعة الهوى؛ قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً...﴾<sup>(٢)</sup>.

٣ - الفساد في الأرض وقطيعة الرحم؛ قال عز اسمه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

يُستفاد من هذه الآية المباركة - أيضاً - أنّ سبب العمى ليس هو قطيعة الرحم والفساد في الأرض فحسب، بل إنّ عمى الأبصار متفرّع على لعنة الله تعالى. فكلّ مَنْ لعنه الله تعالى فقد أعمى بصره وأصمّ سمعه. والملعونون في القرآن الكريم كثير لا يسعنا استقصاؤهم في هذه العجالة.

ومن ثمّ يتضح أنّ الحواجز التي تمنع البصيرة من الرؤية هي المعاصي التي يقترفها الإنسان، ولا أدلّ على ذلك من قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ بَلَّ رَانَ عَلَى

(١) سورة النحل: ١٠٦ - ١٠٨.

(٢) سورة الجاثية: ٢٣.

(٣) سورة محمد: ٢٢، ٢٣.

قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١﴾ .

هذا كله على مستوى المانع من الرؤية، وأما على مستوى المقنضي والشرط، فهو الذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ \* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

وهذه الآيات المباركة توضح أنّ للقرآن الكريم موقعاً غير هذا الموقع المادّي الذي نشهده نحن، موجود فيه قبل تنزله على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ من خصائص هذا الموقع الحفظ والصيانة عن كلّ تبديل وتغيير ونحوهما، وأنّ تنزله حصل بعد أن كان في موقع الصيانة والحفظ وهو (الكتاب المكنون)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ \* وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ (٣)، فهو موجود ومحفوظ، قبل جعله عربياً قابلاً للقراءة، في أمّ الكتاب، وإنما جعل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ليتمكن الناس من تلقيه وتعقله.

فالقرآن الكريم كان في مرتبته الأولى وقبل تنزله إلى العالم المادّي، عالياً رفيع المنزلة، لا تتمكّن العقول من نيله، ومحكماً متقناً، لا يتطرق إليه الفساد والتلف، غير مجزأ إلى السور والآيات، ولا إلى الحروف والكلمات، بل كان كما قال سبحانه وتعالى عنه: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ (٤).

(١) سورة المطففين: ١٤، ١٥.

(٢) سورة الواقعة: ٧٧ - ٨٠.

(٣) سورة الزخرف: ٣، ٤.

(٤) سورة هود: ١.

وقال عزّ اسمه: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَأَرِيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالتفصيل الذي وقع في القرآن المجيد والتجزيء الذي فيه، وتقسيمه إلى السور والآيات.. كل ذلك كان بسبب نزوله إلى هذا العالم المادي، ليستطيع الناس تعقله وفهمه.

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ \* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وصريح هذه الآية المباركة بأنّ القرآن الكريم موجود ومحفوظ ومصون في اللوح المحفوظ قبل تنزله. وهذا اللوح تعبير آخر عن الكتاب المكنون، كما قال سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

ف«الكتاب المكنون»، و«أمّ الكتاب»، و«اللوح المحفوظ»، كل هذه الأسماء تشير إلى حقيقة واحدة، وهذه الحقيقة لا ينالها ولا يمسه إلا المطهرون، كما تقدّم في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.

فإنّ الظاهر منها - وبقاعدة عود الضمير على الأقرب - عدم إمكان مسّ الكتاب المكنون (وهو عبارة أخرى عن العلم به) لأحد إلا المطهّرين من الملائكة وعباد الله الصالحين.

و«الكتاب المكنون» من الملكوت أيضاً، بل هو المحيط والجامع لجميع حقائق الملك والملكوت؛ قال تعالى: ﴿... وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ

(١) سورة يونس: ٣٧.

(٢) سورة البروج: ٢١، ٢٢.

(٣) سورة ق: ٤.

وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ<sup>(١)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال عز وجل: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال عز اسمه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾<sup>(٦)</sup>.

وهكذا كثير من الآيات المباركة التي تعرّف «الكتاب» بأنه المشتمل على جميع خصوصيات الحوادث والأشياء، فلا بدّ للكتاب الذي أحصى كلّ شيء، والجامع حتّى للغائبة في السماوات والأرض أن يكون قد اشتمل على الملكوت أيضاً.

(١) سورة الأنعام: ٥٩.

(٢) سورة يونس: ٦١.

(٣) سورة هود: ٦.

(٤) سورة النمل: ٧٥.

(٥) سورة الحديد: ٢٢.

(٦) سورة النبأ: ٢٩.

ومن هنا كان (الكتاب) هدىً للمتقين الموقنين، وذلك لتضمينه للملكوت الذي يؤدي إلى الهداية القطعية، وقد تقدم أنّ الموقن في المصطلح القرآني هو الذي رأى ملكوت السماوات والأرض؛ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ... وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَيَآخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وعليه فالمطهرون هم الذين يمسون الكتاب المكنون، وقد رأوا ملكوت الرحمن تبارك وتعالى، وحصل لهم اليقين تبعاً لذلك، كما حصل لسيدنا إبراهيم عليه السلام عند رؤيته.

### خلاصة الفصل الأول

من المفيد ونحن نختم هذا الفصل أن نلخص ما ورد فيه من نقاط أساسية؛ وهي:

١ - الإمامة عهد إلهي لا ينال الظالم.

٢ - الصبر واليقين شرطان أساسيان للإمام.

٣ - اليقين لا يحصل إلا برؤية الملكوت.

٤ - رؤية الملكوت مشروطة بالطهارة.

وبهذا نكون قد أنهينا الفصل الأول والحديث عن الإمام والإمامة، والمفاهيم القرآنية المستفادة من ذلك، ومنه ننتقل إلى الفصل الثاني للبحث عن «العصمة» ومدلولها، والله سبحانه هو الهادي للسبيل.

(١) سورة البقرة: ٢ - ٤.

الفصل الثاني

العصمة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

تتضمّن الآية الكريمة عدّة مفاهيم قرآنية، نعرضها تباعاً، وقد انتهى بنا الحديث في الفصل السابق إلى أنّ الطهارة شرط أكيد في رؤية الملكوت، وهذا يستدعي منا الوقوف على المفهوم القرآني للطهارة قبل كلّ شيء، وهو السبب في الخروج عن المألوف في البحوث التفسيرية.

### **الطهارة في المدلول القرآني**

من مقابلة الرّجس بالطهارة في الآية المباركة نعرف الضديّة بينهما، ومن ثمّ يمكننا معرفة كلّ منهما من خلال معرفة الآخر، كما أنّ كلّ ما يثبت لأحدهما من المراتب وغيرها لا بدّ من ثبوته للآخر.

«الرّجس» في اللغة: «القدر»، قال في «القاموس»:

«الرّجسُ بالكسر: القدر - ويحرّك، وتُفتح الراء وتُكسر الجيم - والمأثم، وكلّ ما استقدر من العمل، والعمل

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.



المؤدّي إلى العذاب والشك والعقاب والغضب...»<sup>(١)</sup>.

ونحو ذلك في لسان العرب، ومفردات القرآن للراغب الإصفهاني<sup>(٢)</sup>.

وقال الفخر الرازي في تفسيره:

«الرجس عبارة عن الفاسد، المستقذر، المستكره»<sup>(٣)</sup>.

وقال الألويسي في «روح المعاني»:

«والرجس في الأصل: الشيء القذر... وقيل: يقع على الإثم،

وعلى العذاب، وعلى النجاسة، وعلى النقائص. والمراد هنا

ما يعمّ ذلك»<sup>(٤)</sup>.

وقال الطباطبائي في «الميزان»:

«الرجس: الشيء القذر - على ما ذكره الراغب في مفرداته

- فالرجاسة - بالفتح - كالنجاسة والقذارة هو الوصف الذي

يُبتعد ويُنزّه عن الشيء بسببه، لتنفّر الطبع عنه»<sup>(٥)</sup>.

وقال في موضع آخر:

(١) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار إحياء التراث

العربي، بيروت، لبنان، ط ١ الملوّنة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ج ٢، ص ٣١٨.

(٢) لسان العرب مادة: رجس؛ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن

محمد (الراغب) الإصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ص ١٨٨.

(٣) تفسير الفخر الرازي، مصدر سابق، ج ١٧، ص ١٦٩.

(٤) روح المعاني، أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود الألويسي، إدارة الطباعة

المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج ٢٢، ص ١٢.

(٥) الميزان، مصدر سابق، ج ٦، ص ١٢٠.

«والرجس بالكسر فالسكون: صفة من الرجاسة وهي القذارة، والقذارة هيئة في الشيء توجب التجنب والتنفر منها»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا فالرجس لا يختصّ بالأمر الماديّة الظاهرية، بل يشمل حتّى الأمور المعنوية الباطنية، من الأعمال والأخلاق والسلوك والمملكات والعقائد الباطلة، بل تعلق القلب وتوجّه النفس بها أيضاً. قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ﴾<sup>(٢)</sup>. فقد أشارت هذه الآية المباركة إلى المرتبة الماديّة الظاهرية من الرجس والقذارة.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. هذه الآية المباركة جعلت الضلال ونتائجه من ضيق الصدر رجساً يجعله الله على الذين لا يؤمنون.

كما كان سبب الضلال عدم طهارة القلب؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

والرجس وعدم الطهارة بمعنى واحد، كما لا يخفى.

(١) الميزان مصدر سابق، ١٦، ٣١٢.

(٢) سورة الأنعام: ١٤٥.

(٣) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٤) سورة المائدة: ٤١.

هذه الآيات المباركة ونظائرها تشير إلى المرتبة الباطنية المعنوية للرجس، لأنّ الضلال وتناججه وأسبابه أمور باطنية معنوية.

وقال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾<sup>(١)</sup>.

وواضح أنّ الأوثان بنفسها لا رجس فيها، وإنما الرجس والقذارة في عبادتها دون الله تعالى، وهي من الأمور الباطنية المعنوية أيضاً.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذه الآية المباركة جعلت الشكّ والريب المؤدّيين إلى الضلال وعدم الإيمان بالله تعالى رجساً يجعله الله على الذين لا يعقلون.

وقال عزّ اسمه: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد أشارت هذه الآية الكريمة إلى حقيقة أخرى، عدا كون الشكّ والنفاق رجساً، وهي أنّ الرجس ليس كلّه بمرتبة واحدة، بل هو من الأمور المتفاوتة، ذي المراتب المختلفة بالزيادة والنقصان، بحسب القبائح والنقائص التي يتلبّس بها الإنسان.

كما قال تعالى: ﴿فَاعْرُضُوا عَنْهُمْ إِيَّاهُمْ رِجْسًا﴾<sup>(٤)</sup>.

إذ جعلت هذه الآية المباركة المنافق نفسه رجساً، وذلك لما تلبّس به

(١) سورة الحج: ٣٠.

(٢) سورة يونس: ١٠٠.

(٣) سورة التوبة: ١٢٥.

(٤) سورة التوبة: ٩٥.

وكما أنّ للرجس مراتب متعدّدة، ظاهرية وباطنية، كذلك نجد الإثم له ظاهر وباطن؛ قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾<sup>(١)</sup>. والإثم أيضاً من الرجس، قال في الكشّاف:

«واستعار للذنوب الرجس، وللتقوى الطهر، لأنّ عرض المقترف للمقبحات يتلوّث بها ويتدنّس، كما يتلوّث بدنه بالأرجاس. وأمّا المحسنات فالعرض معها نقيّ مصون كالثوب الطاهر.

وفي هذه الاستعارة ما ينفر أولي الألباب عمّا كرهه الله لعباده ونهاهم عنه، ويرغبهم فيما رضىه لهم وأمرهم به»<sup>(٢)</sup>.

أضف إلى ذلك أنّ كلّ معصية ضلال؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ \* وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ \* وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلاً كَثِيراً...﴾<sup>(٣)</sup>.

وواضح من الآية المباركة أنّها جعلت المعصية من إضلال الشيطان، بعد ما كانت عبادة له، والضلال من مراتب الشرك، و﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup> كما تقدّم مفصلاً.

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٠.

(٢) الكشّاف، مصدر سابق، ج ٣، ص ٥٣٨.

(٣) سورة يس: ٦٠ - ٦٢.

(٤) سورة لقمان: ١٣.

والأعمال جميعاً - سواءً الصالح منها وغير الصالح - ذات مراتب ودرجات؛ قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَتَّبِعَ الْمَصِيرُ \* هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَكِيُوفِيهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَأَ يُظْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذه الآيات المباركة ونظائرها تثبت لنا أنّ للرجس مراتب متعددة متفاوتة، مادية ظاهرية، ومعنوية باطنية، يتّصف به المتلبّس بذلك العمل، وأنه يتعلّق بالاعتقادات الباطلة، كما يتعلّق بالأخلاق والسلوك والملكات، بل بتعلّق القلب وتوجّه النفس أيضاً.

وبحكم هذه الضدية الواقعة بين الرجس والطهارة نجد المراتب نفسها ثابتة للطهارة أيضاً، فهي تتعلّق بالأمور المادية الظاهرية، كما تتّصف بها الأمور المعنوية الباطنية.

قال تعالى: ﴿وَيُنزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وواضح أنّ هذه الطهارة المكتسبة من الماء هي الطهارة المادية الظاهرية.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾<sup>(٤)</sup>.

وهذه هي المرتبة الظاهرية من الطهارة.

(١) سورة آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) سورة الأحقاف: ١٩.

(٣) سورة الأنفال: ١١.

(٤) سورة المائدة: ٦.

وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾<sup>(١)</sup>. وقال سبحانه: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ \* مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ \* بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا نوع آخر من الطهارة تشير إليه هذه الآيات المباركة، غير تلك التي تحصل بالماء مثلاً، وهذه من مراتب الطهارة الباطنية.

وقال تعالى: ﴿... فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن الواضح أنّ المسح بالتراب لا يحقق الطهارة الظاهرية بل قد يسبب عكس ذلك، فلا بدّ أن يكون المراد من الطهارة هنا المعنوية الباطنية.

وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالتعلّق بالأموال رجس تطهّره الصدقة، وإلاّ فأيّ قذارة ورجاسة يحملها المال ليحتاج إلى التطهير والتزكية؟! بل الرجاسة في التعلّق به وحبّه حبّاً تنجذب إليه النفس وتنصرف نحوه، كما قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾<sup>(٥)</sup>.

ولهذا كانت الصدقة سبباً لطهارة النفس والقلب من هذا النوع من التعلّق الذي هو من مراتب الرجس، كما يشير إليه أيضاً قوله تعالى:

(١) سورة البقرة: ٢٥.

(٢) سورة عبس، ١٣ - ١٥.

(٣) سورة المائدة: ٦.

(٤) سورة التوبة: ١٠٣.

(٥) سورة الفجر: ٢٠.

﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾<sup>(١)</sup>.

وحيث كان الضلال رجساً، كما تلونا ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ...﴾<sup>(٢)</sup>.

فلا بد أن يكون المقابل للضلال طهارة، نتيجة للضدية الموجودة بين الرجس والطهارة، والمقابل للضلال هو «الحق»؛ قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعُدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾<sup>(٣)</sup>. فكل حق طهارة، وكل ضلال رجس.

ومن هنا نجد الله سبحانه يصف ذاته العلية بأنه: «الحق»؛ قال عز اسمه: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾<sup>(٤)</sup>.

ويصف دينه بـ«الحق»؛ قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾<sup>(٥)</sup>. ووعد بـ«الحق»؛ قال سبحانه: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ﴾<sup>(٦)</sup>. وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾<sup>(٧)</sup>.

وهكذا نرى القرآن الكريم يصف كثيراً من الحقائق بأنها «حق»، وبالعكس نراه يصف ما يقابلها بـ«الضلال» و«الباطل» و«غير الحق»؛ قال تعالى: ﴿بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة المجادلة: ١٢.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٣) سورة يونس: ٣٢.

(٤) سورة النور: ٢٥.

(٥) سورة الصف: ٩.

(٦) سورة الأنبياء: ٩٧.

(٧) سورة غافر: ٥٥.

(٨) سورة الأنبياء: ١٨.

وقال سبحانه: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>.

وعليه فمن البديهي أن تكون الوحدة القياسية للأعمال في اليوم الموعود هي «الحق»؛ قال تعالى: ﴿وَالْوِزْنَ يُؤَمِّدُ الْحَقُّ﴾<sup>(٢)</sup>.

وحينئذ فبقدر اشتغال الأعمال على الحقّ يزداد اعتبارها، وترتفع قيمتها، أمّا الباطل والضلال فهو خفيف لا وزن له؛ قال سبحانه: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>.

### القلب السليم

ختاماً لدعاء إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ \* يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>. قال الراغب في «المفردات»:

«السلم والسلامة: التعرّي من الآفات الظاهرة والباطنة»<sup>(٥)</sup>.

وفي «الكشاف»:

«ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي»<sup>(٦)</sup>.

وقال في موضع آخر:

«بقلب سليم من جميع آفات القلوب، وقيل: من الشرك.

(١) سورة البقرة: ٦١.

(٢) سورة الأعراف: ٨، ٩.

(٣) سورة الأعراف: ٨، ٩.

(٤) سورة الشعراء: ٨٧ - ٨٩.

(٥) المفردات، مصدر سابق، ص ٢٤٩.

(٦) الكشاف، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٢٠.



ولا معنى للتخصيص لأنه مطلق، فليس بعض الآفات أولى من بعض، فيتناولها كلها»<sup>(١)</sup>.

وقال الفخر الرازي في تفسيره:

«أما السليم ففيه ثلاثة أوجه، الأول - وهو الأصح - أن المراد منه سلامة القلب عن الجهل والأخلاق الرذيلة، وذلك لأنه كما أن صحة البدن وسلامته عبارة عن حصول ما ينبغي من المزاج والتركيب والاتصال، ومرضه عبارة عن زوال أحد تلك الأمور، فكذلك سلامة القلب عبارة عن حصول ما ينبغي له، وهو العلم، والخلق الفاضل، ومرضه عبارة عن زوال أحدهما، فقله: «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» أن يكون خالياً عن العقائد الفاسدة والميل إلى شهوات الدنيا ولذاتها...»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا بقي هذا الوصف ثابتاً لإبراهيم عليه السلام، وكان من أبرز صفات الإخلاص الذي تحلّى به؛ قال تعالى: «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ \* إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»<sup>(٣)</sup>. قال في الكشاف:

«فإن قلت: ما معنى المجيء بقلبه ربّه؟

قلت: معناه أنه أخلص لله قلبه»<sup>(٤)</sup>.

ومن هنا جاء ابتلاؤه بذبح ابنه بمنزلة البرهان العملي، والدليل القاطع

(١) الكشاف، مصدر سابق، ج ٤، ص ٤٨.

(٢) تفسير الفخر الرازي، مصدر سابق، ج ٢٤، ص ١٥١.

(٣) سورة الصافات: ٨٣، ٨٤.

(٤) الكشاف، ج ٤، ص ٤٨.

على سلامة القلب، والإخلاص لله تعالى، والانقياد التام، والتسليم المطلق لله رب العالمين؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمًا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾<sup>(١)</sup>.

فكان هذا الإسلام والاستسلام لله تعالى، وخلوص القلب له سبحانه، والانقياد، والخضوع التام.. من آثار سلامة قلبه عليه السلام، خُتِمَتْ بِهِ قِصَّتُهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْمُبَارَكَةِ، حَيْثُ ابْتَدَأَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ \* إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

وما إن بلغ إبراهيم عليه السلام هذه المرتبة من التسليم المحض لله سبحانه حتى بلغ مرتبة الاصطفاء في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وإلا فهل يمكن أن يكون الإسلام هذا هو بتشهد الشهادتين فحسب، وهو ما يحصل قبل الإيمان، كمال قال سبحانه: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>!

قال الفخر الرازي في تفسيره:

«أي اصطفيناه في الوقت الذي قال له ربّه أسلم، فكأنّه تعالى ذكر الاصطفاء، ثمّ عقبه بذكر سبب الاصطفاء، فكأنّه لما أسلم نفسه لعبادة الله تعالى، وخضع لها وانقاد، علم تعالى من حاله أنّه لا يتغيّر على الأوقات، وأنّه مستمرّ على

(١) سورة الصافات: ١٠٣.

(٢) سورة البقرة: ١٣٠، ١٣١.

(٣) سورة الحجرات: ١٤.

هذه الطريقة، وهو مع ذلك مطهَّر من كلِّ الذنوب، فعند ذلك اختاره للرسالة، واختصَّه بها، لأنَّه تعالى لا يختار للرسالة إلاَّ مَنْ هذا حاله في البدء والعاقبة...»<sup>(١)</sup>.

واستمراراً لهذا الإسلام والاستسلام يأتي دعاء إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت، كما حكاه الله تعالى عنه وعن ابنه إسماعيل:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا هو الاستسلام، والانقياد والخضوع التام، والرضا.

قال الرازي أيضاً:

«أي: نكون مسلمين لك لا لغيرك، وهذا يدلُّ على أنَّ كمال سعادة العبد في أن يكون مسلماً لأحكام الله تعالى، وقضائه وقدره، وأن لا يكون ملتفت الخاطر إلى شيء سواه»<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما تجده في عباد الله المخلصين، وهم الذين بلغوا مرتبة من الإخلاص لله بحيث لا يتعلَّق قلبهم بسواه، وهم الذين لم يعبدوه طمعاً في جنَّته، ولا خوفاً من ناره، بل عبدوه لأنَّه أهل للعبادة.

وهذه مرتبة عالية من الطهارة لا ينالها إلاَّ عباد الله المخلصون.

**الخلاصة:** أنَّ للرجس والطهارة مراتب متعدّدة، فهما يتعلّقان بالأعمال والملكات، والأخلاق، والسلوك، وبتعلّق القلب وتوجّه النفس أيضاً.

(١) تفسير الفخر الرازي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٧٩.

(٢) سورة البقرة: ١٢٨.

(٣) تفسير الفخر الرازي، ج ٤، ص ٦٧.

## الشمولية في إذهب الرجس

من الجدير بالذكر أن قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾<sup>(١)</sup> عامّ شامل في إذهب الرجس، وذلك لما تفيدُه (ال) في قوله (الرجس) من العموم والشمولية؛ إذ هي إمّا أن تكون للجنس، أو للاستغراق، ولم يتقدّم ذكر أو إشارة إلى الرجس في الآيات السابقة لتكون (ال) حينئذٍ عهديّة. وهذه الشمولية تعني نفي الرجس عن هؤلاء البررة نفيّاً عامّاً شاملاً لجميع مستويات الرجس، سواء على مستوى الاعتقاد، أم الأعمال، أم الأخلاق والسلوك، أم التعلّق بغير الله تعالى. فكلّ رجس وكلّ قذارة فقد أذهبها الله تعالى عنهم، وأثبت مكانها الطهارة المؤكّدة، كما هو مدلول قوله تعالى: ﴿وَيَطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً﴾. قال الفخر الرازي:

«وقوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَطَهِّرْكُمْ﴾ فيه لطيفة، وهي: أنّ الرجس قد يزول عينا ولا يطهر المحلّ، فقوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ أي يزيل عنكم الذنوب، (وَيَطَهِّرْكُمْ) أي يُلبسكم خلع الكرامة»<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) تفسير الفخر الرازي، مصدر سابق، ج ٢٥، ص ٢٠٩.

ومن هذه الشمولية في نفي الرجس نعرف عدم الفرق بين الحالات. فهو منفي عن هؤلاء الصفوة قبل البلوغ وبعده، حال تبليغ الأحكام وغيره، في العمد والنسيان والجهل، وذلك لكون المحرّمات الإلهية رجس حقيقة، غايته أنّ الجاهل بها وبحرمتها يُرفع عنه العقاب واللوم، لطفاً من الله سبحانه بهذه الأمة المرحومة، لكن حقيقة الرجس لا تتبدّل ولا تتغيّر بعلم الإنسان أو جهله.

فهذه الآية المباركة حيث أكّدت نفي الرجس، وأثبتت الطهارة المؤكّدة لهؤلاء الصفوة فهي تعبير آخر عن «العصمة» المطلقة، وفي جميع حالاتهم، ولا تختصّ بحالة دون أخرى، ولا بزمان دون غيره.

مضافاً إلى ما تقدّم من أنّ كلّ حقّ طهارة، وكلّ رجس ضلال وباطل. فإنّ إذهاب الرجس عن هؤلاء الصفوة يعني إذهاب كلّ باطل وضلال عنهم، وإثبات الطهارة لهم يعني إثبات كلّ حقّ لهم، في اعتقاداتهم، وأفعالهم، وأقوالهم، وسلوكهم. ومن هنا فهم حقّ متجسّد، لا يصدر منهم الباطل بأيّ حال من الأحوال؛ قال عزّ اسمه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فهو صلّى الله عليه وآله حقّ لا يتطرّق إليه الباطل في جميع تصرّفاته، وشتّى حالاته.

وحيث كان نفي الرجس وإثبات الطهارة تعبير آخر عن «العصمة» فمن المفيد هنا البحث عن حقيقة العصمة، والإمكانات العلمية التي زوّد بها المعصوم، وقدراته الفائقة في أعمال إرادته نحو الخير والفضيلة.

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

## العصمة مفهوماً ومضموناً

العصمة في اللغة: المنع والوقاية، قال في «القاموس»:

«عَصَمَ، يَعَصِمُ: اكتسب، ومنع، ووقى... والعِصْمَةُ بالكسر:  
المنع...»<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام تعني المنع من ارتكاب  
المعصية، والوقاية من كل رجس، فيقع البحث في أسباب هذا المنع،  
وموجبات هذه الوقاية.

الاحتمالات المتصورة في ذلك ثلاثة:

### الاحتمال الأول: العصمة الجبرية

وذلك بأن يكون الله تعالى هو الذي منع المعصومين من ارتكاب  
المحرّمات، بجبرهم على عدم المعصية، وسلب قدرتهم واختيارهم على  
ذلك، فهم لا يتمكّنون من المعصية حتّى لو أرادوها، وهكذا الخطأ والنسيان  
وأشباههما، فالإنسان المعصوم لا يفعل المحرّمات لعدم قدرته عليها،  
وليس لإرادته واختياره دخل في ذلك.

وهذا المعنى هو الذي احتمله بعض المعاصرين، حيث قال في

---

(١) القاموس المحيط، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢١٢، مادة: (عصم).

معرض الحديث عن العصمة:

«ونلاحظ أنّ الشيخ المفيد لم يشرح كيفية بقاء الاختيار مع وجوب العصمة، من خلال ما يفعله الله بعبد من عباده، فتكون النتيجة أنّه لا يؤثّر معه معصية له.

لأنّ هذا الأمر الثابت في تكوين الإنسان، إمّا أنّ يكون مؤثراً في ذات الإنسان، بحيث يعصمه عن الخطأ في الفكر والعمل، فلا يكون الخطأ مقدوراً له.

وإمّا أن يكون مؤثراً فيه بحيث تبقى القدرة على الخطأ، فيكون الخطأ جائزاً له في ذاته، وتكون العصمة خاضعة للعوامل الأخرى بالإضافة إليه من سلب وإيجاب.

إنّ هذا الأسلوب في الحديث عن اختيارية العصمة، مع الالتزام بأنّها ناشئة من فعل الله التكويني بنبيّه أو وليّه، لا يمثّل إلاّ مفهوماً ينطلق من الجمع بين وجوب العصمة ولزوم الاختيار لا من دراسة دقيقة لنوعية الصورة الواقعية للجمع بين الأمرين.

إنّا نتساءل: ما المانع من اختيار الله بعض عباده ليكونوا معصومين، باعتبار حاجة الناس إلى ذلك، وما هي المشكلة في ذلك؟! انطلاقاً من مصلحة عباده. وإذا كان هناك إشكال من ناحية استحقاقهم الثواب على أعمالهم إذا لم تكن اختيارية لهم. فإنّ الجواب عليه: هو أنّ الثواب إذا كان بالفضل في جعل الحقّ للإنسان على الطاعة لا بالاستحقاق

الذاتي، فلماذا لا يكون هذا التفضّل بشكل مباشر، إذ لا قبح في الثواب على ما لا يكون بالاختيار بل القبح في العقاب على غير المقدور<sup>(١)</sup>.

وهذا الاحتمال بهذا التصوير يتضمّن أمرين:

**الأول:** أنّ المشكلة في قضية اختيارية العصمة ناشئة من مانع عقلي، وهو استحالة الجمع بين الاختيار من جهة، وكون العصمة ضرورية واجبة من جهة أخرى. فمن الواضح أنّ الاختيار يعني إمكان وقوع الطرف المعاكس، والضرورة تعني استحالة وقوعه، وهذا جمع بين النقيضين.

**الثاني:** حيث يمتنع الجمع بين الضرورة والاختيار، فلا بدّ من الالتزام بالجبر وعدم قدرة المعصوم على المعصية، ولا مشكلة في هذا المبني سوى مسألة استحقاق الثواب، فإذا كان الثواب تفضلاً من الله تعالى على كلّ حال، وليس هناك استحقاق ذاتي، فلا مشكلة في الجبر على الطاعة وعدم القدرة على المعصية.

### **مناقشة العصمة الجبرية**

أما الأمر الأوّل، وهو المانع العقلي في استحالة الجمع بين الضرورة والاختيار، فإننا نسجّل عليه عدّة تحفظات - نقضاً وحلاً :-

**أولاً:** ليس كلّما وجب فعل وامتنع آخر، يكون صاحبه مجبراً على فعل ذلك الشيء وترك الآخر. فلا تنافي بين الاختيار وكون الفعل واجباً على صاحبه وضده ممتنعاً عليه، وإلاّ لزم أن يكون الله تعالى مجبراً على

---

(١) مجلّة الفكر الجديد، العدد التاسع، ص ٦١.



ترك الظلم وفعل العدل، مع أنّ اختياره مطلق، لا سبيل لأحد عليه، وهو لا يترك عدلاً ولا يفعل ظلماً، إلاّ من محض اختياره وإرادته، وهو ما لا يرتاب فيه كلّ مؤمن بالله واليوم الآخر.

ثانياً: الامتناع والوجوب يُطلقان ويُراد بهما:

تارة: الوجوب والامتناع الذاتي، ونعني به ضرورة الثبوت أو ضرورة الامتناع، كما في ضرورة ثبوت الزوجية للأربعة، وضرورة امتناع الجمع بين النقيضين. وهذه بديهيات لا يعقل التخلف فيها في أيّ مكان أو زمان. فزوجية الأربعة لا تتخلف عنها أبداً، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان.

وأخرى: يراد بهما الوجوب والامتناع الوقوعي، بمعنى أنّه ممكن في ذاته وبحسب نفسه، لكنّه ضروري الوقوع أو الامتناع بحسب الخارج، وهذا مثل الظلم بالنسبة إلى الله تعالى، فمع كونه تعالى متمكناً من الظلم بحسب ذاته لأنّه مطلق القدرة والاختيار والإرادة، لكن الظلم ممتنع عليه بحسب الوقوع الخارجي، فهو لا يظلم مع قدرته على الظلم، ولا يترك عدلاً مع قدرته واختياره على تركه.

بعبارة أخرى: إنّ الفعل تارة لا يمكن أن يصدر بحسب نفسه وذاته، وأخرى لا يصدر مع إمكان صدوره. وفرق واضح بين عدم الوقوع، وعدم إمكان الوقوع. فالنقيضان بلحاظ ذاتهما لا يمكن لهما أن يجتمعا أو يرتفعا في حال من الأحوال، والأربعة لا يمكن لها أن لا تكون زوجاً مهما كان الأمر، وهذا بخلاف الظلم بالنسبة إلى الله تعالى، ففي حال أنّه ممكن عليه، لكنّه لا يقع منه ولا يصدر منه خارجاً، لا بلحاظ ذات الظلم، بل باعتبار أنّه قبيح، والله تعالى منزّه عن كلّ قبيح.

وهكذا بالنسبة إلى وجوب العدل عليه تعالى. فهو الذي كتب على نفسه حقاً لعباده، وذلك من خلال وعدهم، وهو لا يخلف الوعد، مع قدرته التامة عليه. فوعد المؤمنين بجزيل المثوبة. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ...﴾<sup>(١)</sup>.

وقال: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾<sup>(٤)</sup>:

«اتفق المفسرون أن كلمة (عسى) من الله واجب.

قال أهل المعاني: لأن لفظة (عسى) تفيد الإطماع. ومن أطمع إنساناً في شيء ثم حرمه كان عاراً، والله تعالى أكرم من أن يُطمع أحداً في شيء ثم لا يعطيه ذلك»<sup>(٥)</sup>.

وهكذا يتضح أن وجوب شيء أو امتناعه وقوعاً لا يتنافى مع القدرة

(١) سورة التوبة: ١١١.

(٢) سورة مريم: ٦١.

(٣) سورة الرعد: ٣١.

(٤) سورة الإسراء: ٧٩.

(٥) تفسير الفخر الرازي، مصدر سابق، ج ٢١، ص ٣١.

عليه وإمكان وقوعه الخارجي، لأنّ هذا الوجوب أو الامتناع إنّما هو بلحاظ الوقوع لا بلحاظ ذات الشيء، وإذا كان كذلك فلتكن العصمة من هذا القبيل، - أعني من الممتنع وقوعاً لا من الممتنع ذاتاً - . فالمعصوم مع قدرته على المعصية وتمكّنه منها، لكنّها ممتنعة الصدور منه وقوعاً.

وأما القول: بأنّ الله تعالى مستثنى من هذه القواعد.

فجوابه: امتناع التخصيص في أحكام العقل وقواعده، كما هو واضح.

نعم، يقع التساؤل هنا عن الوسائل التي تمنع المعصوم من ارتكاب المعصية، على نحو الضرورة الوقوعية؟

وهذا ما سيأتي تفصيله في الأبحاث الآتية إن شاء الله تعالى، فثمّ يتّضح أنّ هذا النوع من الامتناع الوقوعي موجود عند كلّ واحد منّا بالنسبة إلى بعض الأعمال. فالعالم بنتائج السّمّ مثلاً، لا ينقذح في نفسه استعماله للشرب مادام طالباً للحياة والسلامة.

هذا بالنسبة إلى الأمر الأوّل الذي تضمّنه المقال، وهو المانع العقلي من اختيارية العصمة.

أما الأمر الثاني، وهو الالتزام بكونهم - عليهم السلام - مجبرين على الطاعة، غير متمكّنين من المعصية، وأنّه لا مشكلة فيه سوى مسألة الثواب، وحيث أنّه تفضّلي على كلّ حال، فلا مشكلة في الجبر...

فإنّ هذه النظرية تواجهها مشاكل أخرى، عدا مسألة الثواب والعقاب.

أولاً: الدليل على صحتها، فإنّ مجرد الاحتمال وعدم المانع لا يثبت النظرية، بل لابدّ في إثباتها من الدليل القطعي من القرآن الكريم، أو السنة القطعية، أو الدليل العقلي، وإلاّ فقديماً قيل: «الإمكان أعمّ من الوقوع».

ثانياً : من الواضح أنّ الفكرة - أيّ فكرة - لا يكفي في تحقيق نفسها أن تشرّع وتعيش على صعيد الورق والكلام، بل لابدّ في ضمان نجاحها من تجسيدها في الواقع العملي، ولا يُكتفى بمجرد تشريعها ما لم يضمنه التطبيق الذي يتمشى مع الأهداف الأساسية للفكرة.

ومن الواضح أنّ الرسائل السماوية لم تأت في حياة الناس لتعطي النظريات أو تطلق الشعارات فقط، بل جاءت لتجسّد نظرياتها في الواقع، وتضفي عليها قابلاً من التحقّق في الواقع الخارجي وفي الحياة العملية، وذلك من خلال أشخاص يكونون المشاعل الوضاء في حياة الناس. وبعكس ذلك تواجهها عدّة محاذير:

١ - الوقوع في الخطأ في فهم النظرية عند تطبيقها الخارجي، لأنّ النظرية لو لم تكن متجسّدة في أشخاص معيّنين لكان احتمال الخطأ في تفسيرها وتطبيقها وارداً. فإنّ الرسالة السماوية ليست بالحالة الزمنية الطارئة في حياة الأمة، بل هي ذات امتداد واسع بامتداد الزمن وإلى آخر الدنيا، وما أشدّ اختلاف الناس في فهمهم وإدراكهم!

٢ - اتّهام الرسالة بالمثالية في نظرياتها، وعدم قابليتها للتطبيق في الواقع العملي للناس، لو لم تتجسّد في ذوات من أبناء ذلك المجتمع. وبالعكس ما لو خرجت النظرية إلى التطبيق والحياة العملية، فلا مجال حينئذ لاتّهام الدين بالمثالية في نظرياته وعدم إمكان تطبيقها على أرض الواقع.

٣ - عدم التمكن من إعطاء القدوة الصالحة والأسوة الحسنة بين الناس. فالرسالة حينما تدعو الناس إلى التمسكّ بها لابدّ لها من أشخاص

هم من صميم الأمة يمثلون المشاعل المضيئة في طريق الناس، ليقندي بهم كلّ ملبّ لنداء الرسالة ودعوتها، فهم القدوة الصالحة للناس، والأسوة الحسنة لهم.

وعلى هذا فلا بدّ للدين من أن يشفع نظرياته بالتطبيق والتجسيد في الواقع العملي، ولا يكتفي بإعطاء المواقف الشرعية من الناحية النظرية فحسب، وذلك ليمنع الخطأ في فهم النظرية، وليبيّن قابلية تطبيق تلك المواقف الشرعية، وليوجد القدوة الصالحة، ويصنع الأسوة الحسنة لها: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾**<sup>(١)</sup>.

ومن أوليات ما يقتضيه ضمان التطبيق أن يكون القائم على تطبيق النظريات الدينية والمواقف الشرعية شخصاً تتجسّد فيه مبادئ فكرته تجسّداً مستوعباً لمختلف المجالات، خليّاً عن الأفكار المعاكسة لها.

ومن هنا كان الأنبياء والأئمة عليهم السلام هم المثل الأعلى لجميع الناس، والقدوة الصالحة لجميع الأمم، وهو ما يؤكّده القرآن الكريم كثيراً؛ قال تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾**<sup>(٢)</sup>. وقال سبحانه: **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾**<sup>(٣)</sup>.

فالطريق والصراط الذي ينبغي للإنسان اتّباعه، ويطلب من الله تعالى الهداية إليه هو صراط الذين أنعم عليهم، وهؤلاء هم الذين قال سبحانه عنهم: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ**

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) سورة الأنعام: ٩٠.

(٣) سورة الفاتحة: ٦، ٧.

التَّيِّبِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا<sup>(١)</sup>.

فهؤلاء الذين أنعم عليهم هم القدوة الصالحة للناس، وطريقهم هو الطريق المؤدّي إلى الله تعالى، والخالي عن غضبه سبحانه، وعن كلّ ضلال.

وعليه فإذا كان هؤلاء غير مختارين، ولم يتركوا المحرّمات الإلهية باختيارهم وإرادتهم، ولم يكن امتناعهم عن المعاصي إلّا بسلب قدرتهم واختيارهم، فسيؤكد حينئذ اتّهام الدين بالمثالية في نظرياته، كما تتأكد عدم قابلية النظرية للتطبيق في الواقع الخارجي، ولم يكن ذلك مجرد اتّهام، بل لكان هو الحقيقة بعينها، لأنّه إذا لم يكن بمقدور الرسل والأنبياء الذين يبلغون رسالات الله تعالى، ويدعون الناس إلى الدين، الامتناع عن المحرّمات الإلهية إلّا بجبرهم وسلب اختيارهم، فكيف بباقي الناس؟! وهذه عين المثالية المتّهم بها الدين.

وهل من المعقول أن يدعو الدين إلى الاقتداء بذوات لم تتمكّن من كفّ نفسها عن المعاصي والرذائل، وليس باستطاعتها امتثال الأوامر الإلهية وغيرها من القيم والأخلاق التي يتضمّننها الدين. فليس بمقدورها كل ذلك إلّا بالجبر والاضطرار، ثمّ هو ينادي: ﴿فِيهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾<sup>(٢)</sup>!

إذن فالمشكلة ليست باعتبار الثواب والعقاب، حتّى يجاب عنها بقضية التفضّل وعدم الاستحقاق الذاتي، بل المشكلة في تجسّد النظريات الدينية في الواقع الخارجي لصنع القدوة والأسوة الحسنة، ولا يمكن أن يكون

(١) سورة النساء: ٦٩.

(٢) سورة الأنعام: ٩٠.

القدوة للأمة من لا قدرة له على أفعاله، وهو مسلوب الاختيار فيها.

**ثالثاً:** إنّ مسألة الثواب والعقاب كما تصوّرها هذه النظرية، تعني عدم التلازم بين الطاعة والثواب، وإنّما تجعل التلازم بين المعصية والعقاب. وهذا يتجافى مع جميع النظريات المطروحة في مسألة الثواب والعقاب؛ إذ الاتّجاهات في هذه المسألة ثلاثة:

**الاتّجاه الأوّل:** وهو المنسوب إلى الأشاعرة، في النظرية المعروفة بـ«نظرية الإرادة الجزافية»، وهو ما استفادوه من قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذه النظرية تفرض عدم التلازم بين الأسباب والمسببات وبين العلة والمعلولات جميعاً. فالنار ليست هي المحرقة، بل إرادة الله تعالى هي المحرقة، والماء لا يروي من العطش، بل إرادة الله تعالى هي التي تروي منه. فلا تلازم عندهم بين الأشياء أبداً، ومنه عدم التلازم بين المعصية والعقاب، وبين الطاعة والثواب، فإنّ الله تعالى أن يُدخل أنبياءه ورسله النار، ويُدخل الجاحدين به والمشركين الجنّة، لأنّه لا ملازمة ولا سببية ولا ارتباط بين الطاعة والثواب، ولا بين المعصية والعقاب، كما يحاولون فهم ذلك من قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

هذه هي نظرية «الإرادة الجزافية» المنسوبة إلى الأشاعرة.

أمّا قبول هذا الرأي وعدم قبوله فله بحث آخر لسنّا بصدده، لكننا بمقدار ما يرتبط بالاحتمال المطروح في المقال المتقدّم نجد هذه النظرية غير متّسقة معه، فهي كما تدّعي عدم الملازمة بين الطاعة والثواب،

(١) سورة الأنبياء: ٢٣.

كذلك ترى عدم التلازم بين المعصية والعقاب، وعليه فلا استحقاق ذاتي لا للمطيع ولا للعاصي، فكما لا يقبح الثواب على ما لا يكون بالاختيار، كذلك لا يقبح العقاب على غير المقدور، وهو ما لا يلتزم به صاحب المقال نفسه.

**الاتجاه الثاني:** وهو المنسوب إلى المعتزلة، في نظريتهم المعروفة بـ«نظرية الحسن والقبح العقليين». فالعقل عندهم هو الذي يحكم على ما ينبغي أن يقع، وما لا ينبغي أن يقع، ومنه الثواب والطاعة، والعقاب والمعصية. فالعقل يحكم بأن المطيع ينبغي أن يثاب، والعاصي ينبغي أن يعاقب، فلو لم يُثب الله تعالى المطيعين أو عاقبهم فهو ظالم لهم، والظلم قبيح عليه تعالى.

وهذا الرأي بغض النظر عن قبوله أو رفضه يثبت الاستحقاق لكل من المطيع والعاصي. فكما أن العقاب على غير المقدور قبيح في نظر المعتزلة فكذلك الثواب على ما لا يكون بالاختيار قبيح. فلا فرق بين الثواب والعقاب في استحقاقه لأهله، ولا يثبت أي واحد منهما لأحد إلا بالاستحقاق، وهو العمل المؤدي إلى ذلك.

**الاتجاه الثالث:** وهذا الاتجاه مع إيمانه بأن إيجاد الموجودات بأجمعها - وكذا آثارها المنبعثة منها، سواء كانت دنيوية أم أخروية - كله بالتفضل الإلهي، يفترض - بالرغم من كل ذلك - أن هذا التفضل لم يكن جزافاً ومن دون قانون، بل هو ضمن قانون وسنة إلهية، لا تختلف ولا تتخلف: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَكَانَ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

وذلك لأن الله تعالى خلق الموجودات ولها استعدادات وقابليات،

(١) سورة فاطر: ٤٣.



يُتوصَّل من خلالها إلى القرب الإلهي والرقبي في مدارج الكمال.

وفي الوقت ذاته لم تكن تلك القابليات والاستعدادات كلها بمرتبة واحدة، ولا بدرجة واحدة، بل إنّ من شؤون النظام الأحسن الذي اختاره الله تعالى لعباده هو اختلاف وتفاوت تلك الدرجات والاستعدادات سعة وضيقةً، وشدةً وضعفًا.

وعندما بدأ الإنسان حياته ومسيرته التكاملية اختار هو لنفسه المرتبة التي يريدتها في الصعود إلى الله سبحانه، واختار الدرجة التي يريدتها من الاستعداد في الرقي في المدارج المعنوية.

ومن هنا اختلفت مراتب الناس واستعداداتهم باختلاف ما وقع عليه اختيارهم من المراتب المتفاوتة، كما قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ يَقْدَرُهَا﴾<sup>(١)</sup>.

قال الفخر الرازي عند تفسيره لهذه الآية المباركة:

«أنزل من سماء الكبرياء والجلالة والإحسان ماءً وهو القرآن. والأودية قلوب العباد. وشبهه القلوب بالأودية، لأنّ القلوب تستقرّ فيها أنوار علوم القرآن، كما أنّ الأودية تستقرّ فيها المياه النازلة من السماء، وكما أنّ كلّ واحد إنّما يحصل فيه من مياه الأمطار ما يليق بسعته أو ضيقه، فكذا هنا كلّ قلب إنّما يحصل فيه من أنوار علوم القرآن ما يليق بذلك القلب من طهارته وخبثه، وقوة فهمه

(١) سورة الرعد: ١٧.

وقصور فهمه...»<sup>(١)</sup>.

وقال الطباطبائي في الميزان:

«إنّ الوجود النازل من عنده تعالى على الموجودات الذي هو بمنزلة الرحمة السماوية، والمطر النازل من السحاب على ساحة الأرض، خال في نفسه عن الصور والأقدار، وإنّما يتقدّر من ناحية الأشياء أنفسها، كما المطر الذي يحتمل من القدر والصورة ما يطرأ عليه من ناحية قوالب الأودية المختلفة في الأقدار والصور، فإنّما تنال الأشياء من العطية الإلهية بقدر قابليتها واستعداداتها، وتختلف باختلاف الاستعدادات والظروف والأوعية»<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا يتجلّى أنّ القانون الإلهي والسنة الإلهية، هي أنّه سبحانه وتعالى لمّا خلق الاستعدادات، واختار الناس منها ما يريدون، كتب على نفسه أن يعطي كلّ ذي استعداد بمقدار استعداده؛ قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾<sup>(٣)</sup>.

فهو سبحانه يجيب - بمقتضى وعده - كلّ بما يليق به وبما هو مستعدّ له. وهذا هو الوعد الإلهي الذي كتبه على نفسه ﴿كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير الفخر الرازي، مصدر سابق، ج ١٩، ص ٣٥.

(٢) الميزان، مصدر سابق، ج ١١، ص ٣٣٨.

(٣) سورة الإسراء: ٢٠.

(٤) سورة الأنعام: ١٢.

(٥) سورة الأعراف: ١٥٦.

ومن البديهي أن وعده تعالى لا خلف فيه؛ قال تعالى: ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾<sup>(١)</sup>.

ونتيجة لما كتبه الله تعالى على نفسه من استجابة كل مستعد بمقدار استعداده، فقد أثبت لعباده حقاً عليه، وكان ذلك بمقتضى وعده وما كتبه هو على نفسه أنه تعالى ﴿لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهو تعالى قد أوجد هذا العالم بتفضله، وأوجد جميع الكمالات ومدارج الوصول إليه، والثواب والعقاب بتفضله أيضاً، لكنه لم يكن يعطي هذه الكمالات وهذا التفضل جزافاً ومن دون قانون ولا ضوابط، بل يعطيها ضمن السنّة التي سنّها هو في هذا الكون، وهي إعطاء كل مستعد بما يتناسب واستعداده وقابليته، والله تعالى يقول: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وهكذا يتجلى لنا أنّ الثواب وإن كان تفضلاً منه تعالى، لكنه تفضل ضمن القانون والسنّة الإلهية، فهو لا يعطي جزافاً ولكلّ أحد، بل هو مرتبط بالاستعداد والاستحقاق.

وعليه فكما يقبح العقاب على غير المقدور، كذلك يقبح الثواب على ما ليس بالاختيار، إذ هو خلاف الوعد الإلهي وما كتبه هو على نفسه من ملاحظة الاستعدادات القائمة في الإنسان. ومن الواضح أنّ غير المختار لا استعداد له لتلقّي الثواب الإلهي، وإثابته خروج عن السنّة الإلهية.

(١) سورة الزمر: ٢٠.

(٢) سورة آل عمران: ٩.

(٣) سورة فاطر: ٤٣.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

«فالحقّ أوسع الأشياء في التّواصف، وأضيقها في التّناصف، لا يجري لأحد إلاّ جرى عليه، ولا يجري عليه إلاّ جرى له، ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه، لقدرتة على عباده، ولعدله في كلّ ما جرت عليه صروف قضائه، ولكنته سبحانه جعل حقّه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب، تفضلاً منه وتوسّعاً بما هو من المزيد أهله»<sup>(١)</sup>.

قال الطباطبائي في الميزان:

«وقد بيّن القرآن الشريف على ما يفهم من ظواهره قوانين عامّة كثيرة في المبدأ والمعاد، وما ربّه الله تعالى من أمر السعادة والشقاوة، ثمّ خاطب النبيّ صلّى الله عليه وآله بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>. لكنّها جميعاً قوانين كلىّة ضرورية، لا في أنفسها، ولا باقتضاء من ذواتها، بل بما أفاده الله سبحانه عليها من الضرورة واللزوم. وإذا كانت هذه الحكومة العقلية القطعية من جهته تعالى وبأمره، فمن البين أنّ فعله تعالى لا يجبره تعالى على مؤدّى نفسه، ولا يغلبه في ذاته. فهو سبحانه القاهر الغالب، فكيف يغلبه ما ينتهي إليه تعالى من كلّ جهة، ويفتقر إليه

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٤٧٦؛ شرح نهج البلاغة، عزّ الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني المعتزلي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط ٢

١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ج ١١، ص ٨٨.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

في عينه وأثره؟! فافهم ذلك. فمن المحال أن يكون العقل الذي يحكم بما يحكم بإفاضة الله ذلك عليه، أو تكون الحقائق التي إنَّما وجدت أحكامها وآثارها به تعالى، حاكمة عليه تعالى، مقتضية فيه بالحكم والاقتضاء اللذين هو المبقي لهما، القاهر الغالب عليهما.

وبعبارة أخرى: ما في الأشياء من اقتضاء وحكم إنَّما هو أثر التملك الذي ملكه الله إيَّاهَا، ولا معنى لأن يملك شيء بالملك الذي ملكه الله بعينه منه تعالى شيئاً، فهو تعالى مالك على الإطلاق، غير مملوك بوجه من الوجوه أصلاً.

فلو أثاب الله المجرم، أو عاقب المثيب، أو فعل أيّ فعل أراد، لم يكن عليه ضير، ولا منعه مانع من عقل أو خارج، إلاَّ أنه تعالى وعدنا وأوعدنا، بالسعادة والشقاء، وحسن الجزاء وسوء الجزاء، وأخبرنا أنه لا يُخلف الميعاد، وأخبرنا من طريق الوحي أو العقل بأمور، ثم ذكر أنه لا يقول إلاَّ الحق، فسكنت نفوسنا به، واطمأنت قلوبنا إليه بما لا طريق للريب إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي معناهما الضرورة العقلية في أحكامها»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة آل عمران: ٩؛ سورة الرعد: ٣١.

(٢) سورة ص: ٨٤.

(٣) الميزان، ج ٦، ص ٢٥٤، وقد آثرتُ نقل كلامه على طوله لما يتضمَّنُه من فوائد جلييلة.

رابعاً: النصوص الكثيرة من القرآن الكريم والسنة الشريفة التي وردت بلغة الأمر، أو التهديد، أو التحذير للأنبياء والمرسلين والأئمة عليهم السلام، ومن الواضح أنه في فرض عدم تمكّنهم من ارتكاب المعاصي، وعدم قدرتهم على ذلك، وكونهم لا اختيار ولا إرادة لهم في جميع أفعالهم، لم يكن لهذا التحذير أو التهديد أي معنى، بل يكون عبثاً ولغوياً. ومن هنا فلا بدّ من كون هؤلاء الأصفياء متمكّنين من كل فعل، الطاعة والمعصية، وإنّما تركوا المعاصي باختيارهم وإرادتهم، حتّى يصحّ نهيهم عنها.

أمّا النصوص فهي كما يلي:

### ١ - القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخِيذٌ وَلِيّاً فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وصريح هذه الآية المباركة أنّ الرسول نفسه يخاف من معصية الله سبحانه، لأنها تؤدّي إلى العذاب في ذلك اليوم العظيم، فلو لم يكن قادراً عليها فكيف يخاف منها؟!

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ

(١) سورة الأنعام: ١٤، ١٥.

فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ .

ومن لا اختيار له في أفعاله هل يصح أن يقال له: (فإن فعلت)؟!  
وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ، إِلَيْهِ  
أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن الواضح أن مسلوب الاختيار ومن لا إرادة له لا يصح أن يؤمر  
بشيء.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا  
وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ...﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذه الآية المباركة على غرار الآيات السابقة، يتوجّه فيها النهي أولاً  
لإبراهيم عليه السلام عن الشرك بالله تعالى، ثم تأتيه الأوامر الإلهية بتطهير  
البيت وإعلان الحج للناس ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾<sup>(٤)</sup> وغير ذلك.

ومن البديهي أن يكون إبراهيم عليه السلام حينئذ مختاراً، قادراً على  
كل ما يريد أن يفعله، حتى يصح أمره ونهيه.

وقال عز اسمه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن  
أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وهكذا نجد الكثير من الآيات القرآنية المباركة تحذر الأنبياء من

(١) سورة يونس: ١٠٦.

(٢) سورة الرعد: ٣٦.

(٣) سورة الحج: ٢٦.

(٤) سورة الحج: ٢٧.

(٥) سورة الزمر: ٦٥.

الشرك ومن معصية الله، أو الكذب عليه سبحانه، ولا أدلّ على ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ \* فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾<sup>(٢)</sup>.

وصريح هذه الآية المباركة أنّ المقام المحمود لا يمكن أن يناله الرسول الكريم صلى الله عليه وآله إلا بالعمل وهو التهجد، وإذا كان مجبراً عليه فلا معنى لمثل هذا الترتب.

وقد يذهب بعضٌ إلى إمكان التصرف بظهور هذه الآيات، خصوصاً المحذرة للأنبياء من الشرك، مثل قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> بحملها على الفرض وإن كان ممتنع التحقق، وأنها للتدليل على أنّ الله يعاقب كلّ العاصين والمشرّكين حتّى لو فرض أنهم أنبياء.

الجواب: إنّ التصرف بظاهر الآيات الكريمة إنّما يصار إليه إذا لم يمكن حملها على ظاهرها للمانع العقلي أو النقلي، وأمّا مع عدم اصطدام الظاهر بأيّ محذور عقلي أو نقلي فلا مسوغ لهذا التصرف بالظهور اللفظي، وقد تقدّم فيما سبق إمكان الجمع بين اختيارية العصمة وكونها ضرورية على مستوى الوقوع.

(١) سورة الحاقة: ٤٤ - ٤٧.

(٢) سورة الإسراء: ٧٩.

(٣) سورة الزمر: ٦٥.



## ٢- السنة الشريفة

وقد تظافرت - بل تواترت - رواياتها أيضاً على أن جميع ما ناله المعصومون إنما هو بالطاعة لا غير.

١ - الصحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

إنّ بعض قريش قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله: بأيّ شيء سبقت الأنبياء، وأنت بُعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال:

«إني كنتُ أوّل مَنْ آمَنَ برَبِّي، وأوّل مَنْ أَجابَ حيثُ أخذَ اللهُ ميثاقَ النّبِيِّينَ وأشهدهم على أنفسهم «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ»، فكنتُ أنا أوّلَ نبيٍّ قالَ (بَلَى)، فسبقتهم بالإقرار بالله عزّوجلّ»<sup>(١)</sup>.

٢ - صحيح جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«يا جابر أيكثفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فوالله ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطاعه...».

إلى أن يقول:

«يا جابر والله ما يُتقربُ إلى الله تبارك وتعالى إلاّ بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجّة، مَنْ كانَ اللهُ مطيعاً فهو لنا وليّ، ومَنْ كانَ اللهُ عاصياً فهو لنا عدوّ، وما تُنال ولايتنا إلاّ بالعمل والورع»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٠.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٧٤.

وصريح هذا الحديث أنّ تقرّب جميع العباد ومنهم الأئمة إلى الله تعالى لا يكون إلا بالطاعة، وأنهم عليهم السلام لا براءة لهم من النار، والبراءة إنما هي من خلال العمل والطاعة والورع عن محارم الله.

وإذا كانت ولايتهم عليهم السلام لا تُنال إلا بالعمل والورع، فهل من المعقول أن يكونوا هم أنفسهم لا يحتاجون إلى الجدّ والعمل، وأنّ ثوابهم لا باستحقاق، بل يصلون إلى القرب الإلهي جزافاً ومن دون عمل وطاعة، وأنّ جميع ما يُقدّمونه من الطاعات ليس باختيارهم، ولا بإرادتهم؟!

٣ - الصحيح عن أبي كهمس<sup>(١)</sup>، قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عبد الله بن أبي يعفور يقرئك السلام، قال: «عليك وعليه السلام، إذا أتيت عبد الله فاقراه السلام، وقل له: إنّ جعفر بن محمد يقول لك: انظر ما بلغ به عليّ عليه السلام عند رسول الله صلّى الله عليه وآله فالزمه، فإنّ عليّاً عليه السلام إنّما بلغ ما بلغ عند رسول الله صلّى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة»<sup>(٢)</sup>.

٤ - صحيح هشام بن سالم، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال:

جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال: «يا محمد، عش ما شئت فأنت مَيّت، وأحبّ من شئت فأنت مفارقه، واعمل ما شئت فأنت لاقية»<sup>(٣)</sup>.

(١) يرد هذا التعبير كثيراً على لسان الفقهاء، وهو (الصحيح عن...) ويقصد به - غالباً - صحة جميع أفراد السند عدا الشخص المذكور، فهو ممّن لم تثبت وثاقته.

(٢) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٠٤.

(٣) وسائل الشيعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم

٥ - صحيح حفص بن البختري، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: اجتهدت في العبادة وأنا شاب، فقال لي أبي: «يا بُنيّ دون ما أراك تصنع، فإن الله عزّوجلّ إذا أحبّ عبداً رضي منه اليسير»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال:

مرّ بي أبي وأنا بالطواف، وأنا حدث، وقد اجتهدت في العبادة فرآني وأنا أتصابّ عرقاً، فقال لي: «يا جعفر، يا بنيّ، إن الله إذا أحبّ عبداً أدخله الجنة، ورضي منه باليسير»<sup>(٢)</sup>.

ومن الواضح أنه لو كان مجبراً على ذلك، ولم يكن اجتهاده عن اختياره لم يكن موضع لحديث أبيه الباقر عليه السلام معه، إذ هو والحالة هذه يصنع ما يصنع من دون اختيار ولا إرادة!!

٦ - الصحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا أخذ كتاب عليّ عليه السلام فنظر إليه قال: مَنْ يطيق هذا؟ مَنْ يطيق ذا؟ قال: ثمّ يعمل به، وكان إذا قام إلى الصلاة تغيّر لونه حتّى يُعرف ذلك في وجهه، وما أطاق أحد عمل عليّ عليه السلام من ولده بعده إلاّ عليّ بن الحسين عليهما السلام»<sup>(٣)</sup>.

نقول: لو كان عمل عليّ عليه السلام غير اختياري له، وكذا عمل زين

---

السلام لإحياء التراث، مطبعة مهر، قم، إيران، ط ١، ١٤١٢هـ، ج ١، ص ٨٥

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٨.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٨٥.

العابدين عليه السلام غير مقدور له، وإنما كانوا - وبحكم الجبر - بمنزلة الآلات الصناعية، فما معنى قوله: «من يطيق هذا؟! ولم يكن من المعقول اقتداء زين العابدين بجده عليّ عليهما السلام في أفعاله وعبادته.

وهكذا تضافرت السنّة، بل تواترت، بهذه المضامين التي تؤكد أنّ الثواب ودرجات الكمال العالية التي نالها أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن قبلهم رسول الله صلّى الله عليه وآله، والأنبياء والمرسلون إنّما كانت نتيجة لأعمالهم وعباداتهم وتقواهم وورعهم وغيرها من المكارم والفضائل. كما تواترت الأحاديث في وصف الجهد الذي كانوا يقدمونه في عباداتهم وأورادهم وتهجدهم، ومن ذلك بكاؤهم من خشية الله تعالى وتضرّعهم إليه، وخوفهم من أليم عقابه، كما في عبادة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وعبادة عليّ أمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام.

وفي كلّ ذلك دلالة على أنّهم عليهم السلام غير مجبرين على الطاعة وترك المعصية، بل أنّ جميع أفعالهم كانت تصدر عن اختيارهم وإرادتهم. وبهذا يتّضح لنا أنّ الاحتمال القائل (بأنّ المعصومين لا قدرة لهم على ارتكاب المعصية، ولا اختيار لهم في أفعالهم ولا إرادة، وأنهم مجبورون على ترك المعصية، مضطرونّ إلى فعل الطاعة)، ممّا لا سبيل لنا إلى الالتزام به، ولا يمكننا قبوله بعد أن كان مخالفاً للقرآن الكريم والسنّة المتواترة، وكذلك للدليل العقلي، كما هو محقّق في محلّه.

قد يقال: إنّ الجبر من طرف المعصية فقط، لا من طرف الطاعة، فالإنسان النبيّ مختار على الطاعة، مجبر على ترك المعصية، وإنّ الطاعة تصدر من المعصوم بإرادته وقصده لها، ولكن الله يمنعه عن المعصية

بلطفه الخفي، وإنّ المعصوم ليس منهيّاً عن المعصية بالمعنى المطابق كما يُنهي عنها المكلف العادي.

وهذا غير معقول في نفسه، لأنّ المعصوم إذا كان مختاراً في الطاعة، فهذا يعني قدرته على تركها، وهو معنى الاختيار، وإذا كان قادراً على ترك الطاعة من الواجبات، فهو قادر على المعصية، لأنّ ترك الواجب معصية، كما هو واضح، أو يقال بعدم قدرته على ترك الطاعة، فيعود الجبر المطلق.

### الاحتمال الثاني في العصمة:

#### المعصوم ليس بشراً!

وهذا الاحتمال يصوّر المعصومين بأنهم سنخ وجود لا يصدر منهم إلاّ الطاعة فهم ليسوا ببشر وليست لهم أحكام البشرية من الشهوة والغضب وغيرهما، بل هم موجودات أخرى بصورة البشر، وهم في ذلك أشبه ما يكونون بالملائكة ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فلم تصدر منهم المعصية لعدم وجود دواعيها في نفوسهم من الشهوة والغضب وأمثالهما، بغضّ النظر عن قدرتهم على ذلك، أو عدمه.

وهذا هو المنسوب إلى بعض المتكلمين، وربما كانوا من الأشاعرة، قال ابن أبي الحديد:

«اختلف الناس في المعصوم ما هو؟

فقال قوم: المعصوم هو الذي لا يمكنه الإتيان بالمعاصي،

(١) سورة التحريم: ٦.

وهؤلاء هم الأقلون من أهل النظر.  
واختلفوا في عدم التمكن كيف هو؟  
فقال قوم منهم: المعصوم هو المختصّ في نفسه وبدنه، أو  
فيهما بخاصية تقتضي امتناع إقدامه على المعاصي<sup>(١)</sup>.

### مناقشة الاحتمال الثاني

هذا الاحتمال تواجهه مجموعة إشكالات:

**الأول:** مسألة القدوة في حياة الناس، فإنه لا بدّ للدين - كما تقدّم -  
من تجسيد النظرية في الواقع العملي، من أجل صنع القدوة الصالحة  
والأسوة الحسنة، ليتأسى به جميع الناس في حياتهم العملية.

ومن البديهي أنّ القدوة ينبغي له أن يكون مثل الناس، ويحمل بين  
جوانحه عين ما يحمله الناس من الغرائز والدوافع النفسية، ومن ثمّ يكون  
بإمكانهم الاقتداء به في كبح جماح النفس، وتوظيف الغرائز توظيفاً سليماً،  
ومقاومة كلّ شرّ تبعثه النفس الأمّارة.

أمّا لو لم تكن عنده غرائز البشر، ولا الدوافع الشهوية التي عندهم،  
فبأيّ فعل من أفعاله يقتدون، وهو لم يدافع أيّ شيء من شرور نفسه، ولم  
يوجّه شهوة ولا غريزة بالاتّجاه الصحيح، بعد أن كانت مفقودة لديه كلّها.

ولهذا نلاحظ أنّ القرآن الكريم لم يجعل الملائكة قدوة للناس، ولادعاً  
الناس للاقتداء بهم، بل كانت كلّ دعوته الاقتداء والتأسي بالأنبياء

---

(١) شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج٧، ص٧.

والصالحين من الناس؛ قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>...

إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ...﴾<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان بالإمكان عدّ بعض الملائكة من جملة الذين هداهم الله، لكن حيث كانوا من جنس آخر يختلف عن البشر بغرائزه وقواه النفسية، لم تصحّ دعوة الناس للاقتداء بهم في سمتهم وهداهم.

جاء في صحيح عبد الله بن سنان، قال:

سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما. فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله شرٌّ من البهائم»<sup>(٣)</sup>.

**الثاني:** مخالفته لصريح القرآن الكريم والسنة الشريفة، حيث يؤكّدان بصراحة أنّ هؤلاء القادة الأبرار إنّما هم بشرٌ كبقية الناس، كما توجد عندهم جميع آثار البشرية وأحكامها، من الغرائز والعواطف النفسية وغيرها، فهم لا يمتازون بشيء عن بقية أفراد مجتمعاتهم.

(١) سورة الأنعام: ٨٤ - ٩٠.

(٢) سورة الأنعام: ٨٤ - ٩٠.

(٣) علل الشرائع، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ (الشيخ الصدوق)، المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف - ١٣٨٦هـ، ص ٤.

نعم، هم - وبغض النظر عن الرسالة التي جاءوا بها - يتفوقون على الناس بما تحلوا به من فضائل ومكارم وكمالات نفسية هي بمتناول الكل، وتحت اختيار الجميع، يتمكّنون من نيلها والتحلّي بها.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال عزّ اسمه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا...﴾<sup>(٤)</sup>.

فهذه الآيات المباركة ونظائرها كثيرة في القرآن الكريم، وكلّها تؤكد هذه الحقيقة، وهي أنّ هؤلاء الصفوة بشرٌ كغيرهم، غير أنّهم مُرسلون لإنذار البشر أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾<sup>(٥)</sup>.

أضف إلى ذلك ما نلاحظه من القرآن الكريم حيث يركّز على إنسانية هذه الصفوة من طريق الآثار المترتبة عليها، من الموت والأكل وأمثالهما. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقال عزّ اسمه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا

(١) سورة النحل: ٤٣.

(٢) سورة إبراهيم: ١١.

(٣) سورة الكهف: ١١٠.

(٤) سورة الشورى: ٥١.

(٥) سورة المدثر: ٣٦.

(٦) سورة الأنبياء: ٣٤.



أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ  
وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا  
وَذُرِّيَّةً...﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد جاءت هذه الآيات الكريمة لتكون بمنزلة الدليل على بشرية  
الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالرُّسُلَ الَّذِينَ قَبْلَهُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ، وذلك بأكلهم الطعام، وعدم خلودهم في الدنيا، وكونهم لهم  
أزواج وذرية، وهذه كلها من آثار بشريتهم.

قال سبحانه حكاية عن المشركين، حين عجبوا من رسول الله صَلَّى  
الله عليه وآله، كيف يتصل بالغيب ويدعي الرسالة وهو بشر مثلهم: ﴿وَقَالُوا  
مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾<sup>(٣)</sup>.

فكان جوابهم بما جاء في قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ  
مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِيَّاهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ﴾<sup>(٤)</sup>.

فهذا ليس بأول رسول يجري على العادة البشرية من أكل الطعام  
والمشي في الأسواق، بل إن جميع المرسلين الذين قبله بشر، وإن لهم  
جميع أحكام البشرية وخواصها.

أما السنة الشريفة ففيها الكثير المتواتر على ذلك، ومنه ما تقدم من

(١) سورة الأنبياء: ٧، ٨.

(٢) سورة الرعد: ٣٨.

(٣) سورة الفرقان: ٧.

(٤) سورة الفرقان: ٢٠.

النصوص التي تؤكد تضرعهم لله تعالى وخضوعهم له، وخوفهم من أليم عقابه، وحذرهم الشديد من معصيته سبحانه وتعالى.

ومن ذلك ما أجاب به الإمام الصادق عليه السلام لما قال له السائل:  
فمن أين أثبت أنبياء ورسلاً؟

قال أبو عبد الله عليه السلام:

«إنا لما أثبتنا أن لنا خالقاً، صانعاً، متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً، لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسهم ولا يلامسوه، ولا يباشرهم ولا يباشروه، ولا يحاجّهم ولا يحاجّوه، فثبت أن له سفراء في خلقه وعباده يدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم، وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، وثبت عند ذلك أن له معبرين وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة مبعوثين بها، غير مشاركين للناس في أحوالهم، على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، مؤيدين من عند الله الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد، من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. فلا تخلو أرض الله من حجّة، يكون معه علم يدلّ على صدق مقال الرسول ووجوب عدالته»<sup>(١)</sup>.

أضف إلى ذلك كلّ ما يحدثنا به التاريخ عنهم، حيث إنهم يُصابون بما يُصاب به باقي الناس من الفرح، والحزن، والجوع، والألم، والنوم، واليقظة، وغيرها، فقد حزن رسول الله صلى الله عليه وآله على ولده

---

(١) التوحيد، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القميّ (الشيخ الصدوق)، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم، إيران، ص ٢٤٩.

إبراهيم، ودمعت عيناه، وقال:

«تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا بك يا إبراهيم محزونون»<sup>(١)</sup>.

وبهذا يتضح بطلان هذا الاحتمال الذي يفترض أنّ المعصوم جنس آخر من الموجودات لكنّه بصورة البشر، فهو مخالف للقرآن الكريم والسنة الشريفة.

### الاحتمال الثالث: العصمة بالاختيار

وهذا الاحتمال يعتمد في أساسه على الحرّية والاختيار والإرادة عند المعصوم في جميع أفعاله وحالاته.

فالمعصوم هو الموجه لنفسه نحو الطاعة، والمانع لها من كلّ معصية، وبيده زمام نفسه يوجهها حيث الخير والفضيلة، وهو القائم على تطبيق كلّ ما جاءت به الشريعة الغراء من قيم ومبادئ من جهة، كما أنّها قد تغلغت في نفسه كمبدأ يستحقّ من صاحبه كلّ تضحية وفداء من جهة أخرى. كلّ ذلك بمحض إرادته، وكامل اختياره.

فلم يكن ليد السماء التدخل في توجيه المعصوم نحو الطاعة، وحذف قدرته على المعصية بنحو يفقده الاختيار، كما أنّها لم تجبره على فعل من الأفعال، بل بحكم ما زوّد به من إمكانيات علمية، وما كان لديه من قدرات فائقة على أعمال إرادته وفق المنهج الإلهي، صار بحيث استحال عليه صدور المعصية منه وقوعاً، مع كمال قدرته عليها وتمكّنه منها.

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٦٢.

وهذا المعنى هو الذي صرح به كثير من علماء المدارس الكلامية، وأكّده مدرسة أهل البيت بالخصوص، انطلاقاً من منهجها المعروف في مسألة الجبر والاختيار، الذي ورثته من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

قال الشيخ المفيد:

«العصمة من الله تعالى لحججه هي التوفيق واللفظ، والاعتصام من الحجج بها عن الذنوب والغلط في دين الله تعالى. والعصمة تفضل من الله تعالى على من علم أنه يتمسك بعصمته، والاعتصام فعل المعتصم. وليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح، ولا مضطرة للمعصوم إلى الحسن، ولا ملجئة له إليه...»<sup>(١)</sup>.

وقال السيّد المرتضى:

«اعلم أنّ العصمة هي اللطف الذي يفعله تعالى فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ الطوسي:

«العصمة: المنع من الآفة، والمعصوم في الدين: الممنوع باللطف من فعل القبيح، لا على وجه الحيلولة»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) تصحيح الاعتقاد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد)، المؤتمر العالمي لأئمة الشيخ المفيد، مطبعة مهر، إيران، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ١٢٨.

(٢) رسائل الشريف المرتضى، أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي، دار القرآن الكريم، مطبعة سيّد الشهداء، إيران، قم، ١٤٠٥هـ، ج ٣، ص ٣٢٥.

(٣) التبيان، مصدر سابق، ج ٥، ص ٤٩٠.

وقال أيضاً:

«أو يكون عبارة عن أنه أذهب عنهم الرجس بأن فعل لهم لطفاً اختاروا عنده الامتناع من القبائح... وذلك يدل على عصمتهم»<sup>(١)</sup>.

وقال السيد علي خان في «رياض السالكين»:

«وهي في الاصطلاح لطف يفعل الله بالمكلف بحيث لا يكون معه داع إلى فعل المعصية، مع قدرته عليها»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي:

«وقال الأكثرون من أهل النظر: بل المعصوم مختار متمكّن من المعصية والطاعة»...

إلى أن يقول:

«وقال أصحابنا - يعني المعتزلة - : العصمة لطف يمنع المكلف عند فعله من القبيح اختياراً»<sup>(٣)</sup>.

وبالرغم من تركيز المدارس الكلامية عموماً على هذه الحقيقة، (وهي أنّ العصمة لا تنافي الاختيار، وأنّ المعصوم هو الممتنع بكامل إرادته واختياره عن كلّ قبيح)، يبقى معنى «العصمة» محاطاً بنوع من الغموض لم

(١) التبيان، مصدر سابق، ج ٨، ص ٣٤٠.

(٢) رياض السالكين، السيد علي خان الحسيني الحسنّي المدني الشيرازي المعروف بابن معصوم، مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤١٢هـ، ج ٥، ص ٥٣١.

(٣) شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج ٧، ص ٧ - ٨.

الاحتمال الثالث: العصمة بالاختيار..... ١٣٣

توضّحه المدرسة الكلامية القديمة، كما أنّها لم تبسط القول في أسباب ومناشئ هذا اللطف، ولا في الإفصاح عن معنى هذا اللطف الإلهي الموجب للعصمة.

وحاول العلامة الطباطبائي في تفسيره النفيس (الميزان) رفع هذا الغموض، وتوضيح الصورة أكبر قدر ممكن، فقال:

«ونعني بالعصمة وجود أمر في الإنسان المعصوم يصونه عن الوقوع في ما لا يجوز من الخطأ والمعصية»<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنّ قوله: (وجود أمر في الإنسان...) إنّما هو تعبير آخر عن المصطلح الذي تقدّم من المدرسة الكلامية القديمة، وهو «اللطف» الذي يصنعه الله تعالى، أمّا حقيقة هذا الأمر فهو ما بيّنه بقوله:

«الأمر الذي تتحقّق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبّس بالمعصية والخطأ، وبعبارة أخرى: علم مانع من الضلال»<sup>(٢)</sup>.

وقال في موضع آخر:

«فالعصمة من الله سبحانه سبب في الإنسان النبيّ، تصدر عنه أفعاله الاختيارية صواباً وطاعة، وهو نوع من العلم الراسخ»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الميزان، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٤.

(٢) الميزان، ج ٥، ص ٧٨.

(٣) الميزان، ج ٢، ص ١٣٩.

وقال أيضاً:

«إنّ قوّة العصمة لا توجب بطلان الاختيار، وسقوط التكاليف المبنية عليه، فإنّها من سنخ الملكات العلمية، والعلوم والإدراكات لا تُخرج القوى العاملة والمحرّكة في الأعضاء والأعضاء الحاملة لها عن استواء نسبة الفعل والترك إليها»<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجد العلامة الطباطبائي يركّز على نقطتين رئيسيتين:

١ - العصمة لا تنافي الاختيار.

٢ - سبب العصمة هو «العلم».

ومنه تنشأ هذه التساؤلات:

أولاً: كيف يكون العلم منشأً وسبباً للعصمة؟

ثانياً: ما نوعية هذا العلم؟

ثالثاً: ما الدليل على ذلك؟

### **العلم منشأ العصمة**

إنّ أفعال الإنسان الإرادية والاختيارية بأجمعها تنشأ عن صور علمية كامنة في قراره، يرتسم فيها ما يؤدّي إليه ذلك العمل من أغراض وما يحقّقه من أهداف. ولولا هذا العلم وهذه الصور العلمية، لما صدر من الإنسان - بل من كلّ فاعل مختار - أيّ فعل من الأفعال، سواء منها فعل

(١) الميزان، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٥٤.

الخير أم الشرّ، ما يفعله لنفسه وما يفعله لغيره، كما أنّ تركه لكثير من الممارسات ناشئ من ذلك أيضاً.

ويكمن السرّ في ذلك أنّ الإنسان إذا شاء أن يفعل فعلاً أيّ فعل فلا بدّ أن تكون قد تكوّنت لديه صورة كافية لذلك الفعل، وحصل له العلم بأنّ ما يريد فعله يؤدّي له غرضه ويحقّق له أهدافه، من السعادة أو نقيضها، له أو لغيره. ومن دون ذلك لا يتمكّن من ممارسة أيّ عمل، حيث لا علم له بما يؤدّي إليه الفعل من عواقب ونتائج.

ولنأخذ بعض ممارسات الإنسان اليومية لسدّ حاجاته وإشباع غرائزه مثلاً لذلك. فالفرد منّا لا يأكل إذا لم يكن يعلم بأنّ هذا الأكل سبب لسدّ حاجاته من الجوع واللذة، ولا يشرب إذا لم يكن يعلم بأنّه سبب لسدّ حاجته من العطش مثلاً، وهكذا كلّ ما يمارسه الإنسان يومياً من أعمال لإدارة شؤون حياته وأسرته، فلو لم يكن يعلم بأنّها مؤدّية إلى سعادته أو سعادة أسرته أو مجتمعه لما مارس منها شيئاً، فهي كلّها قائمة على علمه بتأديتها لأغراضه وحاجاته النفسية أو البدنية، من جلب منفعة، عاجلة كانت أم آجلة، أو دفع مفسدة كذلك.

وهذه الحقيقة بديهية وجدانية، يجدها كلّ فرد منّا في نفسه، وعليها تبتني جميع أعماله وممارساته وسلوكه، فتراه يعرض نفسه لأخطر المهالك حين يعلم أنّ ذلك سبب سعادته الدنيوية أو الأخروية، وذلك على اختلاف أهداف الناس واتّجاهاتهم.

ولهذا نجد أنّ طالب الشيء - أيّ شيء - يبتعد عن كلّ ما يتنافى وغايته، ويزيل كلّ عقبة أمام أهدافه وما يطلبه، فطالب الحياة والبقاء



والسلامة يبتعد عن كل ما يتنافى وصحته وسلامته. فهو لا يعرض نفسه للبرد مثلاً لعلمه بما يسببه له من مرض، ولا يلقي بنفسه من شاهق حيث يعلم بما يؤدي إليه الفعل من الموت، أو تلف بعض الأعضاء، وفي الوقت ذاته يستسلم لأقصى علاج من مرض ألمّ به، بعد علمه بأنه الوسيلة إلى عافيته وصحته وسلامته المنشودة.

ورحم الله المتنبّي إذ يقول:

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه      حريصاً عليها مستهماً بها صرباً  
فحبّ الجبان النفس أورده      وحبّ الشجاع النفس أورده الحرباً  
ومنه يتضح أنّ هذا العلم الذي يدفع الإنسان إلى المخاطر تارة، ويجنبه الهلكات أخرى، ليس له أيّ تأثير على طبيعة الإرادة الإنسانية، فهو لم يترك ماترك إلاّ بمحض إرادته، ولم يفعل مايفعله إلاّ بعزمه واختياره.

فالعلم اليقيني بكون «السم» قاتلاً، هو الذي أوجب امتناع الإنسان عن تناوله بمحض إرادته وكامل اختياره، وكان تناوله مستحيلاً وقوعاً بالنسبة إلى هذا الإنسان العالم به.

ومن هذا نعرف أنّه لا تنافي بين الحتمية والاختيار. فعدم صدور الفعل من الإنسان مع أنّه حتمي لا يتخلّف، لا ينافي كونه مختاراً فيه. فالعالم بأنّ السمّ قاتل يستحيل عليه وقوعاً تناوله حال علمه وعدم غفلته وطلبه للحياة والبقاء، مع أنّه مختار في تناوله.

وبعبارة أخرى: إنّ عدم تناول السمّ بالنسبة إلى مثل هذا الشخص حتمي، مع أنّه مختار لا قوّة تمنعه عنه إلاّ قوّة إرادته، إذاً فالحتمية لا تنافي الاختيار.

ويُتضح ذلك أيضاً بالتأمل في قدرة الله تعالى واختياره المطلق، حيث إنَّه سبحانه قادر على الظلم وعلى فعل القبيح، وقادر على خلف الوعد، وكل ذلك مستحيل وقوعه منه عزَّوجلَّ. وهذه الاستحالة الوقوعية لا تنافي اختياره المطلق، ولا يمكننا تصوّر الجبر في ذاته المقدّسة.

كما أنّنا قد نجد فعلاً واحداً يمارسه شخص ولا يفعله آخر، وما ذلك إلاّ لاختلاف علمهما في الفعل، أو فقل: اختلاف الصورة العلمية لكل واحد منهما، إذ هي المنشأ في الفعل والترك. ومن البديهي أن يكون فاعل الفعل قد وجده مطابقاً لمتطلباته النفسية، بخلاف الآخر حيث لا يجده كذلك. ومنه نعرف أسباب تفاوت الناس في الطاعة والمعصية، بل قد يتفاوت الإنسان الواحد، فيجمع بين الطاعات والمعاصي، وما ذلك إلاّ من اختلاف العلم الذي هو المنشأ لصدور الأفعال، كما قال العلامة الطباطبائي:

«فاختلاف أفعالنا طاعة ومعصية لاختلاف علمنا الذي يصدر عنه الفعل. ولو دام أحد العلمين، أعني الحكم بوجوب الجري على العبودية وامتثال الأمر الإلهي لما صدر إلاّ الطاعة، ولو دام العلم الآخر الصادر عنه المعصية والعياذ بالله لم يتحقّق إلاّ المعصية»<sup>(١)</sup>.

أضف إلى ذلك الممارسات العبادية نفسها فقد تختلف أيضاً باختلاف الصورة العلمية المسبّبة والدافعة نحو العمل لدى مؤدّيها، إذ قد تكون خوفاً من العذاب وتجنّباً لما أعدّه الله تعالى للعاصين من النعمة والعقاب تارة، وطمعاً في الثواب، وعلوّ الدرجات في النعيم المقيم الذي لا زوال له

---

(١) الميزان، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٩.

ولا اضمحلال تارة أخرى، وعرفاناً بمقام الربوبية والألوهية ومقام العبودية والفقير تارة ثالثة.

فمن اختلاف هذه الصورة، واختلاف العلم الذي هو المنشأ للعمل تختلف دوافع العمل العبادي، وهذا ما نلاحظه في كثير من الناس حين تأديته للواجبات العبادية حيث تكون في الأغلب على النحو الأول - أعني الخوف من العذاب والعقاب - لكنه في الوقت ذاته يتصدق على الفقراء مثلاً، أو يمارس عملاً مندوباً آخر طلباً لمزيد الثواب ورجاءً لعلو المنزلة عند الله تعالى، وهو ما يشاهده كل منّا في نفسه أيضاً ومن خلال أعماله.

وإلى مراتب العبادة هذه يشير قول الله تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ﴾<sup>(١)</sup>.

ومنه أيضاً قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لم أعبده خوفاً ولا طمعاً، لكنني وجدته أهلاً للعبادة فعبدته»<sup>(٢)</sup>.

مما تقدم يتضح معنى أنّ العصمة سببها «علم مانع من الضلال»،

فهو:

«العلم القطعي بالعواقب الأخروية للمعاصي ورذائل الأفعال، علماً لا يداخله ريب ولا يعتريه شك، علماً تسقط دونه الحجب فيرى صاحبه رأي العين، ويلمس لمس الحسّ تبعات المعاصي ولوازمها وآثارها في النشأة الأخرى.

(١) سورة الحديد: ٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج ١٠، ص ١٥.

ذلك العلم الذي قال تعالى فيه: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ \* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾<sup>(١)</sup>.

فمثل هذا العلم يخلق من صاحبه إنساناً مثالياً، لا يخالف قول ربّه قيد أنملة، ولا يتعدّى الحدود التي رسمها له في حياته قدر شعرة، ولن تنتفي المعصية في حياته فحسب، بل إنّ مجرد التفكير فيها لن يجد له سبيله إليه<sup>(٢)</sup>.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ استشعار عظمة الخالق، والتفاني في معرفته، والعلم اليقيني بمقام الربوبية والألوهية المتعالية، وبمقام العبد والعبودية المحضة الخالصة لله تعالى، كلّ ذلك مانع من ارتكاب كلّ قبيح، ودافع أكيد نحو الطاعة الخالصة والعبادة التي لا يشوبها خوف ولا رجاء، بل كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وجدتكم أهلاً للعبادة فعبدتكم».

وقد تقدّم الكلام في «اليقين» وخصائصه وآثاره في سلوك الإنسان، وما يخلفه من عصمة من الذنوب والمعاصي، بل ومن الخطأ والنسيان، وتقدّم أنّ هذا اليقين هو الحاصل من حضور الحقائق بنفسها عند المتيقّن، وليس هو نتيجة للمقدّمات العقلية والبراهين المنطقية، وسيأتي مزيد توضيح لهذا العلم العاصم من الذنوب.

بهذا اتّضح لنا أنّ السبب أو المنشأ الرئيسي للعصمة هو العلم، فكما أنّ الفرد منّا قد عصمه علمه عن تناول السمّ، وعن المشي عارياً بين

(١) سورة التكاثر: ٥ - ٦.

(٢) الإلهيات، الشيخ جعفر السبحاني، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط ٢، ١٤١١هـ ج ٢، ص ١٠٥.

الناس، وعن إلقاء نفسه من شاهق وغير ذلك، فكذلك النبي والإمام قد عصمه علمه عن كل باطل وضلال في القول أو الفعل أو السلوك، وكما أنّ هذه الأمور لا سبيل لها في تفكير أيّ واحد منّا، كذلك المعاصي بالنسبة إلى المعصومين.

وفي الحقيقة يمكننا تقسيم العصمة إلى قسمين:

١ - عصمة نسبية، وهي الموجودة عند جميع الناس.

٢ - عصمة مطلقة، وهي التي عند الأنبياء والأوصياء وحجج الله على خلقه وأمنائه في بلاده وعباده، عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وتبيّن ممّا تقدّم عدم منافاة العصمة للاختيار، إذ العصمة المطلقة لا تختلف عن العصمة النسبية في مفادها ومضمونها. نعم تختلف في سعة الدائرة وضيقها.

### أقسام العلم

لا يسعنا في هذه العجالة استيفاء بحث العلم وأقسامه، إذ هو موكول إلى دراسات متخصصة في الفلسفة ونظرية المعرفة، لكننا نحاول من خلال المرور السريع ببعض أقسامه إلقاء قدر من الضوء عليه، وما يرتبط منه بطبيعة بحث العصمة، ومن الله التوفيق.

إنّ العلم والمعرفة وإدراك موجود ما، ينحصر بأحد طريقتين لا ثالث لهما:

**الأول:** حضور المعلوم بنفسه لدى العالم به، فيتمّ له إدراكه والعلم به من خلال الحقيقة المعلومّة ذاتها، ومن دون توسّط أيّ شيء، وهذا هو

المصطلح عليه بالعلم الحضوري.

**الثاني:** حضور المعلوم عند العالم به من خلال صورته، فهو لا يدركه من خلال ذاته، بل عبر صورته الحاكية والكاشفة عنه، وهذا يعني وجود وسيط بين العالم والمعلوم، فهو لا يحضر بنفسه لدى العالم ولا يشهده بل يشاهد صورته الحاكية عنه، وهذا هو المصطلح عليه بالعلم الحسولي.

وهذه الوساطة أو الوسائط كثيرة ومختلفة، تختلف من موجود إلى آخر، فالمناظر المرئية لا يحصل العلم بها إلا من خلال جهاز البصر، حيث يلتقط لها صورة ويبعثها إلى النفس فتدركها، ويحصل العلم بها وبخصوصياتها المرئية فقط، مثل الأبعاد الثلاثة واللون وما إلى ذلك.

وهكذا بالنسبة إلى المسموعات فلا يحصل العلم بها إلا بواسطة جهاز السمع، ومثلها بقية الأمور التي تدركها النفس من طريق الحواس الظاهرة.

ولا يقف هذا النوع من العلم عند المحسوسات بالحواس الظاهرة، بل حتى المفاهيم العلمية، فإن العلم بها لا يتحقق إلا بواسطة البراهين والمقدمات المنطقية، وهذه جميعاً علوم حسولية.

فالعلم الحسولي هو الذي يحصل عليه الإنسان عبر وسيط بين المعلوم والنفس الانسانية، من الحواس الظاهرة، أو المفاهيم العقلية، أو غيرهما، كما أن المعلوم في حقيقة الأمر ليس هو نفس الموجود، بل صورة أو مفهوم منه.

وهذا بخلاف النوع الأول من العلم، وهو العلم الحضوري، فإن العلم فيه بالموجود من خلال نفس الحقيقة التي هي عند العالم بها، وشهود النفس لذلك المعلوم مباشرة، ومن دون توسط حاسة أو خيال، أو مقدمات

وبراهين.

هذا، وقد يضيق التعبير عن توضيح هذا النوع من العلم. فمن المفيد إسعافه بالأمثلة الحيّة التي يجدها كل فرد منّا في نفسه.

فمن تلك الإمثلة المدركات الوجدانية للإنسان كالجوع والعطش والألم والحزن والفرح، والحبّ والبغض والخوف والأمن وما إلى ذلك من مدركات الإنسان الوجدانية، فهي كلّها من سنخ العلم الحضورى، ومن الواضح أنّ العلم بها وإدراكها لا يحتاج فيه إلى واسطة حاكية وكاشفة عنها، بل بمجرد وجود أحدها في النفس يحصل العلم به مباشرة، ويدفع بالإنسان نحو آثاره وما يتطلّب ذلك الشعور.

«فعندما يستولي علينا الخوف ندرك هذه الحالة النفسية مباشرة ومن دون واسطة، لا أننا نتعرّف عليها بوساطة الصور أو المفاهيم الذهنية، أو عندما ينبثق (الحبّ) في أنفسنا لأحد أو لشيء فإننا ندرك في أعماقنا هذا الجذب والانجذاب الباطني، أو عندما نقرّر عمل شيء فإننا عالمون بإرادتنا وتصميمنا بلا واسطة.

لا يمكن أبداً أن يحبّ أحدٌ شيئاً، أو يخاف من شيء، أو يتّخذ قراراً للقيام بعمل، ولكنّه لا علم له بحبّه، أو خوفه، أو إرادته»<sup>(١)</sup>.

---

(١) المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، الأستاذ محمّد تقي مصباح اليزدي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٩هـ ج ١، ص ١٧٣.

وأوضح من ذلك هو:

«علم النفس بقواها المدركة والمحرّكة. فعلم النفس بما لديها من قوّة التفكير أو التخيّل، وتلك القوّة التي تستخدم أعضاء البدن وجوارحه إنّما هو علم حضوري ومباشر، لا أنّها تتعرّف على هذه القوى عن طريق الصور أو المفاهيم الذهنية. ومن هنا فإنّ النفس لا تخطئ في استخدامها أبداً، لا تستعمل قوّة الإدراك مكان قوّة التحريك، ولا تقوم بحركات جسمية بالنسبة إلى شيء تريد التفكير فيه»<sup>(١)</sup>.

### فوارق مهمّة بين العلمين

من خلال هذا التقسيم للعلم تنشأ عدّة فوارق بينهما، من أهمّها:

#### ١ - العلم الحضوري غير قابل للخطأ

سبق أن عرفنا العلم الحسولي بأنّه الناشئ من خلال وسيط بين النفس والمعلوم المدرك، وعلى هذا فأيّ خلل يعتري هذه الوسطة يؤثّر تبعاً على النتائج، وهي «العلم»، ويكفي في الخلل عدم الدقّة في التطابق بين الصورة التي يبثّها الوسيط إلى الذهن، والواقع الخارجي لها. وهذا ما نلمسه في جملة من النظريات العلمية التي ثبت عدم تطابقها مع الواقع الخارجي، بسبب وجود مؤثّرات معيّنة أدّت إلى التصرّو الخاطئ عند

---

(١) المصدر نفسه.



صاحب النظرية.

والمحسوسات هي الأخرى لا تسلم من الخطأ أحياناً، ولا أدلّ وأوضح من الحالات التي تسمّى بـ «خداع البصر» كروية السراب ماءً، ومشاهدة العمود منكسراً في الماء... وغير ذلك ممّا نلاحظه في حياتنا اليومية، وكلّه ناشئ من عدم دقّة الوسيط في رسم الصورة ونقلها إلى النفس.

وهذا بخلاف العلوم الحضورية، حيث يكون المعلوم حاضراً بوجوده العيني لدى النفس، فلا يعقل حينئذ خطأ النفس فيه، كيف! وهو حاضر عندها، قد أصبح من شؤون وجودها، متّحداً معها، مرتبطاً بها.

فمتى ما حصل الخوف مثلاً حصل العلم به مباشرة، فهو ليس شيئاً مستقلاً عن العلم به ولا شيئاً خارجاً عن النفس، بل هو من صميمها، متّحداً متضامناً معها.

فالنفس العالمة والمدركة للخوف إذا تسلّط عليها صار شأناً من شؤون وجودها، لحضوره عندها بوجوده العيني لا من خلال مفهومها التصوّري، ومن البديهي حينئذ عدم تصوّر الخطأ والاشتباه، فلا يعقل تسلّط الخوف على النفس وتخيّل هي أنّه حبٌّ مثلاً أو جوع وما إلى ذلك.

## ٢ - العلم الحضورى تشترك فيه جميع القوى

يتمّ إدراك المعلومات بالعلم الحضورى بواسطة قوّة واحدة من القوى لا تشترك معها غيرها، فإدراك المرئيات يتمّ بواسطة قوّة البصر لا غير،

والمسموعات بقوة السمع دون غيرها، كما أنّ إدراك المفاهيم العقلية يتمّ بواسطة القوة العقلية وهكذا جميع المعلومات الحسولية.

أمّا الإدراكات الحسورية، فحيث كان حضورها عند النفس بوجوداتها العينية، لا بواسطة قوة من القوى، فلا يعقل اختصاصها بجانب دون آخر، ولا يمكن أن يدركها جانب واحد من النفس دون آخر، فالنفس بأجمعها وتما قواها تدرك المعلوم والمدرك الحسوري.

أضف إلى ذلك تجرّد النفس، وعدم قابليّتها للانقسام، كما ثبت في بحوث الفلسفة الإسلامية فهي ليست ماديّة، ولا جسمًا، كما أنّها عديمة الأبعاد الثلاثة من الطول والعرض والعمق، وحينئذ تتضح كيف يهجم المعلوم - وهو مجرد أيضاً - على جميع كيان النفس، ولا يختصّ به جانب دون آخر، فتدركه النفس بتمام قواها، ويصبح شأنًا من شؤون وجودها.

يشبه ذلك ما لو وضعنا مصباحاً مضيئاً أمام مصباح مضيء آخر، فإنّ الضوء المنبعث من أحد المصباحين يمتزج ويتخلل جميع أجزاء الضوء في المصباح الآخر. وأيضاً لو وجّهنا زجاجة أمام نور الشمس، فإننا نلاحظ أنّ النور قد تخلل الزجاجة، ونفذ من جميع جوانبها على السواء.

### ٣ - حتمية الأثر في العلم الحسوري

أوضحنا فيما سبق أنّ المنشأ المهمّ لصدور الأفعال من أيّ فاعل مختار هو «العلم»، ولولاه لما أمكن صدور أيّ فعل منه. لكن هذا لا يعني التلازم المطلق بين العلم والعمل، أي أنّ القضية لا تنعكس إلى: (كلّ عالم بشيء لابدّ أن يفعل بما يطابق علمه)، بل غاية التلازم بين الفعل والعلم هو عدم

إمكان صدور الفعل من دون علم.

وهذا ما نشهده في أنفسنا وفي غيرنا. فلا أوضح من الموت، الذي لم تختلف البشرية على اختلاف مذاهبها واتجاهاتها ودياناتها في حتميته ولا بديته، وفي الوقت ذاته تراهم يتهاكون ويتهافتون في جمع المال مثلاً مع أن الكل يعلم بعدم دوام ذلك، ويعلم حتمية الموت والفناء.

كما أن المؤمنين بشريعة السماء وبمبادئها وتعاليمها يخالفونها أحياناً إلى ما تملي عليهم شهواتهم، مع كامل إيمانهم بالشريعة وما نطقت به من تحذير ووعيد للخارجين عنها، وما وعدت به من موعد محتوم للجميع؛  
﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾<sup>(١)</sup>.

فما هو السرّ في عدم تطابق العلم والعمل؟

الجواب: إنّ السرّ في ذلك يكمن في العلم أيضاً، لكنّه هنا يرجع إلى نوعية العلم الذي عند الإنسان؛ فقد تقدّم أنّ الإدراكات والعلوم الحسولية ما هي إلاّ صور ومفاهيم عقلية للحقائق، وما أسرع أن تغيب الصورة عن النفس، وينمحي المفهوم منها، وتغفل النفس عن جميع ذلك، فينتج عدم التوافق بين العلم والعمل، فتراه يخالف فعله جميع معتقداته، وما ذلك إلاّ من غفلة الضمير، وغياب الصورة العلمية عن النفس.

وهذا بخلاف ما لو كان العلم شأناً من شؤون النفس، مرتبطاً بها متضامناً معها، كما في العلوم الحضورية، فلا يعقل غيابه عنها حالة وجوده

(١) سورة النجم: ٣١.

فيها، أو غفلتها عنه حينئذ، بل بمجرد وجوده تفرع النفس إلى آثاره، وتسعى نحو ما يتجانس وذلك المعلوم، كما نلمس ذلك في أنفسنا أيضاً. فبمجرد حصول الحبّ مثلاً تظهر آثاره مباشرة، من الانجذاب النفسي ونحوه، ومثله في ذلك الخوف والألم، فلا يوجد أحدهما إلاّ وتوجد آثاره مباشرة في الإنسان، من الانكماش والقلق النفسي وما إلى ذلك.

وبهذا يتضح الفرق المهمّ بين العلمين الحسولي والحضوري، إذ ربما تغفل النفس عن الأوّل منهما، ويغيب عنها، فلا يظهر له أيّ أثر في الحياة العملية بخلاف الثاني، فلتمكنه من النفس واتّحاده معها تظهر آثاره العملية في لحظة وجوده، ويؤثر أثره المطلوب في النفس.

لكن الملاحظة الجديرة بالالتفات هي: أنّ العلوم الحضورية ليست جميعها بدرجة واحدة من الجلاء والوضوح، وليست متساوية من حيث الشدّة والضعف.

«وإنّما يتمتّع العلم الحضوريّ أحياناً بقوة وشدّة كافية تجعله يتمّ بصورة واعية، ولكنّه يحصل أحياناً أخرى بصورة ضعيفة وباهتة، فيظهر بصورة نصف واعية، وحتىّ أنّه يتمّ أحياناً بصورة غير واعية»<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك ضعف الالتفات إلى المعلوم فإنّه يوجب ضعف إدراك النفس به. فالذي يعاني من شدّة آلامه، إذا توجّه نحو شيء آخر، ووجّه إليه التفاتة لا يدرك شدّة الآلام حينئذ. ومن الواضح أنّ الذي خفّ وضعف هو التفات النفس وتوجّهها، لا الألم نفسه.

(١) المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٨ - ١٧٩.

«وقد ثبت في محله أن للإنسان علماً حضورياً بخالقه، ولكنه نتيجة لضعف مرتبته الوجودية، ولزيادة التفاته إلى البدن والأمور المادية، فإن ذلك العلم ينزوي في اللاوعي. لكنه بتكامل النفس والحد من الالتفات للجسم والأمور المادية، وتنمية التوجهات القلبية لله سبحانه وتعالى، فإن ذلك العلم يصعد إلى مراتب من الوضوح والوعي بحيث يؤهل صاحبه أن يقول: أكون لغيرك من الظهور ما ليس لك؟!»<sup>(١)</sup>.

كما في دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة.

وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الفخر الرازي في تفسيره:

«إشارة إلى أن المانع من التوحيد هو الحياة الدنيا. وبيان ذلك: هو أنهم إذا انقطع رجائهم عن الدنيا رجعوا إلى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووحدوا وأخلصوا، فإذا أنجاهم وأرجأهم عادوا إلى ما كانوا عليه من حب الدنيا وأشركوا»<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ

(١) المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٥.

(٣) تفسير الفخر الرازي، مصدر سابق، ج ٢٥، ص ٩٢.

فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا<sup>(١)</sup>.

قال الطباطبائي في الميزان:

«وفي الآية حجة على توحيده تعالى في ربوبيته، ومحصله: أن الانسان إذا انقطع عن جميع الأسباب الظاهرية وأيس منها لم ينقطع عن التعلق بالسبب من أصله ولم يبطل منه رجاء النجاة من رأس، بل رجا النجاة وتعلق قلبه بسبب ما، يقدر على ما لا تقدر عليه سائر الأسباب. ولا معنى لهذا التعلق الفطري لولا أن هناك سبباً فوق الأسباب، إليه يرجع الأمر كله، وهو الله سبحانه، وليس يصرف الإنسان عنه إلا الاشتغال بزخارف الحياة الدنيا والتعلق بالأسباب الظاهرية، وأغفله عما وراءها»<sup>(٢)</sup>.

والحاصل: أن العلوم الحضورية ليست كلها بدرجة واحدة من الوضوح والجلال، بل تختلف وتتفاوت فيما بينها شدة وضعفاً، وما ذلك إلا بسبب ضعف التفات النفس إليها، أو المرتبة الوجودية، أو التكامل النفسي، وما إلى ذلك مما تكفلت الفلسفة الإسلامية بيانه وتوضيحه.

والملاحظة الأخرى: هي أن العلوم الحسولية أيضاً قد تنطبع في النفس فتتمكّن منها لتصبح جزءاً من وجودها، وشأناً من شؤونها، فتظهر آثارها في الحياة العملية، ولا تتخلف عنها، كما في علمنا نحن بما في «السم» من أضرار بالغة، مع أنه علم حصلنا عليه بواسطة التعليم، لكنه

(١) سورة الاسراء: ٦٧.

(٢) الميزان، مصدر سابق، ج ١٣، ص ١٥٤.

نتيجة الحثِّ والتكرار بلغ مرتبة من الوضوح جعلته متمكناً من النفس منطبعاً فيها، لا يزول عنها، كما لا تغفل هي الأخرى عنه.

ومنه يتضح لنا نوع العلم الذي زُوِّد به المعصوم، فدفعه نحو الطاعة، ومنعه من ركوب المعصية، فهو من العلم الحضوري الذي تشهده النفس عياناً ومن دون أيِّ واسطة حسّية أو عقلية، فيتحد مع النفس ويصبح شأناً من شؤونها، وقوة من قواها، لا ينفك عنه الأثر، ولا تتطرق إليه الغفلة ولا النسيان.

فالمعصوم يشهد من خلال هذا العلم الحضوري من جلال ربِّه وعظمته وكبريائه وآلائه ما لا حدَّ له من العظمة والكبرياء والكمال والجلال ما يدفع به لأن يقول: من أعماقه:

«بك عرفتك ، وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك...»<sup>(١)</sup>.

أو يقول:

«سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك»<sup>(٢)</sup>.

أو يوصي ولده فيقول له:

«لا تخرجنَّ نفسك عن حدِّ التقصير في عبادة الله عزَّوجلَّ وطاعته، فإنَّ الله لا يُعبد حقَّ عبادته»<sup>(٣)</sup>.

وفي الوقت ذاته يشهد عياناً آثار الأعمال ونتائجها، من الطاعات

(١) من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام، انظر: بحار الأنوار (مصدر سابق)، ج ٩٥ ص ٨٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ٢١٧.

(٣) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٢.

والمعاصي، فلا تكاد تفارقه الجنة ونعيمها، كما لم تغب عنه الجحيم وآلامها، هذه وتلك حاضرة لدى المعصوم، لا يغفل عنها، ولا تختفي عن عينيه.

وإلى هذا ونحوه يشير أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته التي يصف فيها المتقين إذ يقول:

«عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها، فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها، فهم فيها معذبون... قد براهم الخوف بري القداح، ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض، ويقول: قد خولطوا. ولقد خالطهم أمر عظيم...»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

(إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شابّ في المسجد، وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفراً لونه، قد نحف جسمه وغارت عي ناه في رأسه.

فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: كيف أصبحت يا فلان؟

قال: أصبحت يا رسول الله موقناً.

فعجب رسول الله صلّى الله عليه وآله من قوله، وقال: «إنّ لكلّ يقين حقيقة، فما حقيقة يقينك؟!»

فقال: إنّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني، وأسهر ليلي، وأظمأ

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٤٣٩.



هو اجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد نصب للحساب، وحشر الخلائق لذلك، وأنا فيهم، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعمون في الجنّة، ويتعارفون، وعلى الأرائك متكئون، وكأنّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون، وكأنّي الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأصحابه:

«هذا عبد نور الله قلبه بالإيمان».

ثمّ قال له: «الزم ما أنت عليه...»<sup>(١)</sup>.

فإذا كان هذا حال المتّقين فما ظنك بالأنبياء وأئمّة الهدى عليهم السلام؟! وهم الذين رسموا للموقنين كلّ ذلك، ووضعوهم على الطريق اللّاحب، والمحجّة البيضاء.

وقد تقدّم الحديث مفصّلاً عن اليقين الحضورى، واختلافه عن اليقين البرهاني، وأنّ الأوّل منهما هو الذي يحصل بحضور الحقيقة لدى النفس، وهو المشار إليه بقوله تعالى: «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ. لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ»<sup>(٢)</sup>.

وتقدّم أيضاً أنّ السبب الرئيسيّ للتحلّي بهذا النوع من اليقين هو رؤية الملكوت، هذه الرؤية التي حظي بها الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، كما تحدّثنا مفصّلاً عن الوسائل اللازمة لهذه المشاهدة الملكوتية.

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٣.

(٢) سورة التكاثر: ٥، ٦.

## القرآن الكريم يعدّ العلم منشأً للعصمة

يشير القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة أيضاً، ويرى أنّ السبب المانع من ضلال الأنبياء هو ما أتوا به من علم إلهي، ولولاه لأمكن تسلل الضلال إليهم، ووقوعهم في الخطأ وغيره...

١ - قوله تعالى حكاية عن نبيّه يوسف عليه السلام: ﴿وَالْأَلَّا تَصْرَفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فصريح هذه الآية المباركة أنّ الجاهل هو الذي يصبو إلى المعصية، ويقوده هوى النفس إلى ارتكاب ما حرّمه الله تعالى، فمن البديهي أن يكون المانع منها هو العلم.

قال الطباطبائي في «الميزان»:

«إنّ هذه القوّة القدسية - يعني العصمة - من قبيل العلوم والمعارف، ولذا قال عليه السلام: (وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)، ولم يقل: وأكن من الظالمين، كما قال لامرأة العزيز: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، أو: أكن من الخائنين، كما قال للملك: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الخَائِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد فرّق في نحو الخطاب بينهما وبين ربّه، فخاطبهما بظاهر الأمر رعاية لمنزلتهما في الفهم، فقال: إنّّه ظلم

(١) سورة يوسف: ٣٣.

(٢) سورة يوسف: ٢٣.

(٣) سورة يوسف: ٥٢.

والظالم لا يفلح، وإنه خيانة والله لا يهدي كيد الخائنين،  
وخاطب ربه بحقيقة الأمر وهو أن الصبوة إليهن من  
الجهل»<sup>(١)</sup>.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ  
أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ  
عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ  
عَظِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذه الآية الكريمة واضحة الدلالة على أن المنافقين لا يتمكنون  
من إضلال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، أو إلحاق أي ضرر معنوي  
آخر به، أو منعه من تطبيق بعض ما جاءت به شريعته الغراء، أو التأثير عليه  
تأثيراً يبعده عن حكم الله تعالى، وذلك لما زوده الله تعالى من إمكانات  
علمية خاصة، جعلته في حصانة تامة من الضلال.

فالمنشأ الرئيسي لعصمة الأنبياء ومنعهم من ارتكاب المعاصي هو  
العلم الذي زودوا به، وهذا صريح هذه الآيات المباركة وغيرها.

وهذا ما يفسر تركيز القرآن الكريم على أهمية العلم الذي يحمله  
الأنبياء، ذلك العلم الذي يحمل في طياته خصائص عديدة تؤهل الإنسان  
لأن يكون نبياً مرسلًا من الله تبارك وتعالى.

قال الله حكاية عن يوسف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الميزان، مصدر سابق، ج ١١، ص ١٥٤.

(٢) سورة النساء: ١١٣.

(٣) سورة يوسف: ٢٢.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقال عزّ اسمه: ﴿وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كثير من الآيات الكريمة التي أشادت بالعلم الذي منحه الله تعالى وعلمه أنبياءه الكرام، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولم يشأ القرآن الكريم أن يفصح عن نوع هذا العلم وحقيقته، بل تركه مبهمًا لدينا، وأشار إلى بعض آثاره، فكان منها العصمة من كلّ ضلال، كما تقدّم ، ومنها أيضاً تمكّن العالم به من التصرفات غير المألوفة في نظام التكوين. ولا أدلّ عليه من حادثة عرش «بلقيس» ملكة سبأ حينما أحضره العالم لدى سليمان بأقل من طرفة عين، وحكى ذلك القرآن الكريم بقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾<sup>(٣)</sup>.

والآية صريحة بأنّ هذه القدرة الخارقة مستمدة من العلم، لأنّ وصف هذا القائل بأنّه: ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هو كالتعليل لقدرته الفائقة في إحضار العرش بأقل من طرفة عين.

والملاحظة المهمّة في شأن هذا العلم هي: تصريح القرآن الكريم بعدم إمكانية تعلّمه من أحد سوى الله تبارك وتعالى.

قال عزّ من قائل: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النمل: ١٥.

(٢) سورة الأنبياء: ٧٤.

(٣) سورة النمل: ٤٠.

(٤) سورة النساء: ١١٣.

وقال سبحانه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقال عز اسمه - حكاية عن يعقوب -: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكثير من الآيات المباركة التي تنصّ على أنّ هذا العلم من المواهب الربّانية التي يهبها لمن يشاء من عباده، وأنّه بخلاف بقية العلوم التي يكتسبها الإنسان من طرق المعرفة المألوفة، والتي يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

هكذا يتّضح ما تقدّم في تعريف العصمة بأنّها: «لطف يصنعه الله تعالى بالعبد...».

وأنها حسب تعبير العلامة الطباطبائي: «الموهبة الإلهية».

وقال أيضاً: «فالمراد بقوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾: آتاك نوعاً من العلم لو لم يؤتتك إياه من لدنه لم يكفك في إيتائه الأسباب العادية التي تعلّم الإنسان ما يكتسبه من العلوم»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الكهف: ٦٥.

(٢) سورة يوسف: ٨٦.

(٣) سورة المائدة: ١١٠.

(٤) سورة النحل: ٧٨.

(٥) الميزان، مصدر سابق، ج ٥، ص ٨٠.

## روح القدس أ - في القرآن الكريم

عبر القرآن الكريم عن هذا العلم الخاص، الذي يمنح صاحبه ملكة العصمة المطلقة بإذن الله تعالى:

تارة: بـ(رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا)، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾<sup>(١)</sup>.

وأخرى: بـ(روح القدس) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾<sup>(٢)</sup>.

المستفاد من هذه الآيات المباركة ونظائرها:

أولاً: أنّ ما يفيدُه الوحي لنبيّنا الأكرم صلّى الله عليه وآله وبقية الأنبياء عليهم السلام إنّما هو نوع من العلوم الإلهية.

ويفترض أنّا في غنى عن البرهان والاستدلال لهذا المدلول. فالآيات القرآنية المتوافرة صريحة بأنّ الوحي هو أحد وسائط التعليم الإلهي. أمّا بخصوص الآية المباركة محور البحث فإنّها تفيد أنّ هذا الوحي جاء بالعلم التفصيلي لما في الكتاب والإيمان.

ثانياً: أنّ هذا النوع من العلم قد جعله الله تعالى نوراً يهدي به من يشاء من عباده، كما قال تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup>.

---

(١) سورة الشورى: ٥٢.

(٢) سورة البقرة: ٨٧.

(٣) سورة النور: ٣٥.

مشيراً إلى حقيقة أنّ هذا النوع من العلم يتخذ موقفاً من النفس بحيث يصبح كالنور الهادي الذي يصاحب أيّ فرد منا. فكما أنّ المصاحب للنور لا يخطئ طريقه، فكذلك الملهم لهذا العلم.

لهذا السبب نجد القرآن الكريم في حديثه عن الهداية والإيمان يسميهما بـ«النور» أيضاً، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾<sup>(١)</sup>. وقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup>.

فهذه الآيات تشير إلى أنّ حلول الإيمان في النفس، وانسراح الصدر له، هو بمثابة النور الذي يصحبه الإنسان معه لإضاءة طريقه، فلا يضلّ فيه، ولا يتوه مع التائهين.

وهذا هو ما تقدّم من أنّ العلم إذا تمكّن في النفس وتضامن معها أصبح واحداً من قواها وشأنها من شؤونها.

### ب - في الحديث الشريف

يشير إلى هذه الحقيقة أيضاً ما ورد على لسان أهل البيت عليهم السلام في تفسير هذه الآية المباركة: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً...):

(١) سورة الزمر: ٢٢.

(٢) سورة إبراهيم: ١.

(٣) سورة الأنعام: ١٢٢.

١ - الحديث المعتبر عن أبي حمزة الثمالي قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلم، أهو علم يتعلّمه العالم من أفواه الرجال، أم في الكتاب عندكم تقرأونه فتعلمون منه؟

قال: «الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله عزّوجلّ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾».

ثمّ قال: «أيّ شيء يقول أصحابكم في هذه الآية؟ أيقرون أنّه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟»

فقلت: لا أدري جعلت فداك ما يقولون.

فقال لي: «بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، حتّى بعث الله تعالى الروح التي ذكر في الكتاب، فلمّا أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء، فإذا أعطاهها عبداً علّمه الفهم»<sup>(١)</sup>.

٢ - صحيح إبراهيم بن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

أخبرني عن العلم الذي تعلمونه، أهو شيء تعلمونه من أفواه الرجال بعضكم من بعض، أو شيء مكتوب عندكم من رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ فقال:

«الأمر أعظم من ذلك، أما سمعت قول الله عزّوجلّ في كتابه ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

---

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٧٣؛ بصائر الدرجات، مصدر سابق ص ٤٦٠.



## الإيمان ﴿٥﴾

قال: قلت: بلى.

قال: «فلما أعطاه الله تلك الروح علم بها، وكذلك هي إذا انتهت إلى عبد علم بها العلم والفهم». يعرض بنفسه عليه السلام<sup>(١)</sup>.

٣ - حديث عبد الله بن طلحة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

أخبرني يا بن رسول الله عن العلم الذي تحدثونا به، أمن صحف عندكم؟ أم من رواية يرويها بعضكم عن بعض؟ أو كيف حال العلم عندكم؟

قال: «يا عبد الله الأمر أعظم من ذلك وأجلّ، أما تقرأ كتاب الله؟»

قلت: بلى.

قال: «أما تقرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾، أفتررون أنه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟»

قال: قلت: هكذا نقرأها.

قال: «نعم، قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، حتى بعث الله تلك الروح، فعلمه بها العلم والفهم، وكذلك تجري تلك الروح إذا بعثها الله إلى عبد علمه بها العلم والفهم»<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة المجلسي تعليقا على قوله عليه السلام: (الأمر أعظم من

(١) بصائر الدرجات، مصدر سابق ص ٤٥٩؛ بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٢٥، ص ٦٢.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٤٥٨؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٥٩.

ذلك وأوجب):

«قيل: إنما كان الأمر أوجب من ذلك لأنّ الأمرين المذكورين ممّا يشترك فيه سائر الناس، فلا بدّ في الحجّة من أمر يمتاز به عن سائر الناس لا يحتمل الخطأ والشك»<sup>(١)</sup>.

وقال المازندراني:

«أي: أمر علمنا أعظم وأوجب، يعني: ألزم وأتمّ، وأحقّ من أن يكون مأخوذاً من أفواه الرجال، أو مستخرجاً من الكتاب، بل هو من الروح الذي معنا...»<sup>(٢)</sup>.

٤ - صحيح أبي بصير قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي؟»

قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو مع الأئمة، وهو من الملكوت»<sup>(٣)</sup>.

هذا الحديث يشير إلى حقيقة مهمة، وهي أنّ الروح من عالم الملكوت، وقد تقدّم في بحث المراد من الملكوت في القرآن الكريم.

(١) مرآة العقول، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٧٣.

(٢) شرح أصول الكافي والروضة، الميرزا محمد صالح المازندراني، منشورات المكتبة الإسلامية، طهران، إيران، ١٣٨٤هـ، ج ٦، ص ٦٨.

(٣) الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٧٣؛ بصائر الدرجات، مصدر سابق، ص ٤٢٦.

٥ - عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَيَّدَنَا بِرُوحٍ مِنْهُ مَقْدَسَةٌ مَطَهَّرَةٌ، لَيْسَتْ بِمَلَكٍ، لَمْ تَكُنْ مَعَ أَحَدٍ مِمَّنْ مَضَى إِلَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهِيَ مَعَ الْأُمَّةِ مَتًّا، تَسُدُّهُمْ وَتُوقِّعُهُمْ، وَهُوَ عَمُودٌ مِنْ نُورٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث يشير إلى الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم، وهي أنّ هذه الروح عمود من نور، قال تعالى: «وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا»<sup>(٢)</sup>.

٦ - صحيح جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«يَا جَابِرُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: «وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً \* فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ \* وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ \* وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ»<sup>(٣)</sup>. فالسابقون هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَخَاصَّةً اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ جَعَلَ فِيهِمْ خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ..

أَيَّدَهُمْ بِرُوحِ الْقُدُسِ، فِيهِ بُعِثُوا أَنْبِيَاءُ.

وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحِ الْإِيمَانِ، فِيهِ خَافُوا اللَّهَ.

وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحِ الْقُوَّةِ، فِيهِ قَوَّوْا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحِ الشَّهْوَةِ، فِيهِ اشْتَهَوْا طَاعَةَ اللَّهِ وَكَرَهُوا مَعْصِيَتَهُ.

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٢٥، ص ٤٨.

(٢) سورة الشورى: ٥٢.

(٣) سورة الواقعة: ٧ - ١١.

وجعل فيهم روح المدرج ، الذي يذهب به الناس ويحيئون .  
وجعل في المؤمنين ، أصحاب الميمنة ، روح الإيمان ، فيه خافوا الله .  
وجعل فيهم روح القوّة ، فيه قووا على الطاعة من الله . وجعل فيهم روح  
الشهوة فيه اشتهوا طاعة الله . وجعل فيهم روح المدرج الذي يذهب  
الناس به ويحيئون»<sup>(١)</sup> .

٧ - حديث جابر الآخر عن أبي جعفر عليه السلام قال :

سألته عن علم العالم؟ فقال لي :

«يا جابر إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس ،  
وروح الإيمان ، وروح الحياة ، وروح القوّة ، وروح الشهوة .

فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى» .

ثمّ قال : «يا جابر إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدّتان ، إلّا روح  
القدس فإنّها لا تلهو ولا تلعب»<sup>(٢)</sup> .

٨ - حديث المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه  
ستره؟ فقال :

«يا مفضل إنّ الله تبارك وتعالى جعل في النبيّ صلّى الله عليه وآله

خمسة أرواح :

روح الحياة ، فيه دبّ ودرج .

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٤٤٥؛ بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٢٥، ص ٥٣ .

(٢) الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٧٢؛ بصائر الدرجات، ص ٤٤٧ .

وروح القوّة، فيه نهض وجاهد.  
 وروح الشهوة، فيه أكل وشرب، وأتى النساء من الحلال.  
 وروح الإيمان، فيه آمن وعدل.  
 وروح القدس، فيه حمل النبوة.  
 فإذا قبض النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ انتقل روح القدس فصار إلى الإمام.

وروح القدس لا ينام، ولا يغفل، ولا يلهو، ولا يزهو، والأربعة الأرواح تنام، وتغفل، وتزهو، وتلهو، وروح القدس كان يرى به<sup>(١)</sup>.  
 ٩ - صحيح زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾..  
 فقال أبو جعفر عليه السلام: «منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ، وَإِنَّهُ لَفِينَا»<sup>(٢)</sup>.

١٠ - صحيح عليّ بن أسباط قال:

سأله رجل من أهل هيت - وأنا حاضر - عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾؟ فقال:  
 «منذ أنزل الله عزّوجلّ ذلك الروح على محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ وَإِنَّهُ لَفِينَا»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٧٢؛ بصائر الدرجات، مصدر سابق، ص ٤٥٤.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٤٥٧.

(٣) بصائر الدرجات، ص ٤٥٧ ورواه في الكافي (ج ١، ص ٢٧٣) عن أسباط بن سالم.

١١ - الصحيح عن محمد بن سنان<sup>(١)</sup>، عن زياد بن أبي الحلال الكوفي الثقة قال:

كنت سمعت من جابر أحاديث فاضطرب فيها فؤادي، وضقت فيها ضيقاً شديداً، فقلت: والله إن المستراح لقريب، وإنِّي عليه لقويّ، فابتعت بغيراً، وخرجت إلى المدينة، وطلبت الإذن على أبي عبد الله عليه السلام، فأذن لي، فلمّا نظر إليّ قال:

«رحم الله جابراً كان يصدق علينا، ولعن الله المغيرة فإنّه كان يكذب علينا».

قال: ثمّ قال: «فيما روح رسول الله صلّى الله عليه وآله»<sup>(٢)</sup>.

١٢ - حديث الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله عزّ وجلّ: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» قال:

«إنّ الله تبارك وتعالى أحدٌ صمدٌ، والصمد الشيء الذي ليس له جوف. وإنّما الروح خلق من خلقه، له بصر وقوّة وتأيد يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين»<sup>(٣)</sup>.

١٣ - عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:

«في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح البدن، وروح

---

(١) محمد بن سنان، مختلف في توثيقه، وقد وثّقه جملة من الأعلام المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين، وعده الشيخ المفيد في الإرشاد (ج ٢، ص ٢٤٨) من خاصّة الإمام الكاظم عليه السلام وثقاته، وأهل الورع والعلم والفقّه من شيعته.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٤٥٩؛ بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٢٥، ص ٦٢.

(٣) بصائر الدرجات، ص ٤٦٢؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٧٠.

القدس، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح الإيمان.  
 وفي المؤمنين أربعة أرواح، أفقدها روح القدس، وروح البدن،  
 وروح القوة، وروح الشهوة، وروح الإيمان.  
 وفي الكفار ثلاثة أرواح: روح البدن وروح القوة وروح الشهوة.  
 ثم قال: روح الإيمان يلازم الجسد ما لم يعمل بكبيرة، فإذا عمل  
 بكبيرة فارقه الروح .

وروح القدس من سكن فيه فإنه لا يعمل بكبيرة أبداً<sup>(١)</sup>.

١٤ - صحيح أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

جُعِلت فداك، أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ  
 وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ  
 لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ \* صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا  
 فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ؟﴾

قال: «يا أبا محمد؛ خلق والله أعظم من جبرئيل وميكائيل، وقد كان  
 مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده، وهو مع الأئمة  
 عليهم السلام يخبرهم ويسددهم»<sup>(٢)</sup>.

١٥ - صحيح محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول  
 الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا

(١) بصائر الدرجات، ص ٤٤٧؛ بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٢٥، ص ٥٤.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٤٥٥؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٥٩.

الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾: فقال:

«خلق من خلق الله، أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَخْبِرُهُ وَيَسُدُّهُ، وهو مع الأئمة من بعده»<sup>(١)</sup>.

١٦ - حديث سماعة بن مهران، قال:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«إنَّ الروحَ خلقَ أعظمَ من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَسُدُّهُ وَيُرْشِدُهُ، وهو مع الأوصياء من بعده»<sup>(٢)</sup>.

هذه النصوص وعشرات مثلها، كلُّها تشير إلى الحقائق التالية:

١ - إنَّ الأنبياء والأوصياء عموماً مؤيِّدون مسدِّدون بروح القدس.

٢ - روح القدس خلق من خلق الله تعالى، أعظم من جبرئيل وميكائيل.

٣ - إنَّه سبب علمهم بكلِّ شيء، ومنه ملكوت السماوات والأرض، وهذه الروح من الملكوت.

٤ - إنَّه كان مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وهو مع الأئمة عليهم السلام من بعده.

واختلفت النصوص فيما بينها، فبعضها يثبت روح القدس لجميع الأنبياء، كما في حديث جابر (إنَّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس...)، وخصَّه البعض الآخر برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كما في

(١) بصائر الدرجات، ص ٤٥٧؛ بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٢٥، ص ٦١.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٤٥٦؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٦٠.



أكثر النصوص المتقدمة، الأمر الذي سنعالجه فيما يأتي.

وهنا تنشأ عدة تساؤلات، نطرحها للإجابة عنها، وهي كما يلي:

السؤال الأول: هل تعني هذه النصوص أنّ روح القدس حقيقة غيبية ترافق الإنسان النبي أو الوصي، تعلّمه وترشده، أم هي تعبير آخر عن قوّة نفسانية يتحلّى بها هؤلاء؟

الجواب: إنّ لا تنافي بين الاحتمالين. فلا محذور من أن يكون الشيء الواحد مخلوقاً من خلق الله تعالى، مستقلاً في نفسه، وله مظهر وتجلّ في الإنسان إذ يمثّل قوّة من قواه، تنبعث منها آثار معيّنة. ولا أوضح من العقل، الذي هو مخلوق لله تعالى، مستقلّ كبقية المخلوقات.

ففي الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«لما خلق الله العقل استنطقه.. ثمّ قال له: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ. ثمّ قال له: أدير، فَأَدْبَرَ. ثمّ قال: وَعَزَّتِي وَجَلَالِي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك، ولا أكملتك إلاّ فيمن أحبّ، أما إني إياك أمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب»<sup>(١)</sup>.

وفي الوقت ذاته نجد العقل واحداً من أهمّ قوى الإنسان، وبه يمتاز عن غيره، وهو القوّة الفاعلة في التمييز بين الحقّ والباطل، والخير من الشرّ، وبه بلغ الإنسان ما بلغ من الرقيّ والتقدّم.

وما العقل الذي يتمتّع به الإنسان إلاّ مظهر وتجلّ لتلك الحقيقة المستقلّة، المسمّاة في الرواية المتقدمة بـ«العقل»، الذي خلقه الله تعالى

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٠.

واستنطقه، وقال له: «أما إني إياك أمر، وإياك أنهي، وإياك أعاقب، وإياك أُثيب».

وهكذا بالنسبة إلى «روح القدس»، فإلى جانب كونه خلقاً من خلق الله تعالى، أعظم من جبرئيل وميكائيل، كما نطقت به النصوص المتقدمة، يكون مظهره وتجليه في شخصيّة الإنسان النبي أو الوصي. فهو قوّة قدسية فيه، كواحدة من قواه، تمنحه العلم والفهم، وتعصمه من الضلال في العلم والعمل والسلوك.

وهذا ما نجد شواهدة فيما تقدّم من النصوص، حيث ورد التعبير في بعضها «وإنه لفينا»، أو «جُعِل في الأنبياء خمسة أرواح»، وما إلى ذلك، فهي تشير إلى حقيقة «روح القدس» وأنه خلقٌ من خلق الله تعالى كحقيقة العقل وحقيقة العلم ونحوهما، فهما مخلوقان مستقلّان، وفي الوقت نفسه يمثلان قوّة من قوى النفس.

هذه النصوص لا تعني من «روح القدس» وجود شخص غيبيّ مصاحب للإنسان النبي أو الإمام أو المؤمن، يعلم هذا ويرشد ذاك ويمنع الآخر! كلاً بل هو تعبير آخر عن القوى النفسانية التي يتحلّى بها هؤلاء، تورثهم علماً يكون فيما بعد جزءاً من كيانهم، وشأناً من شؤونهم، وإن كانت هذه القوّة في حقيقتها مخلوقاً مستقلاًّ كسائر المخلوقات.

نلاحظ ذلك أيضاً من خلال تقسيم الأرواح في هذه النصوص وغيرها إلى روح الحياة، وروح القوّة، وروح الشهوة. ومن الواضح أنّ جميع هذه الأرواح ليست بالأمر الاستقلالية عن الإنسان، بل ليست هي إلاّ تلك القوى والغرائز التي يملكها كلّ فرد منّا، ويمتاز الصفوة من الناس بقوى

إضافية مستقاة مما أوتوه من علم ومعرفة فائقين.

فكما أنّ المؤمن يستمدّ من إيمانه العميق بالله تعالى قوّة يخوض بها غمار المصاعب ويتغلّب عليها، كذلك النبي يستمدّ من الغيب الذي يتّصل به هو مباشرة ما يضيفي عليه من القابليات المفقودة عند جميع أبناء جنسه، ويجعل منه قوّة فاعلة في المجتمع الإنساني، ومنشأ ذلك هو «روح القدس» الذي يمنحه علماً خاصاً تمتاز به الصفوة المختارة من الناس.

لهذا نجد تأكيد نصوص السنّة الشريفة على أنّ «روح الإيمان» قد تصاب بنوع من الضعف، وربّما تصل إلى درجة من الاضمحلال ومفارقة المؤمن، وذلك عندما يمارس معصية من المعاصي:

ففي الموثّق عن ابن بكير قال:

قلت لأبي جعفر عليه السلام في قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا زنى الرجل فارقه روح الإيمان؟

قال: «هو قوله ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾، ذاك الذي يفارقه»<sup>(١)</sup>.

وغيره كثير في هذا المضمون، ولا يعني ذلك إلاّ عدم انسجام المعصية مع الروح الإيمانية التي كان يتحلّى بها المؤمن، وتبدّل الصورة العلمية لديه من الطاعة والعبودية، إلى النزول عند نزوات نفسه ورغباتها.

قال العلامة الطباطبائي، في تعليقه على «الكافي»، تعقيباً على بعض النصوص الدالّة على تأييد المؤمن بالروح:

«قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٨٠.

يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا... ﴿١﴾، دلت الآية على ما يخص الله تعالى به الإيمان في مقابل الكفر من الآثار، وهو النور الذي يسري في أفعال العبد، فيرى به الخير، ويفرقه من الشر، ويميز به النفع من الضر.

والدليل على أن هذا النور لغاية الإبصار قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢﴾، وهذا النور الذي هو نور الإبصار والإدراك من خواص الحياة، كما أن نور الإدراك الحسي والخيالي، في الإنسان وسائر أنواع الحيوان، لا يتحقق إلا بعد تحقق الحياة. وهذه الحياة التي أثبتها الله تعالى للمؤمن حياة خاصة، زائدة على الحياة العامة التي يشترك فيها المؤمن والكافر. فللمؤمن حياتان، وللکافر حياة واحدة.

ومن هنا يمكن للمتدبر أن يحدس أن للمؤمن روحاً آخر، وراء الروح الذي يشترك فيه المؤمن والكافر، فإن خاصة الحياة إنما يترشح من الروح، واختلاف الخواص يؤدي إلى اختلاف المبادئ.

وهذا هو الذي يظهر من مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

(١) سورة الأنعام: ١٢٢.

(٢) سورة الأعراف: ٢٠١.

وَكَلُوا كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ  
أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ...<sup>(١)</sup>،  
وهو الذي تدلّ عليه هذه الرواية.

وليست هذه الروح من الملائكة، فإنّ الله تعالى أينما ذكر  
الروح عدّه غير الملائكة، كقوله: «يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ  
مِنْ أَمْرِهِ...»<sup>(٢)</sup>، وقوله: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ  
صَفًّا»<sup>(٣)</sup>، وقوله: «تَنزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا...»<sup>(٤)</sup> إلى غير  
ذلك، فهذه الروح غير الملائكة الداعية إلى الخير، كما أنّها  
غير الروح المشتركة بين المؤمن والكافر على ما عرفت.

نعم، يمكن أن يقال: إنّ هذه الروح ليست مغايرة للروح  
الإنساني بالعدد، بل إنّما هي مغايرة لها بحسب المرتبة، كما  
وقع نظيره في الرواية حيث عدّ روح الحركة مغايرة لروح  
الشهوة، مع أنّ المغايرة بينهما إنّما هي بحسب المرتبة دون  
العدد»<sup>(٥)</sup>.

وبهذا يتضح اختلاف النصوص في التعبير عن الروح القدسية، تارة  
بأنّها معهم تسلّدهم وتخبرهم، وأخرى بأنّها فيهم.

خلاصة القول: إنّ القرآن الكريم والسنة الشريفة قد أكّدا الحقيقة التي

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

(٢) سورة النحل: ٢.

(٣) سورة النبأ: ٣٨.

(٤) سورة القدر: ٤.

(٥) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٧٥.

أوضحناها فيما سبق، وهي أنّ «روح القدس» قوّة تمنح صاحبها علماً يصل من الوضوح والجلاء إلى درجة تجعله كواحد من القوى الإنسانية المتكثّرة، وعليه فلا يمكن أن يتخلّف عنه الأثر، كما في بقيّة القوى، فمن يمتلك قوّة البصر مثلاً لا بدّ أن يبصر مادام مريداً له، ولم يواجهه بمانع خارجي، ولا يعقل تخلف ذلك في حقّه، وهكذا البواقي.

السؤال الثاني: كيف نوفّق بين النصوص الدالّة على اختصاص روح القدس بالرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام من بعده، وبين النصوص الدالّة على أنّ هذه الروح القدس هي عند الأنبياء أيضاً، وهو صريح القرآن الكريم أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾<sup>(١)</sup>؟

الجواب: أجيب عن هذا التساؤل في كلمات الأعلام بعدّة وجوه، إلّا أنّ أفضلها ما ذكره العلامة المجلسي حيث يقول:

«أن يكون روح القدس نوعاً تحته أفراد كثيرة. فالفرد الذي في النبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، أو الصنف الذي فيهم، لم يكن مع من مضى.

وعلى القول بالصنف يرتفع التنافي بين ما دلّ على كون نقل الروح إلى الإمام بعد فوت النبيّ صلّى الله عليه وآله، وبين ما دلّ على كون الروح مع الإمام من عند ولادته، فلا تغفل»<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة البقرة: ٨٧.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٢٥، ص ٦٧.

إلا أنه يمكن أن يقال: إن الاختلاف ليس فردياً أو صنفياً، وإنما هو على أساس المراتب التشكيكية والمتفاوتة لحقيقة الروح عند الأنبياء وعند رسول الله صلى الله عليه وآله من حيث تجلياتها ومظاهرها في هذا العالم، فهي حقيقة واحدة والفارق في الشدة والضعف. فما يتمتع به نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله هو أكمل مراتب الروح القدسية، وتتفاوت في الأنبياء والأولياء عليهم السلام بحسب مقامهم، والأنبياء يتفاضلون فيما بينهم، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد أشارت النصوص السابقة إلى تناقص روح الإيمان عند صدور المعصية من المؤمن، وهي توضح لنا كيف أنّ الحقيقة الواحدة تقوى وتضعف، ومثلها الملكات عند الناس، فليست ملكة الاجتهاد مثلاً بمرتبة واحدة عند جميع المجتهدين، ولا ملكة العدالة متساوية النسبة بين العدول، بل هي متفاوتة عندهم، شدة وضعفاً، مع كون الحقيقة التي يتحلّى بها الجميع واحدة.

ومن هذا يتضح لنا التوفيق بين ما دلّ من النصوص على أنّ روح القدس تنتقل إلى الإمام بعد رحلة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أو الإمام السابق، وبين ما تصرّح مجموعة أخرى بأنّ هذه الروح تصاحب المعصوم من حين ولادته.

والتوفيق بينهما واضح على البيان المتقدم، فإنّ التي تنتقل في لحظة

(١) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٢) سورة الإسراء: ٥٥.

ارتحال المعصوم السابق إنما هي المرتبة القصوى من مراتب الروح القدس، أما التي كانت عنده يوم ولادته فهي أضعف من هذه، ومرتبة دونها، وهذا ما أشار إليه العلامة المجلسي أيضاً في كلامه السالف.

السؤال الثالث: حيث كانت هبة هذه الروح من الله تعالى لحظة ولادة المعصوم، فهو غير مختار فيها، ولازم ذلك أن تكون العصمة غير اختيارية أيضاً، لأنها من آثار الروح القدس؛ فكيف تقولون بأنها اختيارية؟

الجواب:

١ - لازم هذا أن يكون الله تعالى مجبراً في أفعاله، غير مختار ولا يريد لها، لأنّ فعله مسبّب عن علمه تعالى، وعلمه غير اختياري له، بمعنى عدم إمكان التجرد والانفصال منه، لأنّه عين ذاته سبحانه، وبطلان هذا الفرض من بديهيات الإيمان به تبارك وتعالى.

٢ - إنّ العلم ليس هو العلة التامة لصدور الفعل من العالم، بل موقعه موقع المقدمات التي يتوصّل بمجموعها إلى النتائج، والعلم واحد من هذه المقدمات، وبالتعبير العلمي: إنّ العلم من مبادئ صدور الفعل عند العالم.

«فالإنسان المعصوم إنّما ينصرف عن المعصية بنفسه وعن اختياره وإرادته، ونسبة الصرف إلى عصمته تعالى كنسبة انصراف غير المعصوم عن المعصية إلى توفيقه تعالى.

ولا ينافي ذلك أيضاً ما يشير إليه كلامه تعالى وتصرّح به الأخبار أنّ ذلك من الأنبياء والأئمّة بتسديد من روح القدس، فإنّ النسبة إلى روح القدس كنسبة تسديد المؤمن إلى روح الإيمان، ونسبة الضلال والغواية إلى الشيطان



وتسويله، فإنّ شيئاً من ذلك لا يُخرج الفعل عن كونه فعلاً صادراً عن فاعله، مستنداً إلى إرادته واختياره»<sup>(١)</sup>.

**الخلاصة:** إنّ الآيات الكريمة والروايات تنصّ على وجود روح قدسية عند الأنبياء والأولياء، تمنحهم علماً وقوّة قدسية يمتنعون بها عن معاصي الله تعالى، وعن كلّ خطأ في القول أو العمل أو السلوك.

وهذه الروح ليست كلها بمرتبة واحدة عند الجميع، بل تتفاوت مرتبتها شدةً وضعفاً من وليّ لآخر، وربّما كان هذا التفاوت سبباً للتفاضل فيما بينهم.

ومن ثمّ نجد السؤال الآتي يطرح نفسه، وهو:

لماذا اختصّ الله تعالى هؤلاء الصفوة بهذه الروح القدسية، وهذا العلم الخاصّ؟ ولقد كان بالإمكان أن يهبه لجميع الناس فيعتصموا به من كلّ معصية وخطيئة!

فلماذا هذا الاختيار؟ ولماذا هذا الاصطفاء؟

تقدّم بعض الحديث عن اختلاف الاستعدادات، وعن السنّة الإلهية في إعطاء كلّ مستعدّ على قدر استعداده، وتأتي بقيّة الحديث في بحث «الإرادة» إن شاء الله تعالى.

---

(١) الميزان، مصدر سابق، ج ١١، ص ١٦٣.

## الإرادة

ثمّ بحوث كثيرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ لا سيّما فيما يرتبط  
ببحث الإرادة.

جدير بالذكر أنّ لفظ «إنّما» من أدوات الحصر، كما نصّ على ذلك  
علماء اللغة العربية، فتدلّ على حصر إرادته تعالى بإذهاب الرجس عن  
هؤلاء البررة وتطهيرهم، فلا إرادة له تعالى خلاف هذه، كما قال الراغب  
في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ...﴾<sup>(١)</sup>، «أي ما حرّم إلّا  
ذلك»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر الهيتمي:

«ثمّ هذه الآية منبغ فضائل أهل البيت النبوي، لاشتمالها  
على غرر مآثرهم، والاعتناء بشأنهم، حيث ابتدأت بـ(إنّما)  
المفيدة لحصر إرادته تعالى في أمرهم على إذهاب الرجس  
الذي هو الإثم أو الشكّ فيما يجب الإيمان به عنهم،  
وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة، وسيأتي  
في بعض الطرق تحريمهم على النار، وهو فائدة ذلك  
التطهير وغايته...»<sup>(٣)</sup>.

أمّا لفظ الإرادة فهي ومشتقاتها من الألفاظ القرآنية الكثيرة الاستعمال

---

(١) سورة البقرة: ١٧٣.

(٢) المفردات، مصدر سابق، ص ٢٧.

(٣) الصواعق المحرقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي، مكتبة القاهرة، مصر، ص ١٤٤.

فيه، وهي أيضاً من الألفاظ الشائعة في المحاورات العرفية.

واصطلح الأصوليون على تقسيم الإرادة إلى:

١ - تكوينية، وهي: إرادة الشخص صدور الفعل عنه بنفسه، من دون تخلل إرادة غيره في صدوره، كما في إرادة الله تعالى خلق العالم، وإيجاد الأرض والسماء، وكإرادتك أكلك وشربك وصلاتك وصيامك.

٢ - تشريعية، وهي: إرادة الشخص صدور الفعل من غيره، بإرادته واختياره، كما في إرادة الله تعالى صدور العبادات والواجبات من عباده، باختيارهم وإرادتهم، لا مجرد حصولها بأعضائهم، وصدورها بأبدانهم بدون تخلل القصد منهم، وكما في إرادتك صدور الفعل من ابنك وخادمك بلا إجبار منك وإلجاء<sup>(١)</sup>.

قال الطباطبائي:

«للمشيئة والإرادة انقسام إلى الإرادة التكوينية الحقيقية، والإرادة التشريعية الاعتبارية.

فإن إرادة الإنسان التي تتعلّق بفعل نفسه نسبة حقيقية تكوينية، تؤثر في الأعضاء الانبعاث إلى الفعل، ويستحيل معها تخلفها عن المطاوعة، إلا لمانع.

وأما الإرادة التي تتعلّق منّا بفعل الغير، كما إذا أمرنا بشيء أو نهينا عن شيء، فإنّها إرادة بحسب الوضع والاعتبار، لا

---

(١) اصطلاحات الأصول، الشيخ الميرزا عليّ المشكيني، مطبعة الهادي، قم، إيران، ط ٥، ١٤١٣هـ، ص ٢٩.

تتعلّق بفعل الغير تكويناً، فإنّ إرادة كلِّ شخص إنّما تتعلّق بفعل نفسه من طريق الأعضاء والعضلات.

ومن هنا كانت إرادة الفعل أو الترك من الغير لا تؤثر في الفعل بالإيجاد والإعدام، بل تتوقّف على الإرادة التكوينية من الغير بفعل نفسه، حتّى يوجد أو يترك عن اختيار فاعله لا عن اختيار أمره وناهيه...»<sup>(١)</sup>.

وحيث إنّ يصبح الفارق الرئيسي بين هذين القسمين هو تخلّل إرادة اختيارية بين المرید وتحقّق الفعل المراد، وعدم تخلّلها في ذلك. فمتى كان بإمكان إرادة الطرف الآخر أن تحوّل بين الفعل ومريده، كانت تلك الإرادة من القسم الثاني - أعني التشريعية - وإلاّ فهي من القسم الأوّل أي التكوينية.

من هذه القسمة الحاصرة للإرادة، والدائرة بين النفي والإثبات، يتّضح لنا عدم إمكان قسم ثالث لها.

ويتّضح أيضاً عدم إمكان تخلّف الإرادة عن تحقّق الفعل المراد خارجاً في الحالة الأولى، وذلك لكون الإرادة على أقلّ التقادير هي الجزء الأخير من العلة، وأنّ استحالة تخلّف المعلول عن العلة من البديهيات. وهذا بخلاف الحالة الثانية لها، حيث يمكن فيها عدم تحقّق الفعل خارجاً من خلال إرادة الغير المتوسطة بينها وبين الفعل، كما في حالات عصيان التشريع وعدم امتثاله.

(١) أصول الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٥١، تعليقة رقم (١).

وفي الواقع فإنّ كلا القسمين من الإرادة يستحيل تخلفه عن المراد، بيد أنّ المراد ومتعلّق الإرادة مختلف فيهما، فهو في القسم الأوّل التحقّق الخارجي للفعل، أمّا في القسم الثاني فتشريعه للمكلفين، فمتى ما شاء تشريع الحكم فلا يعقل تخلف ذلك.

قال في الأصول العامّة للفقّه المقارن:

«وهي يعني التكوينية والتشريعية وإن كانت من حيث استحالة تخلف المراد عنها واحدة، إلّا أنّها تختلف بالنسبة إلى المتعلّق، فإن كان متعلّقها خصوص الأمور الواقعية من أفعال المكلفين وغيرها، سمّيت تكوينية، وإن كان متعلّقها الأمور المجعولة على أفعال المكلفين من قبيل المشرّع سمّيت إرادة تشريعية»<sup>(١)</sup>.

أمّا فيما يرتبط ببحثنا فربّما يقال إنّ الإرادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾، هي من القسم الثاني - أعني التشريعية - فيكون المعنى: (إنّما شرّعنا لكم أهل البيت الأحكام لنذهب عنكم الرجس ونطهركم).

ولكن هذا التفسير للإرادة يتنافى مع الحصر المستفاد من كلمة (إنّما)، إذ من الواضح أنّ الغاية من تشريع الأحكام إذهاب الرجس عن جميع المكلفين لا عن خصوص أهل البيت، ولا خصوصية لهم في تشريع الأحكام، وليست لهم أحكام مستقلة عن أحكام بقيّة المكلفين.

على أنّ حملها على الإرادة التشريعية يتنافى أيضاً مع اهتمام النبيّ صلّى الله عليه وآله بأهل البيت عليهم السلام، وتطبيق الآية عليهم

(١) الأصول العامّة للفقّه المقارن، مصدر سابق، ص ١٤٩.

بالخصوص، كما يأتي ذلك لاحقاً.

كما أنّ حملها على التشريعية يبعدها عن كونها منقبة للمخاطبين بها من أهل البيت؛ لأنها تكون إنشاءً وطلباً للتطهير وإذهاب الرجس من المخاطبين بها، وهذا خلاف ما أجمع عليه المفسّرون في فهم هذه الآية المباركة، من أنّها بصدد الإخبار عن منقبة وفضيلة لأهل البيت، لهذا نجد النزاع قائماً فيما بينهم في شأن نزولها، ويحاول كل فريق إثبات نزولها في قوم دون آخرين.

وهذا خير شاهد على أنّ الآية ليست بصدد الإنشاء والطلب، كما يحاول مدّعو الإرادة التشريعية، بل هي إخبار عن أمر خارجي، وهذا لا ينسجم إلا مع الإرادة التكوينية.

قال الطبرسي:

«فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الإرادة المحضّة، أو الإرادة التي يتبعها التطهير وإذهاب الرجس. ولا يجوز الوجه الأوّل، لأنّ الله تعالى قد أراد من كلّ مكلف هذه الإرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق، ولأنّ هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم، بغير شكّ ولا شبهة، ولا مدح في الإرادة المجردة، فثبت الوجه الثاني»<sup>(١)</sup>.

(١) مجمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج ٨، ص ١٥٩.

وقال الطباطبائي في الميزان:

«ويكون المراد بالإرادة أيضاً غير الإرادة التشريعية، لما عرفت أنّ الإرادة التشريعية، التي هي توجيه التكليف إلى المكلف، لا تلائم المقام أصلاً»<sup>(١)</sup>.

وكلّ هذا شاهد بأنّ هذه الآية المباركة تمثل منقبة كبيرة، وتشير إلى مزيد فضل لمن نزلت في حقّه.

وإذ لم يمكننا حمل الإرادة على التشريعية فلا بدّ من حملها على التكوينية، لأنّ القسمة حاصرة فيهما.

### شبهة حول الإرادة

قد تثار هنا شبهة مؤداها أنّ تفسير الإرادة بالتكوينية ممّا لا يمكن الالتزام به، لكون لازمه الجبر في إذهاب الرجس والتطهير، إذ يستحيل في التكوينية من الإرادة تخلف التحقّق الخارجي للفعل المراد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٢)</sup>، كما تقدّم.

وعلى فرض الجبر ينتفي كلّ من الثواب والعقاب، كما لا يُعدّ الإذهاب والتطهير هذا فضيلة لأهل البيت عليهم السلام، وقد تقدّم فيما سبق أنّ احتمال الجبر في العصمة مرفوض قرآناً، وسنّةً، وعقلاً.

(١) الميزان، مصدر سابق، ج ١٦، ص ٣١٣.

(٢) سورة يس: ٨٢.

**الجواب:**

الإجابة عن هذه الشبهة تجرنا إلى بحث مسألة الجبر والتفويض، ولا يسعنا الخوض فيها هنا، لأنها من أعقد المسائل الكلامية، وليس هذا مجال بحثها<sup>(١)</sup>، ولكننا نحاول تسليط الضوء عليها، بمقدار ما يرتبط بطبيعة البحث، من خلال عدة مقدمات:

**المقدمة الأولى: الملك لله وحده**

من أوليات توحيد الله سبحانه القول بأنه تعالى الخالق لكل شيء، والمالك له ملكاً حقيقياً غير قابل للنقل والانتقال والتفويض.

وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك، وهو صريح الكتاب العزيز أيضاً، قال تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾<sup>(٣)</sup>، وهذه المسألة من الضروريات الغنية عن البرهان والاستدلال.

ومن مقتضيات هذا الملك الحقيقي أنّ المملوك متقوم الوجود بمالكة، حدوثاً وبقاءً وديمومة. فكما أنه محتاج إلى هذا المالك الحقيقي لحظة وجوده وحدوثه فهو محتاج له في بقاءه واستمراريته، بنحو لو عدم المالك لانعدم المملوك تبعاً له، ومنه يتضح أنّ أي تصرف في هذا الكون ومن أي أحد لا بدّ فيه من إذنه تعالى ومشئته التكوينية، وما لم يشأ

(١) بحثنا هذه المسألة تفصيلاً في كتاب «التوحيد.. بحوث في مراتبه ومعانيه»، تقريراً

لدروس السيّد كمال الحيدري، جواد علي كسار - ج ٢، ص ٣٨ - ص ١٣٥، دار فراق.

(٢) سورة المائدة: ٤٠.

(٣) سورة الأعراف: ٥٤.



سبحانه يستحيل وقوع أيِّ فعلٍ أو تصرفٍ في ملكه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولا يقف هذا القانون عند الإنسان وأفعاله الإرادية فحسب، بل ينسحب حتى إلى الأسباب الطبيعية. فالنار مثلاً إنما تؤثر أثرها من الحرارة والإحراق باعتبار المشيئة الإلهية في جعلها علّة لهذه الآثار، ومادامت المشيئة باقية فهي علّة تنبعث منها آثارها، وبدون المشيئة الإلهية لا نار ولا عليّة لها، ولا أدلّ من قصة إبراهيم الخليل عليه السلام، حيث لم تؤثر به النار التي أُلقي فيها، بل تبدّلت هويتها من الإحراق إلى ضده تماماً، خضوعاً للإرادة الإلهية، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(٢)</sup>، ومثل النار غيرها.

وخلاصة القول: إنّ المشيئة والإرادة الإلهية قبل كلِّ فعلٍ ومعه، وبدونها لا يمكن التصرف أيّ تصرفٍ في هذا الكون، وهذا معنى ما تطلقه المدرسة الفلسفية من قولها: «لا مؤثر في الوجود إلا الله تعالى».

### المقدمة الثانية: اختيار الإنسان

للإنسان كبقية الموجودات نشآت متعدّدة قبل هذه النشأة المسماة بـ«الحياة الدنيا»، يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ

(١) سورة التكوير: ٢٩.

(٢) سورة الأنبياء: ٦٩.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٢.

شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿١﴾.

وبعيداً عن تفاصيل هذا الموضوع، أو البرهنة عليه، فمن الواضح أنّ الإنسان كان فاقداً للإرادة والاختيار في تلك النشآت، فلم يكن بمقدوره التصرف أيّ تصرف لا في نفسه، ولا في غيره.

بيد أنه في هذه النشأة (نشأة الحياة الدنيا) وهي مرحلة الإعداد التكاملي في مسيرته، امتلك اختياره في جميع أفعاله وأعماله، فترتبت المسؤوليات عليه، والثواب والعقاب، والمدح والذم، انطلاقاً من حالة الاختيار التي هو عليها.

وبالعكس لو لم يكن يملك مثل هذه الإرادة والاختيار لما صحّ تكليفه، كما لا يصحّ ثوابه أو عقابه، وهذا ما نشهده حتى في سلوكنا اليومي مع الناس، فإنّ فاقد الاختيار لا تصحّ معاقبته ولا معاتبته.

فمن بديهيات التكليف والجزاء كون المكلف مالكاً لزاماً نفسه، مختاراً إذا إرادة في أفعاله، كي يصحّ تكليفه، ويترتب عليه الجزاء، سواءً في ذلك الثواب أو العقاب.

وهذا أيضاً واضح من خلال النصّ القرآني؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾<sup>(٢)</sup>، ولا أوضح من الأمر باتّباع الحقّ والرسول وكتب الله سبحانه وآياته، وما إلى ذلك، أو النهي عن اتّباع الباطل وأهله وإبليس والسبل المؤدّية إلى التشتت والبعيدة عن سبيل الله تعالى، وفي حالة فقدان الإنسان لاختياره تصبح كلّ هذه الأوامر والنواهي غير

(١) سورة الحجر: ٢١.

(٢) سورة الإنسان: ٣.

عملية، بل غير منطقية أيضاً.

لكن الملاحظة الجديرة بالاهتمام أنّ هذا الاختيار لا يعني التفويض المطلق للإنسان، فليس لإرادته أن تصطدم مع الإرادة الإلهية، وقد تقدّم أنّ من مقتضيات الملك الحقيقي، الذي هو الله تعالى وحده، عدم إمكان التصرف في ملكه من دون إذنه ومشئته وإرادته سبحانه وتعالى.

ومن أجل التوفيق بين هاتين الإرادتين إرادة الله تعالى، وإرادة الإنسان، ظهرت النظرية المعروفة في منهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام «لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين»<sup>(١)</sup>، وهذا ما سيُتّضح من خلال المقدمة التالية، إن شاء الله تعالى.

### المقدمة الثالثة: التبعية في الإرادة

إنّ الحكمة الإلهية كما اقتضت إعطاء الإنسان الحرية الكاملة، والاختيار التام في أفعاله، ليصحّ تكليفه وثوابه وعقابه، كذلك اقتضت متابعة إرادته، وإمداده بالأدوات اللازمة في تحقيق ما يريد. فإذا ما شاء الإنسان أن يفعل فعلاً، شاءت الإرادة الإلهية إمداده بالامكانيات المطلوبة لتحقيق ذلك الفعل، فإن شاء السير في طريق الخير والسعادة، كانت المشيئة الإلهية متّفقة مع الإرادة الإنسانية تلك، وبالعكس ما لو شاء أتباع ما تمليه عليه شهواته وغرائزه، فإنّ الإرادة الإلهية لا تخالفه في ذلك.

وهذا يوضّح لنا معنى المقولة المعروفة بأنّ إرادة الله تعالى تابعة لإرادة الإنسان، وأنّ الثانية هي المتبوعة، فلا تعني هذه التبعية سوى ما تقدّم من

(١) بحار الأنوار مصدر سابق، ج ٥، ص ٢.

اقتضاء الحكمة الإلهية تمكين الإنسان ممّا يريد فعله سواءً الخير من ذلك أم الشرّ، ولولا ذلك لما تمكّن الإنسان من تحكيم إرادته، بل يقع في الجبر الذي تقدّم عدم معقوليته، كما أنّ التفويض المطلق خروج عن ملك الله. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾<sup>(١)</sup>.

وبقليل من التأمل في هذه الآيات المباركة تتضح لنا الحقيقة المتقدّمة، فإنّ التيسير ليسرى أو للعسرى من فعل الله تعالى، لكنّه من توابع التصديق بالحسنى أو التكذيب بها، وكلاهما باختيار الإنسان وإرادته.

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا \* وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا \* كَلَّا نُمَدِّدُ هُوْلَاءَ وَهُوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾<sup>(٢)</sup>.

هذه الآيات المباركة - أيضاً - واضحة الدلالة في أنّ الإرادة الأولى إنّما هي للإنسان، ثمّ تتبعها المشيئة الإلهية، فمن يريد العاجلة يريد الله تعالى له ذلك، كما أنّ المرید للآخرة والساعي لها يعطيه الله تعالى ما يريد، وكلّ واحد منهما يستمدّ من عطاء الله تعالى، (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) أي ممنوعاً ومقطوعاً.

قال الفخر الرازي - تعقيباً على هذه الآية المباركة :-

«لأنّ عطاءنا ليس يضيق عن أحد مؤمناً كان أو كافراً، لأنّ

(١) سورة الليل: ٥ - ١٠.

(٢) سورة الإسراء: ١٨ - ٢٠.

الكلّ مخلوقون في دار العمل، فوجب إزاحة العذر، وإزالة العلة عن الكلّ، وايصال متاع الدنيا إلى الكلّ على القدر الذي يقتضيه الصلاح فيبين تعالى أنّ عطاءه غير محظور<sup>(١)</sup>.

وقال الطباطبائي - في حديثه حول الآية الكريمة -:

«والله سبحانه يمدّ الإنسان في أعماله، سواء كان ممّن يريد العاجلة أو الآخرة، فإنّ جميع ما يتوقّف عليه العمل في تحقّقه من العلم والإرادة والأدوات البدنية والقوى العاملة والمواد الخارجية التي يقع عليها العمل ويتصرّف فيها العامل والأسباب والشرائط المربوطة بها كلّ ذلك أمور تكوينية لا صنع للإنسان فيها، ولو فقد كلّها أو بعضها لم يمكن العمل، والله سبحانه هو الذي يفيضها بفضله، ويمدّ الإنسان بها بعطائه، ولو انقطع منه العطاء انقطع من العامل عمله»<sup>(٢)</sup>.

وإلى هذا أشارت نصوص كثيرة من السنّة الشريفة..

١ - ما أخرجه البخاري في الصحيح وغيره، قال:

كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في جنازة فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض، فقال: «ما منكم من أحد إلّا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنّة».

قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل!؟

(١) تفسير الفخر الرازي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ١٨١.

(٢) الميزان، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٦٦.

قال: «اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له ، أمّا من كان من أهل السعادة فييسّر لعمل أهل السعادة ، وأمّا من كان من أهل الشقاء فييسّر لعمل أهل الشقاوة ثمّ قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾»<sup>(١)</sup>.

٢ - الصحيح عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال:

قال الله: «يا بن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء ، وبقوّتي أدّيت فرائضي ، وبنعمتي قويت على معصيتي...»<sup>(٢)</sup>.

٣ - الصحيح عن صالح النيلي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«... إن الله لم يجبر أحداً ، ولا أراد إرادة حتم الكفر من أحد ، ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر ، وهم في إرادة الله وفي علمه أن لا يصيروا إلى شيء من الخير».

قلت: أراد منهم أن يكفروا؟

قال: «ليس هكذا أقول ، ولكنّي أقول: علّم أنّهم سيكفرون ، فأراد الكفر لعلمه فيهم ، وليست هي إرادة حتم ، إنّما هي إرادة اختيار»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة بإستانبول دار الفكر، لبنان، ج٦، ص٨٦؛ صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، بيروت، لبنان، ج٨، ص٤٧؛ سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج١، ص٣٠؛ سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج٣، ص٣٠٢؛ مسند أحمد بن محمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، لبنان، ج١، ص٥، ٨٢، ١٥٧؛ بأدنى تفاوت عند البعض.

(٢) الكافي، مصدر سابق، ج١، ص١٥٢.

(٣) الكافي، ج١، ص١٦٢.

٤ - الصحيح عن رجل من أهل البصرة سأل أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن الاستطاعة، فقال - في حديث -:

«إنَّ الله خلق خلقاً فجعل فيهم آلة الاستطاعة، ثمَّ لم يفوض إليهم، فهم مستطيعون للفعول وقت الفعل مع الفعل إذا فعلوا ذلك الفعل، فإذا لم يفعلوه في ملكه لم يكونوا مستطيعين أن يفعلوا فعلاً لم يفعلوه، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أعزَّ من أن يضادَّه في ملكه أحد...»<sup>(١)</sup>.

٥ - ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في جوابه عن أسئلة الزنديق:

(قال: فما بال ولد آدم فيهم شريف ووضع؟

قال: الشريف المطيع، والوضع العاصي.

قال: أليس فيهم فاضل ومفضول؟

قال: إيَّما يتفاضلون بالتقوى.

قال: فتقول: إنَّ ولد آدم كلُّهم سواء في الأصل لا يتفاضلون إلاَّ

بالتقوى؟

قال: «نعم، إيَّي وجدت أصل الخلق التراب، والأب آدم، والأم

حواء، خلقهم إله واحد، وهم عبيده.

إنَّ الله عزَّ وجلَّ اختار من ولد آدم أناساً طهَّروا ميلادهم، وطيبَّ أبدانهم

وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، أخرج منهم الأنبياء والرسل

فهم أزكى فروع آدم. فعل ذلك لا لأمر استحقَّوه من الله عزَّ وجلَّ ولكن علم

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٦١.

الله منهم حين ذرأهم أتهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً، فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة، والمنزلة الرفيعة عنده..»<sup>(١)</sup>.

والخلاصة: أنّ الله تعالى يفيض - بمقتضى حكمته ووعدته وما كتبه هو على نفسه - على كل فرد ما يطلبه، ويستجيب لكل أحد بمقدار استعداده، ويمدّد الجميع بما يحتاجون إليه من الإمكانيات اللازمة في الطرق التي يسلكونها. فمن شاء أن يسلك سبل الإيمان والرشاد هياً له جميع الأسباب اللازمة لتلك السبل؛ «وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>، ومن شاء الذهاب في طريق الغي والضلالة أمده بما يريد؛ «وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ»<sup>(٣)</sup>. فلا فرق في جميع ذلك بين المؤمن وغيره، كما هو منطوق قوله تعالى: «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ»<sup>(٤)</sup>.

### المقدمة الرابعة: شمولية العلم الإلهي

من بديهيات العقيدة الإسلامية، الواضحة على مستوى القرآن الكريم والسنة الشريفة والدليل العقلي، أنّ الله تعالى عالمٌ بجميع الأشياء، كليّاتها وجزئياتها وكلّ تفاصيلها، لا يغيب عنه تعالى شيء منها، ولا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض، علماً مطلقاً غير متناه، قبل خلقه لها وإيجادها، وبعده.

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ١٠، ص ١٧٠.

(٢) سورة المجادلة: ٢٢.

(٣) سورة الزخرف: ٣٦.

(٤) سورة عبس: ٢٠.



قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال عزوجل: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ \* عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ \* سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>...

إلى غير ذلك من نصوص الكتاب العزيز.

كما أكدت السنة الشريفة هذا المضمون القرآني أيضاً، ونحن في غنى عن استعراض نصوص السنة الشريفة لوضوح هذه الحقيقة، فنكتفي بما ورد فيها من بيان أن علمه تعالى كان قبل خلق الأشياء:

١ - صحيح أيوب بن نوح أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عزوجل: أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكونها، أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها، فعلم ما خلق عندما خلق، وما كوّن عندما كوّن؟

(١) سورة يونس: ٦١.

(٢) سورة الرعد: ٨ - ١٠.

(٣) سورة سبأ: ٣.

فوقَّع بخطه: «لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء، كعلمه بالأشياء بعدما خلق الأشياء»<sup>(١)</sup>.

٢ - صحيح محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال:  
سمعتَه يقول: «كان الله ولا شيء غيره، ولم يزل الله عالماً بما يكون،  
فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه»<sup>(٢)</sup>.

٣ - صحيح منصور بن حازم، قال:  
سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم  
الله عزَّ وجلَّ؟

قال: «لا، بل كان في علمه قبل أن ينشئ السماوات والأرض»<sup>(٣)</sup>.

٤ - ما روي عن عبد الله بن مسكان، قال:  
سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن الله تبارك وتعالى: أكان  
يعلم بالمكان قبل أن يخلق المكان، أم علمه عندما خلقه وبعد ما خلقه؟  
فقال: «تعالى الله، بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه، كعلمه به بعد  
ما كوَّنه، وكذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان»<sup>(٤)</sup>.

٥ - حديث الحسين بن بشَّار، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا  
عليه السلام، قال:

---

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٠٧.

(٢) الكافي، ج ١، ص ١٠٧؛ التوحيد، ص ١٤٥؛ بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٤،  
ص ٦٨.

(٣) التوحيد، مصدر سابق، ص ١٣٥.

(٤) التوحيد، ص ١٣٧.

سألته أيعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون، أو لا يعلم إلا ما يكون؟

فقال: «إنَّ الله تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء، قال عزَّوجلَّ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال لأهل النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، فقد علم عزَّوجلَّ أنه لو ردَّهم لعادوا لما نُهُوا عنه. وعندما قال الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؟ ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فلم يزل الله عزَّوجلَّ علمه سابقاً للأشياء قديماً قبل أن يخلقها، فتبارك ربُّنا وتعالى علواً كبيراً، خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها، كما شاء كذلك، لم يزل ربُّنا عليماً سمياً بصيراً»<sup>(١)</sup>.

٦ - حديث الفتح بن يزيد الجرجاني عن الرضا عليه السلام، قلت:

جُعِلت فداك قد بقيت مسألة:

قال: هات، لله أبوك.

قلت: يعلم القديم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟

قال: «ويحك إنَّ مسألتك لصعبة! أما سمعت الله يقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله: ﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال يحكي قول أهل النار: ﴿أَخْرَجْنَا نَعْمَلُ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾<sup>(٤)</sup>،

(١) التوحيد، مصدر سابق، ص ١٣٦.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٣) سورة المؤمنون: ٩١.

(٤) سورة فاطر: ٣٧.

وقال: ﴿ وَكَوْ رُدُّوْا لِعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ ﴾<sup>(١)</sup>؟ فقد علم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون<sup>(٢)</sup>.

هذه النصوص وكثير غيرها تؤكد حقيقة علم الله تعالى بالأشياء علماً أزلياً قبل خلقه لها وإيجاده إيّاها، بل يعلم سبحانه بممتنع الوجود أن لو وجد كيف يكون، مثل شريكه تبارك وتعالى. فبالرغم من استحالة وجوده العقلية، إلا أن علمه تعالى محيط حتى بهذا المعدوم المستحيل الوجود.

### خلاصة البحث

- ١ - إن الله تعالى هو خالق كل شيء ومالكه، ولا يمكن أن يقع أي فعل من دون إذنه التكويني.
- ٢ - إن الإنسان في هذه النشأة مالك لاختياره وإرادته، والجبر مانع من التكليف، كما أن التفويض خروج عن ملك الله تعالى.
- ٣ - إن الله تعالى قد اقتضت حكمته تبعية مشيئته وإرادته لمشيئة الإنسان وإرادته، وبهذا يتحقق الاختيار للإنسان، وبغير ذلك ينتج الجبر المرفوض.
- ٤ - إن الله تعالى يعلم علماً أزلياً بجميع الأشياء وخصوصياتها وكل تفاصيلها، قبل خلقه لها وإيجاده إيّاها، بل يعلم سبحانه حتى بممتنع الوجود أن لو وُجد كيف يوجد، وكيف يكون.

(١) سورة الأنعام: ٢٨.

(٢) التوحيد، مصدر سابق، ص ٦٥.

## نتيجة البحث

إذا كانت الأشياء كلُّ الأشياء - ومنها أفعال الإنسان الاختيارية - لا يمكنها أن تتحقّق موجودة في الخارج بدون الإرادة الإلهية التكوينية، وكانت هذه الإرادة تابعة لإرادة الإنسان، فهذا يعني أنه إذا أراد العبد تحقيق فعل في الخارج، فإنّ الإرادة الإلهية تتعلّق بذلك الفعل لا محالة، ويصحّ أن يقال حينئذ: إنّما يريد الله أن يتحقّق هذا العمل أو ذاك. فإذا شاء الإنسان أن يأكل، أو يمشي، أو يصلي، أو غير ذلك، فلا بدّ أن تكون الإرادة الإلهية التكوينية قد تعلّقت به، وإلاّ لاستحال تحقّق أيّ من هذه الأفعال. فتحقّق الفعل في الخارج ينبئ عن وجود الإرادة والمشئنة الإلهية التكوينية.

فإذا علم الله تعالى - وعلمه أزليّ قبل خلق الأشياء - من عبد أنّه لا يريد سوى الطاعة والعبادة والطهارة من الرجس والدنس، فلا محالة يعطيه الله تعالى ذلك، ويهيئ له جميع الأسباب، كما هو مقتضى وعده وما كتبه هو على نفسه، ولا بدّ أن تتعلّق إرادته التكوينية بذلك، تمكيناً للعبد من تحقيق ما يريده، ولا يعني هذا أيّ جبر لذلك الإنسان في تحقيق مراده، بل يبقى العبد مختاراً مريداً، قد استجابت المشئنة الإلهية لما اختاره وأراده.

وبالعكس فيما لو علم الله من شخص آخر أنّه لا يريد سوى التمرد والجحود، والكفر والعصيان، والخروج عن حبل الطاعة، فلا يمنعه من ذلك، بل يعطيه كلّ ما يريد تحقيقاً لرغبته، كما أنّ الإرادة الإلهية التكوينية تتعلّق بتلك الأفعال أيضاً، فيصحّ أن يقال: إنّما يريد الله أن يكون فلان هكذا... وهذا أيضاً لا يعني جبر الإنسان على المعصية، بل باختياره هو

وإرادته شاء أن لا يستجيب لأوامر الله تعالى، فشاءت إرادة الله تحقيق ما اختاره ذلك الإنسان.

ومن ثمَّ يتَّضح لنا أنَّ إرادة الله التكوينية، التي لا تتخلَّف عن المراد، لا تتنافى مع اختيار الإنسان، وإن كانت جميع أفعال الإنسان مخلوقة لله تعالى، لكنَّها مخلوقة وفق ما يريد الإنسان ويختاره، وهذا هو مدلول الآيات المتقدمة، مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا. وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا.. كَلَّا نُمِدُّ هُوَلاءِ وَهَؤَلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا<sup>(١)</sup>﴾.

ونعود إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾ لنجد الإرادة فيها مع كونها تكوينية لا تتخلَّف عن المراد، منسجمة تماماً مع الاختيار ولا تنافيه، فهي تشير إلى علمه تعالى من الأزل بأنَّ هؤلاءِ الصفوة لا يريدون سوى الطهارة من الرجس، واستجابت إرادته سبحانه لإرادتهم بما يقتضيه وعده وما كتبه هو على نفسه سبحانه وتعالى.

وبناءً على هذه النظرية يكون مفاد الآية:

«أنَّ الله عزَّوجلَّ لمَّا علم أنَّ إرادتهم تجري دائماً على وفق ما شرَّعه لهم من أحكام، بحكم ما زودوا به من إمكانات ذاتية ومواهب مكتسبة، نتيجة تربيتهم على وفق مبادئ الإسلام، تربيةً حولتهم في سلوكهم إلى إسلام متجسِّد، ثمَّ بحكم ما كانت لديهم من القدرات على أعمال إرادتهم

(١) سورة الإسراء: ١٨ - ٢٠.

وفق أحكامه التي استوعبها علماً وخبرةً ، فقد صحَّ له الإخبار عن ذاته المقدَّسة بأنَّه لا يريد لهم بإرادته التكوينية إلاَّ إذهاب الرجس عنهم، لأنَّه لا يفيض الوجود إلاَّ على هذا النوع من أفعالهم، ماداموا هم لا يريدون لأنفسهم إلاَّ إذهاب الرجس والتطهير عنهم»<sup>(١)</sup>.

وبهذا يتضح معنى الاصطفاء والاختيار من الله تعالى لبعض عبيده، في حمل أعباء الرسالة، وإعطائهم الإمكانيات العالية، من العلم العاصم وغيره، فإنَّ جميع ذلك يرجع إلى إرادتهم واختيارهم، ضمن الحكمة الإلهية في إعطاء كلِّ مستعدٍّ بمقدار استعداده.

فقد علم الله تعالى من الأزل وقبل الخلق ما سيكون عليه هؤلاء البررة من الطاعة والطهارة، وتمخَّض إرادتهم فيما يريد الله تعالى، فأعطاهم ما يتمكنون به من توظيف إرادتهم في الطاعات والعبادات فحسب، ولو منعهم ذلك، كان خلفاً في وعده جلَّ وعلا، وبالعكس لو كان قد أعطى تلكم المواهب من علم منه عدم الالتزام بمدلولها، لكان ذلك عبثاً منه، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وهذا المعنى هو مدلول الكتاب العزيز في أكثر من مورد، منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ \* وَكُوِّعِلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّا سَمْعَهُمْ وَكُوِّعِلِمَ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.  
ومن الواضح أنَّ إسماع من عُلِمَ منه عدم الانتفاع به وأنه يتولَّى عنه

(١) الأصول العامة للفقهاء المقارن، مصدر سابق، ص ١٥١.

(٢) سورة الأنفال: ٢٢، ٢٣.

لغو وعبث، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومن السنّة، الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عزّ وجلّ:

«إنّ من عبادي المؤمنين عبادة لا يصلح لهم أمر دينهم إلاّ بالغنى والسعة والصحة في البدن، فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن، فيصلح عليهم أمر دينهم.

وإنّ من عبادي المؤمنين لعبادة لا يصلح لهم أمر دينهم إلاّ بالفاقة والمسكنة والسقم في أبدانهم، فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم، فيصلح عليهم أمر دينهم.

وأنا أعلم بما يصلح أمر دين عبادي المؤمنين.

وإنّ من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي، فيقوم من رقاده ولذيذ وساده، فيتهدّد لي الليالي، فيتعب نفسه في عبادتي، فأضرب به بالنعاس الليلة والليلتين، نظراً منّي له، وإبقاءً عليه، فينام حتّى يصبح، فيقوم وهو ماقت لنفسه، زارئاً عليها.

ولو أُخّلي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العُجب من ذلك فيصير العُجب إلى الفتنة بأعماله، فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعُجبه بأعماله، ورضاه عن نفسه، حتّى يظن أنّه قد فاق العابدين، وجاز في عبادته حدّ التقصير، فيتباعد منّي عند ذلك، وهو يظنّ أنّه يتقرّب إليّ.

فلا يتكلّ العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فإنّهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم، وأفنوا أعمارهم في عبادتي كانوا مقصّرين، غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي،



والنعيم في جنّاتي، ورفيع درجاتي العلى في جوارى، ولكن فبرحمتي فليثقوا، وبفضلي فليفرحوا، وإلى حُسن الظنّ بي فليطمئنّوا، فإنّ رحمتي عند ذلك تداركهم، ومثي يبلغهم رضواني، ومغفرتي تلبسهم عفوي، فإنّي أنا الله الرحمن الرحيم، وبذلك تسمّيت»<sup>(١)</sup>.

وعن أنس عن النبيّ صلّى الله عليه وآله، عن جبرئيل عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: ... «وإنّ من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفّه عنه، لئلاّ يدخله عجب فيفسده.

وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لم يصلح إيمانه إلاّ بالفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك.

وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلاّ بالغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك.

وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلاّ بالسقم، ولو صححت جسمه لأفسده ذلك.

وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلاّ بالصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك.

إنّي أدبّر عبادي بعلمي بقلوبهم، فإنّي عليهم خير»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٠.

(٢) علل الشرائع، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢.

من هم

## أهل البيت عليهم السلام

أتضح من البحث السابق أنّ في آية التطهير دلالة وافية على عصمة مَنْ نزلت فيهم، وأنّ مدلول التطهير وإذهاب الرجس هو العصمة بأسمى معانيها، فلم يبق لدينا إلاّ البحث الإثباتي لغرض تحديد ومعرفة من هم «أهل البيت» الذين نزلت فيهم الآية المباركة.

وحسبنا في ذلك نصوص السنّة الشريفة، المتظافرة بل المتواترة، المصرّحة بأسمائهم واحداً واحداً، على نحو يمنع الشكّ والترديد، كما ستتلو بعضها.

فقد استفاضت رواية هذه النصوص عن جمّ غفير من أمّهات المؤمنين، والصحابة، والتابعين وتابعي التابعين وغيرهم. فممن رواها من أمّهات المؤمنين: عائشة، وأمّ سلمة.

ومن الصحابة: عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، وأبو سعيد الخدريّ، وجابر بن عبد الله الأنصاريّ، ووائلة بن الأسقع، وأنس بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وأبو برزة، وأبو الحمراء، وابن عبّاس، وكثير غيرهم، ممّا لا يسعنا استقصاؤه في هذا البحث.

ومن ثمّ فقد اكتفينا بذكر نماذج من هذه النصوص المتكثّرة فقط، مرتّبين لها حسب روايتها من أمّهات المؤمنين والصحابة.

## ١ - عليّ أمير المؤمنين عليه السلام

عن الحارث عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال:  
 كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يأتينا كلّ غداة فيقول:  
 «الصلاة رحمكم الله، الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ  
 أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»<sup>(١)</sup>.

## ٢ - عائشة

عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة:  
 «خرج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم غداة وعليه مرط مرحل<sup>(٢)</sup>، من شعر  
 أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ  
 جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال:  
 «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ  
 تَطْهِيراً﴾».

رواه مسلم في الصحيح<sup>(٣)</sup>، وأخرجه البيهقيّ في سننه<sup>(٤)</sup>، ورواه الحاكم

---

(١) أمالي المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي ،  
 مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم، ص ٣١٨  
 (٢) قال الجوهرى: مرط مرحل: أزار خزّ فيه علم. (الصحاح، إسماعيل بن حمّاد  
 الجوهرى، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج ٤، ص ١٧٠٧).  
 (٣) صحيح مسلم، مصدر سابق، ج ٧، ص ٣١٠.  
 (٤) السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي، دار الفكر، بيروت،  
 لبنان، ج ٢، ص ١٤٩.

أهل البيت عليهم السلام ..... ٢٠٣  
في المستدرک بسند آخر قائلاً: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين،  
ولم يخرجاه»<sup>(١)</sup>.

### ٣ - أم سلمة

١ - عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت:  
في بيتي نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ  
الْبَيْتِ﴾. فأرسل رسول الله - صَلَّى الله عليه وآله - إلى عليّ، وفاطمة،  
والحسن، والحسين - رضوان الله عليهم أجمعين - فقال:  
«اللَّهُمَّ هُوَلاءِ أَهْلِ بَيْتِي».

قالت أم سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟!  
قال: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، وَهُوَلاءِ أَهْلِ بَيْتِي، اللَّهُمَّ أَهْلِي أَحَقُّ».  
قال الحاكم النيسابوري: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم  
يخرجاه»<sup>(٢)</sup>.

٢ - عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ  
وَسَلَّمَ جَلَّلَ عَلَى الْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ، وَعَلِيٍّ، وَفَاطِمَةَ كَسَاءً، ثُمَّ قَالَ:  
«اللَّهُمَّ هُوَلاءِ أَهْلِ بَيْتِي وَحَامَّتِي، أَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً».  
فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟! قال: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ».

---

(١) المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري،  
دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج ٣، ص ١٤٧.  
(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤١٦.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب»<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - أبو سعيد الخدري

أخرج ابن مردويه، والخطيب عن أبي سعيد الخدري قال: كان يوم أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها، فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن وحسين وفاطمة وعلي فضمهم إليه، ونشر عليهم الثوب، والحجاب على أم سلمة مضروب، ثم قال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قالت أم سلمة رضي الله عنها: فأنا معهم يا نبي الله!؟

قال: «أنت على مكانك، وإني على خير»<sup>(٢)</sup>.

#### ٥ - جابر بن عبد الله الأنصاري

عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: نزلت هذه الآية على النبي وليس في البيت إلا فاطمة، والحسن،

(١) سنن الترمذي، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٦١.

(٢) الدرر المنتور، عبد الرحمن بن كمال جلال الدين السيوطي، ط ١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ج ٦، ص ٦٠٤.

أهل البيت عليهم السلام ..... ٢٠٥  
والحسين، وعليّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ  
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «اللّهمّ هؤلاء أهلي»<sup>(١)</sup>.

## ٦ - واثلة بن الأسقع

عن أبي عمارة، قال: حدّثني واثلة بن الأسقع، قال:  
أتيت عليّاً فلم أجده، فقالت لي فاطمة: انطلق إلى رسول الله صلّى الله  
عليه وآله يدعوه. فجاء مع رسول الله صلّى الله عليه وآله فدخلتُ  
معهما، فدعا رسول الله صلّى الله عليه وآله الحسن والحسين، فأقعد كلَّ  
واحد منهما على فخذي، وأدنى فاطمة من حجره، وزوجها، ثمّ لفّ عليهم  
ثوباً وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ  
تَطْهِيراً﴾. ثمّ قال: «هؤلاء أهل بيتي، اللّهمّ أهل بيتي أحقّ».  
قال الحاكم النيسابوري: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم  
يخرجاه»<sup>(٢)</sup>.

## ٧ - أنس بن مالك

عن عليّ بن زيد، عن أنس بن مالك:

---

(١) شواهد التنزيل، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحذاء النيسابوري الحنفي (الحاكم  
الحسكاني)، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الأوقاف والإرشاد الإسلامي،  
طهران، إيران، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ج٢، ص٢٩.  
(٢) المستدرک علی الصحیحین، مصدر سابق، ج٣، ص١٤٧.

إنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كان يمرُّ ببیتِ فاطمة ستّة أشهر، إذا  
خرج إلى الفجر، فيقول:

«الصلاة يا أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ  
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»<sup>(١)</sup>.

قال الحاكم النيسابوري: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم  
يخرجه»<sup>(٢)</sup>.

## ٨ - سعد بن أبي وقاص

عن بكير بن مسمار، قال: سمعت عامر بن سعد يقول:

قال معاوية لسعد بن أبي وقاص: ما منعك أن تسبّ ابن أبي طالب؟!

قال: لا أسبّ ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله، لأنّ  
تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم.

قال له معاوية: ما هنّ يا أبا إسحاق؟

قال: لا أسبّه ما ذكرت حين نزل عليه الوحي فأخذ عليّاً، وابنيه،  
وفاطمة، فأدخلهم تحت ثوبه، ثمّ قال: «ربّ إنّ هؤلاء أهل بيتي...».

قال الحاكم النيسابوري: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم

---

(١) مسند أحمد، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٥٩؛ سنن الترمذي، مصدر سابق، ج ٥،  
ص ٣١؛ كنز العمال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة  
الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، ج ١٣، ص ٦٤٦.

(٢) المستدرک علی الصحیحین، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٥٨.

أهل البيت عليهم السلام ..... ٢٠٧  
يخرجاه بهذه السياقة»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى عنه، قال في حديثه مع معاوية:  
لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ  
تَطْهِيرًا﴾ دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا،  
فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي...»<sup>(٢)</sup>.

## ٩ - عبد الله بن عباس

ما أخرجه ابن حنبل في المسند، بإسناده عن عمرو بن ميمون قال:  
إِنِّي لَجَالِسٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ إِذْ أَتَاهُ تِسْعَةُ رَهْطٍ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ! إِمَّا  
أَنْ تَقُومَ مَعَنَا، وَإِمَّا أَنْ تَخْلُونَا هَؤُلَاءِ.  
قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم.  
قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى.  
قال: فابتدأوا فتحدثوا، فلا ندري ما قالوا.  
قال: فجاء ينفذ ثوبه ويقول: أفّ وتفّ! وقعوا في رجل له عشر،  
وقعوا في رجل قال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
«لَأَبْعَثَنَّ رَجُلًا لَا يَخْزِيهِ اللهُ أَبَدًا، يُحِبُّ اللهُ وَرَسُولَهُ...».  
إلى أن يقول:

---

(١) المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ١٠٨.  
(٢) الخصائص للنسائي، أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي الشافعي، مكتبة نينوى  
الحديثة، ص ٤٨.



وأخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثوبه فوضعه على عليٍّ وفاطمة وحسن وحسين، فقال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»<sup>(١)</sup>.

وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرک قائلاً: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة»<sup>(٢)</sup>.

## ١٠- أبو الحمراء، خادم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

أخرج ابن جرير، وابن مردويه، عن أبي الحمراء: قال:

حفظت من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمانية أشهر بالمدينة، ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى باب عليٍّ رضي الله عنه، فوضع يده على جنبتي الباب، ثم قال:

«الصلاة، الصلاة»<sup>(٣)</sup> «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»<sup>(٣)</sup>.

## النتيجة

مع هذه النصوص وكثير غيرها لا يبقى أدنى شك في المراد من «أهل البيت»، الذين دللت آية التطهير على عصمتهم، فهم الذين جمعهم بيت عليٍّ وفاطمة، وهم الذين جمعهم كساء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،

(١) مسند أحمد بن حنبل، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٣١.

(٢) المستدرک على الصحيحين، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٣٢.

(٣) الدرّ المنثور، مصدر سابق، ج ٥، ص ١٩٩.

وهم الذين ضمّهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَحْتَ ثَوْبِهِ، وَهُمْ...  
وهم... إِلَى آخِرِ مَا تَضَمَّتْهُ الْأَحَادِيثُ الْمُتَقَدِّمَةُ وَغَيْرِهَا.

وَمِمَّا يَلْفَتُ النَّظْرَ سَكُوتَ الْأُمَّةِ عَنِ اسْتِضَاحِ أَمْرِ «أَهْلِ الْبَيْتِ» مِنْ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَهُمْ يَتَلَوْنَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ  
النَّهَارِ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...»، وَيَسْمَعُونَ  
نَبِيَّهُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُوَصِّي بِالْتَّمَسِّكَ بِأَهْلِ بَيْتِهِ فِي نَوْبٍ مُتَفَرِّقَةٍ  
وَأَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ، فَيَقُولُ لَهُمْ:

«أَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَوْهُمَا كِتَابُ اللهِ... وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللهُ  
فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»<sup>(١)</sup>.  
ويقول: «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ  
عَنْهَا غَرِقَ»<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً: «النَّجُومُ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ؛ فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَاهُمْ مَا  
يُوعَدُونَ، وَأَنَا أَمَانٌ لِأَصْحَابِي مَا كُنْتُ؛ فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَاهُمْ مَا يُوعَدُونَ،  
وَأَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأُمَّتِي؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَهْلُ بَيْتِي أَتَاهُمْ مَا يُوعَدُونَ»<sup>(٣)</sup>.

«أَمَا كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَقُولُ لَهُ: إِنَّكَ عَصَمْتَنَا مِنَ الضَّلَالَةِ  
بِالرَّجُوعِ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ قِرْنَاءَ لِلْقُرْآنِ، فَمَنْ هُمْ  
أَهْلُ هَذَا الْبَيْتِ لِنَعْتَصِمَ بِهِمْ؟

أَتَرَى أَنَّ عَصَمْتَهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ مِنَ الْأُمُورِ الْعَادِيَةِ الَّتِي لَا

(١) صحيح مسلم، مصدر سابق، ج ٧، ص ١٢٣.

(٢) المستدرک علی الصحیحین، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٥١.

(٣) المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ٤٤٨.

تهم معرفتها والاستفسار عنها؟ أم ترى أنهم كانوا معروفين لديهم فما احتاجوا إلى استفسار وحديث؟

والذي يبدو أنّ الصحابة ما كانوا في حاجة إلى استفسار وهم يشاهدون نبيهم صلى الله عليه وآله في كل يوم يقف على باب عليّ وفاطمة وهو يقرأ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وتسعة أشهر وهي المدّة التي حدّث عنها ابن عباس كافية لأن تعرف الأمة من هم أهل البيت، ثمّ يشاهدونه وقد خرج إلى المباهلة وليس معه غير عليّ وفاطمة وحسن وحسين، وهو يقول: «اللّهم هؤلاء أهلي»<sup>(١)</sup>.

وهم من أعرف الناس بخصائص هذا الكلام، وأكثرهم إدراكاً لما ينطوي عليه من قصر واختصاص.

وأحاديث الكساء التي سبقت الإشارة إليها فيما سبق، بما في بعضها من إقصاء حتّى لزوجته أمّ سلمة، ما يغني عن إطالة الحديث معه في التعرّف على المراد من أهل البيت على عهده، وأحاديثه على اختلافها يفسّر بعضها بعضاً، ويعيّن بعضها المراد من بعض»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح مسلم، مصدر سابق، ج ٧، ص ١٢١.

(٢) الأصول العامّة للفقّه المقارن، مصدر سابق، ص ١٧٤.

## تعدد مناسبات تطبيق الآية الكريمة

من خلال استعراض النصوص الواردة في هذا الشأن نلاحظ حرص الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى حصر تطبيق الآية الشريفة على هؤلاء البررة عليهم السلام، والتركيز على اختصاصهم بها، وقطع الطريق على كل ادعاء بشمولها لغيرهم. فلم يسمح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى لَأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أُمَّ سَلْمَةَ بِالِدخول تحت الكساء، تحسباً منه لادعاء المدّعين واستغلال البعض قربهم منه؛ فيزعم شمول الآية له.

فقد أكد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تطبيق الآية على هؤلاء الصفوة بالخصوص، وكرّر ذلك التطبيق حَتَّى تَأَلَّفَهُ الْأَسْمَاعُ، وَتَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ. فقد تعددت مناسبات إعلانه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تارة يعلنه أمام واحدة من أمّهات المؤمنين، ولم يكتفِ بذلك، بل راح يعلنه مرّة أخرى أمام ثانية منهنّ، وثالثة، ورابعة.

وأخرى نجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يبيّن تطبيق هذه الآية لملاّ المسلمين، كما في وقوفه عند باب عليّ وفاطمة وقت الصلاة. وثالثة يؤكّد الأمر لصحابيٍّ واحد، كواثلة بن الأسقع. وفيما يلي نستعرض بعض المناسبات التي أكّد فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تطبيق هذه الآية الكريمة:

### ١ - زواج عليّ وفاطمة عليهما السلام

ففي اللحظة الأولى من تكوّن هذا البيت الجليل، بزفاف فاطمة لعليّ عليهما السلام، يأتي أوّل إعلان للرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بطهارة

أهل هذا البيت، وكان ذلك في ذي الحجة، بعد رجوعهم من غزوة بدر<sup>(١)</sup>، أو على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة<sup>(٢)</sup>..

١ - عن أنس في حديث مطول عن زواج علي وفاطمة عليهما السلام، يقول فيه:

فلما فرغت - يعني أم أيمن - من الجهاز، وأدخلتهم بيتاً..

قال: «يا علي لا تحدثنّ إلى أهلك شيئاً حتى آتيك».

فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فاطمة متقنعة، وعليّ قاعد، وأم أيمن في البيت. فقال: يا أم أيمن اتيني بقدر من ماء.

فأتته بقعب فيه ماء، فشرب منه، ثمّ مجّ فيه، ثمّ ناوله فاطمة فشربت، وأخذ منه فضرب جبينها، وبين كتفيها وصدرها.

ثمّ دفعه إلى عليّ، فقال: يا علي اشرب.

ثمّ أخذ منه فضرب به جبينه، وبين كتفيه.

ثمّ قال: «أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً...»<sup>(٣)</sup>.

٢ - عن ابن عباس في حديث له عن زواجهما عليهما السلام يقول فيه: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أسماء ايتيني بالمخضب.

(١) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الإصفهاني، منشورات الشريف الرضي، قم، إيران، ط ٢ ١٤١٦هـ، ص ٥٩.

(٢) تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، ج ٢، ص ٤٨٦.

(٣) مجمع الزوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ج ٩، ص ٢٠٦.

فأتت أسماء بالمخضب، فمَجَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ، وَمَسَحَ فِي وَجْهِهِ، وَقَدَمِيهِ، ثُمَّ دَعَا فَاطِمَةَ، فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ مَاءٍ فَضَرَبَ بِهِ عَلَى رَأْسِهَا، وَكَفًّا بَيْنَ ثَدْيَيْهَا، ثُمَّ رَشَّ جِلْدَهُ وَجِلْدَهَا، ثُمَّ التَزَمَهَا فَقَالَ:

«اللَّهُمَّ إِنِّهَا مَتِّي وَأَنَا مِنْهَا، اللَّهُمَّ كَمَا أَذْهَبْتَ عَنِّي الرَّجْسَ وَطَهَّرْتَنِي فَطَهَّرْهَا».

ثُمَّ دَعَا بِمَخْضَبٍ آخَرَ، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا فَصَنَعَ بِهِ كَمَا صَنَعَ بِهَا، ثُمَّ دَعَا لَهُ كَمَا دَعَا لَهَا. ثُمَّ قَالَ لَهَا:

«قُومَا إِلَى بَيْتِكُمَا، جَمَعَ اللهُ بَيْنَكُمَا فِي سِرِّكُمَا وَأَصْلَحَ بِالْكَمَا..»<sup>(١)</sup>.

## ٢ - الوقوف على باب علي وفاطمة عليهما السلام

وفي صبيحة العرس، يأتي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِيَقِفَ عَلَى بَابِ بَيْتِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ، وَيُؤَكِّدُ مَكَانَةَ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ وَطَهَارَتِهِمْ، بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالًا لِأَدْنَى شَكٍّ أَوْ شَبْهَةٍ.

عن أبي سعيد الخدري:

إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ إِلَى بَابِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، بَعْدَمَا دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ، فَقَالَ:

«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»<sup>(٢)</sup>.

(١) مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج ٩، ص ٢٠٧.

(٢) مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٦٩؛ المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد المكي

وعن أبي سعيد الخدري أيضاً قال:

«لَمَّا دَخَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً إِلَى بَابِهَا يَقُولُ:

«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، الصَّلَاةُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ،  
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ أَنَا  
حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ، أَنَا سَلِمٌ لِمَنْ سَالَمْتُمْ»<sup>(١)</sup>.

### ٣ - النداء للصلاة

واستمرّ رسول الله صَلَّى اللهُ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يكرّر وقوفه على باب عليّ وفاطمة عليهما السلام، ويختار له أوقات الصلوات المفروضة، وهو وقت اجتماع المسلمين في المسجد، وباب عليّ عليه السلام مشرعة عليه، إمعاناً منه صَلَّى اللهُ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في تشخيص وتحديد من انطبقت عليه الآية المباركة:

١ - عن أبي الحارث، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال:

كان رسول الله صَلَّى اللهُ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَأْتِينَا كُلَّ غَدَاةٍ فَيَقُولُ:  
«الصَّلَاةُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ، الصَّلَاةُ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ  
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»<sup>(٢)</sup>.

الخوارزمي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية،

قم، إيران، ١٤١١هـ، ص ٦٠.

(١) الدرّ المنتثور، مصدر سابق، ج ٦، ص ٦٠٦.

(٢) أمالي المفيد، مصدر سابق، ص ٣١٨.

٢ - في حديث زرارة، عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه عليّ بن الحسين عليهم السلام، في قول الله عزّوجلّ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، قال:

نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يأتي باب فاطمة كلّ سحرة فيقول:

«السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمكم الله، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»<sup>(١)</sup>.

٣ - وعن أبي سعيد الخدري، قال:

لمّا نزلت ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ...﴾، كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يجيء إلى باب عليّ صلاة الغداة، ثمانية أشهر، يقول:

«الصلاة يرحمكم الله، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»<sup>(٢)</sup>.

٤ - عن عليّ بن زيد، عن أنس بن مالك:

إنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يمرّ ببيت فاطمة ستّة أشهر، إذا خرج إلى الفجر، فيقول:

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة، السيّد شرف الدين عليّ الحسيني الاستربادي النجفي،

مطبعة أمير، قم، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص ٣٢٢.

(٢) الدرّ المنتور، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣١٣.



«الصلاة يا أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾».

قال الحاكم النيسابوري: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجته»<sup>(١)</sup>.

٥ - عن أبي الحمراء، قال:

حفظت من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمانية أشهر بالمدينة، ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى باب علي رضي الله عنه، فوضع يده على جنبتي الباب، ثم قال:

«الصلاة.. الصلاة.. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»<sup>(٢)</sup>.

٦ - عن أبي الحمراء هلال بن الحارث، قال:

رملت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثمانية أشهر، يأتي باب علي، ثم يضع يده على عضادتي الباب، ثم يقول:

«السلام عليكم ورحمة الله، الصلاة يرحمكم الله، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»<sup>(٣)</sup>.

(١) مسند أحمد، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٥٩؛ سنن الترمذي، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣١؛ المستدرک علی الصحیحین، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٥٨؛ كنز العمال، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٦٤٦؛ الدر المنثور، مصدر سابق، ج ٦، ص ٦٠٦.

(٢) الدر المنثور، مصدر سابق.

(٣) مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي القاضي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط ١، قم، إيران، ١٤١٢هـ، ج ٢، ص ١٩.

٧ - عن أبي الحمراء خادم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَجِيءُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ فَجَرَّ فَيَأْخُذُ بَعْضَادَةَ هَذَا الْبَابِ، ثُمَّ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَيْتِ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَيَقُولُ: الصَّلَاةُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ، «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

قال: فقلت يا أبا الحمراء مَنْ كان في البيت؟

قال: عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام»<sup>(١)</sup>.

٨ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

شهدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ بَابَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَ وَقْتِ كُلِّ صَلَاةٍ، فَيَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَهْلَ الْبَيْتِ، «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»، الصَّلَاةُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ». كلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ<sup>(٢)</sup>.

وما إن وُلِدَ لِعَلِيِّ وَفَاطِمَةَ الْحَسَنَانَ - عَلَيْهِمْ جَمِيعاً سَلَامُ اللَّهِ - حَتَّى بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَ أُسْلُوباً آخَرَ فِي تَبْيَانِ آيَةِ التَّطْهِيرِ وَتَطْبِيقِهَا، أُسْلُوباً مَنْسُجِماً مَعَ طَبِيعَةِ الْإِتْسَاعِ فِي دَائِرَةِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، فَلَمْ يَكْتَفِ بِالْوُقُوفِ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ، بَلْ رَاحَ يَجْمَعُهُمْ تَحْتَ كِسَائِهِ،

(١) شواهد التنزيل، مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٤.

(٢) الدرّ المنتثور، مصدر سابق، ج ٦، ص ٦٠٦.

ويلقّهم بثوبه، أمام زوجاته أمّهات المؤمنين تارة، وأمام الملائم من المسلمين تارة أخرى.

ومن المفيد استعراض بعض المواقف التي تكشف لنا اهتمام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله البالغ في توضيح هذه الحقيقة وتأكيدا على الجميع:

#### ٤ - جمعهم تحت الكساء

١ - عن عائشة، أنها قالت:

خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - عن عمر بن أبي سلمة، ربيب النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم - ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ - في بيت أم سلمة، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟

(١) صحيح مسلم، مصدر سابق، ج٧، ص ٣١٠، وقد تقدّم هذا الحديث بأسانيده.

قال: «أنتِ مكانكِ، وأنتِ إلى خير»<sup>(١)</sup>.

٣ - وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بيتهما على منامة له، عليه كساء خيبري، فجاءت فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة<sup>(٢)</sup>، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ادع زوجك وابنيك حسناً وحسيناً». فدعتهم، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. فأخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفضلة إزاره، فغشاهم إيَّاه، ثم أخرج يده من الكساء، وأوماً بها إلى السماء، ثم قال: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً».

قالها ثلاث مرّات.

قالت أم سلمة رضي الله عنها: فأدخلت رأسي في الستر، فقلت: يارسول الله وأنا معكم؟!!

(١) سنن الترمذي، مصدر سابق، ج ٥، ص ١٣.

(٢) الخزيرة شبه عصيدة، بلحم وبلا لحم: عصيدة أو مرقة من بلالة النخالة. (القاموس المحيط، ج ٢، ص ٢٠).

فقال: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ..» مرّتين<sup>(١)</sup>.

٤ - وعن شهر بن حوشب، عن أمّ سلمة:

إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَّ عَلَى الْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ، وَعَلِيٍّ، وَفَاطِمَةَ كَسَاءً، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَحَامَّتِي، أَذْهَبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً».

قالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا رسول الله!؟

قال: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ».

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب»<sup>(٢)</sup>.

٥ - عن شهر بن حوشب أيضاً، قال:

أَتَيْتُ أُمَّ سَلْمَةَ زَوْجَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَسْلَمَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: أَمَا رَأَيْتَ هَذِهِ الْآيَةَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾؟

قالت: كنت أنا ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى مَنَامَةٍ لَنَا، تَحْتَنَا كَسَاءَ خَيْبَرِيٍّ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ وَمَعَهَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَفَخَارَ فِيهِ حَرِيرَةٌ.

فقال: أين ابن عمك؟

قالت: في البيت.

قال: فاذهبي فادعيه.

(١) مسند أحمد، مصدر سابق، ج ٦، ص ٢٩٢؛ الدرّ المنثور، ج ٦، ص ٦٠٣.

(٢) سنن الترمذي، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٦١.

أهل البيت عليهم السلام ..... ٢٢١

قالت: فدعته.. فأخذ الكساء من تحتنا فعطفه، فأخذ جميعه بيده فقال:  
«اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

وأنا جالسة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله  
بأبي أنت وأمي فأنا؟!!

قال: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ».

ونزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ  
وَيُطَهِّرَكُمُ تَطْهِيراً﴾...<sup>(١)</sup>.

٦ - عن شهر بن حوشب، قال:

كنت وأنا شاب بالمدينة، بعد مقتل الحسين، فأتينا أم سلمة، فدخلنا  
عليها، وبيننا وبينها حجاب.

فقالت: ألا أخبركم بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله،  
وشهدته؟

قلنا: بلى، يا أم المؤمنين.

قالت: إنني قرّبت إلى رسول الله طعاماً، فأعجبه، فقال: «لو كان هنا  
عليّ وفاطمة والحسن والحسين».

قالت: فأرسلنا إليهم، فجاءوا، فقرّبت الطعام، فلما فرغنا جعل النبيّ  
يدعو لهم، فتناول كساءً كان تحتي أصبناه من خيبر، وأثاره على عليّ  
وفاطمة والحسن والحسين، وهو يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

---

(١) تفسير فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، طهران،  
١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٣٣٢.

الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً<sup>(١)</sup>.

٧ - وعن شداد بن عبد الله، قال:

سمعت وائلة بن الأسقع، وقد جيء برأس الحسين بن عليّ عليهما السلام، قال: فلقية رجل من أهل الشام، فأظهر سروراً، فغضب وائلة فقال: والله لا أزال أحبّ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً أبداً بعد إذ سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو في منزل أمّ سلمة يقول فيهم ما قال.

قال وائلة: رأيت ذات يوم وقد جئت رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو في منزل أمّ سلمة، وجاء الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى وقبله، وجاء الحسين فأجلسه على فخذه اليسرى وقبله، ثمّ جاءت فاطمة فأجلسها بين يديه، ثمّ دعا بعليّ، فجاء، ثمّ أردف عليهم كساءً خيرياً، كأنني أنظر إليه، ثمّ قال:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

فقلت لوائلة: ما الرجس؟

فقال: الشكّ في (دين) الله عزّ وجلّ<sup>(٢)</sup>.

(١) شواهد التنزيل، مصدر سابق، ج ٢، ص ١١٦.

(٢) العمدة، يحيى بن الحسن الأسدي الحلّي المعروف بابن البطريق، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، إيران، ١٤٠٧هـ ص ٣٤، نقلاً من كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ورواه في شواهد التنزيل، (مصدر سابق)، ج ٢، ص ٦٩ بأدنى تفاوت، وما بين المعقوفتين منه.

## ٥ - جمعهم في ثوب

١ - عن أم سلمة:

أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾ دَعَا عَلِيًّا، وَفَاطِمَةَ، وَالْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ، فَجَلَّلَهُمْ ثَوْبًا كَانَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قالت: وأنا جالسة على باب البيت.. فقلت: يا رسول الله! أأست من أهل البيت؟!

قال: «أنت إلى خير، إنك من أزواج النبي»<sup>(١)</sup>.

٢ - أخرج ابن مردويه، والخطيب، عن أبي سعيد الخدري، قال:

كان يوم أم سلمة، أم المؤمنين رضي الله عنها، فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قال: فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحسن وحسين وفاطمة وعلي فضمهم إليه، ونشر عليهم الثوب، والحجاب على أم سلمة مضروب، ثم قال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً».

---

(١) مناقب أمير المؤمنين، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٢٥.



قالت أم سلمة رضي الله عنها: فأنا معهم يا نبي الله؟!  
قال: «أنت على مكانك، وإني على خير»<sup>(١)</sup>.

٣ - عن مجمع، قال:

دخلت مع أمي على عائشة، فسألته أمي قالت: أرايت خروجك يوم  
الجملة؟ قالت: إنه كان قدراً من الله.

فسألته عن عليّ.

فقلت: تسأليني عن أحب الناس كان إلى رسول الله صلى الله عليه  
وآله، وزوج أحب الناس كان إلى رسول الله، لقد رأيت علياً وفاطمة  
وحسناً وحسيناً، وجمع رسول الله بثوب عليهم، ثم قال:

«اللهم ان هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم  
تطهيراً».

فقلت: يا رسول الله أنا من أهلك؟

قال: «تنحى إني إلى خير»<sup>(٢)</sup>.

## ٦ - جمعهم في بيت أم سلمة

١ - عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة، قالت:

في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾

(١) الدر المنثور، مصدر سابق، ج ٦، ص ٦٠٤.

(٢) شواهد التنزيل، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٢.

قالت: فأرسل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى عَلِيِّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، فَقَالَ: «هُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي».

قال الحاكم النيسابوري: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه»<sup>(١)</sup>.

٢ - عن عمّار بن أبي معاوية الدهني، عن عمرة، قالت: سمعتُ أمّ سلمة تقول:

نزلت هذه الآية في بيتي: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً». قالت: وفي البيت سبعة: جبرئيل وميكائيل ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وعليّ وفاطمة وحسن وحسين صلوات الله عليهم.

قالت: وأنا على باب البيت جالسة، قلت: يا رسول الله أأنت من أهل البيت؟!

قال: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ».

وما قال إنني من أهل البيت»<sup>(٢)</sup>.

٣ - وعن أبي سعيد، قال:

حدثتني أمّ سلمة أنّ هذه الآية نزلت في بيتها: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

(١) المستدرک علی الصحیحین، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٦٤.

(٢) مناقب أمير المؤمنين، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣٢.

قالت: وفي البيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعَلِيٌّ، وَفَاطِمَةُ، وَحَسَنٌ، وَحُسَيْنٌ، قَالَتْ:

وأنا جالسة على الباب، فقلت: يا رسول الله ألسنتُ من أهل البيت؟!

قال: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ»<sup>(١)</sup>.

٤ - عن عبد الله بن ربيعة مولى أم سلمة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهَا قَالَتْ:

نزلت هذه الآية في بيتها: «إِنَّمَا يَرِيدُ اللهُ...»، أمرني رسول الله أن أومي إلى عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين، فلما أتوه اعتنق عليًّا بيمينه، والحسن بشماله، والحسين على بطنه، وفاطمة عند رجله، ثم قال:

«اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَعِترتي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً».

قالها ثلاث مرّات، قلت: فأنا يا رسول الله؟

قال: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللهُ»<sup>(٢)</sup>.

## ٧ - جمعهم في بيت فاطمة

١ - عن شدّاد بن عمّار قال:

دخلت على وائلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا عليًّا فشموه، فشمته

معهم، فلما قاموا قال لي: شمتت هذا الرجل؟

قلت: رأيت القوم شتموه فشمته معهم.

(١) شواهد التنزيل، مصدر سابق، ج ٢، ص ٨٢.

(٢) شواهد التنزيل، مصدر سابق، ج ٢، ص ٩٥.

فقال: ألا أخبرك ما سمعت من رسول الله؟!

قلت: بلى.

قال: أتيت فاطمة أسألها عن عليّ، فقالت: توجّه إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، فجلست أنتظره، حتّى جاء رسول الله ومعه عليّ وحسن وحسين، أخذ كلّ واحد منهما بيده حتّى دخل، فأدنى عليّاً وفاطمة فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ منهما على فخذه، ثمّ لفّ عليهم ثوبه أو كساء، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، ثمّ قال:

«اللهمّ هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحقّ»<sup>(١)</sup>.

٢ - عن واثلة بن الأسقع، قال:

جئت أريد عليّاً رضي الله عنه فلم أجده، فقالت فاطمة رضي الله عنها: انطلق إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله يدعوه، فاجلس.

فجاء مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فدخل، ودخلت معهما، قال: فدعا رسول الله صلّى الله عليه وآله حسناً وحسيناً، فأجلس كلّ واحد منهما على فخذه، وأدنى فاطمة من حجره، وزوجها، ثمّ لفّ عليهم ثوبه، وأنا شاهد، فقال:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»، اللهمّ هؤلاء أهل بيتي».

أخرجه الحاكم النيسابوري، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط

---

(١) شواهد التنزيل، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٧.

مسلم، ولم يخرجاه»<sup>(١)</sup>.

٣ - عن وائلة بن الأسقع، قال:

أتيت علياً فلم أجده، فقالت لي فاطمة: انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو.

فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلا، ودخلت معهما، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين، فأقعد كل واحد منهما على فخذه، وأدنى فاطمة من حجره، وزوجها، ثم لفّ عليهم ثوباً.. وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي، اللهم أهل بيتي أحق».

أخرجه الحاكم النيسابوري، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»<sup>(٢)</sup>.

٤ - وعن شدّاد بن أبي عمّار، قال:

دخلت على وائلة بن الأسقع وعنده قوم، فذكروا علياً رضي الله عنه، فلمّا قاموا قال: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! قلت: بلى.

قال: أتيت فاطمة رضي الله عنها أسألها عن عليّ، قالت: توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن وحسين، فجلست أنتظره، حتّى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن وحسين، أخذ كل واحد منهما بيد، حتّى دخل فأدنى علياً وفاطمة، وأجلس حسناً وحسيناً

(١) المستدرک علی الصحیحین، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤١٦.

(٢) المستدرک علی الصحیحین، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٤٧.

كلّ واحد منهما على فخذ، ثمّ لفّ عليهم ثوبه أو كساءه، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. وقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحقّ»<sup>(١)</sup>.

## ٨ - جمعهم عند هبوط الرحمة

١ - عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عن أبيه، قال: لما نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى الرحمة هابطة، قال: ادعوا لي، ادعوا لي.

فقلت صفيّة: من يا رسول الله؟

قال: أهل بيتي: عليّاً، وفاطمة، والحسن، والحسين.

فجاء بهم، فألقى عليهم النبيّ صلّى الله عليه وآله كساءه، ثمّ رفع يديه، ثمّ قال:

«اللهمّ هؤلاء آلي فصلّ على محمّد وعلى آل محمّد».

وأُنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

قال الحاكم النيسابوري: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»<sup>(٢)</sup>.

٢ - عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيّار أيضاً، عن أبيه قال: لما نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى الرحمة هابطة من السماء،

(١) مسند أحمد، ج ٤، ص ١٠٧؛ مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج ٩، ص ١٦٧.

(٢) المستدرک علی الصحیحین، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٤٨.

قال: مَنْ يدعو؟ - مرتين - .

قالت زينب: أنا يا رسول الله.

فقال: ادعي لي علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً.

قال: فجعل حسناً عن يمينه، وحسيناً عن يساره، وعلياً وفاطمة وجاهه، ثم غشاهم كساءً خبيرياً، ثم قال: «اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ نَبِيَّ أَهْلًا، وَهُؤُلَاءِ أَهْلَ بَيْتِي» فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

فقالت زينب: يا رسول الله ألا أدخل معكم؟!!

فقال رسول الله: «مكانك، فإني إلى خير إن شاء الله»<sup>(١)</sup>.

## ٩ - خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله

بعد كل هذا التأكيد يأتي خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله لبيّن للمسلمين معنى التطهير من الرجس؛ فيقول:

«إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ الْخَلْقَ قَسَمَيْنِ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمَا قِسْمًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ... وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ»، فَأَنَا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَنَا خَيْرُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ.

ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلاثاً، فذلك قوله: «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ \* وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ... \* وَالسَّائِقُونَ السَّائِقُونَ»، فَأَنَا مِنَ السَّابِقِينَ، وَأَنَا خَيْرُ السَّابِقِينَ.

(١) شواهد التنزيل، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٤.

ثمَّ جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى، ولا فخر.

ثمَّ جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب»<sup>(١)</sup>.

والملاحظ من خلال هذه النصوص، وعشرات غيرها، أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يختار في إبلاغ الأمة تطبيق آية التطهير كل ما يلفت الأنظار، تارة في لون الكساء، فإنه خبز معلّم أسود، وأخرى في كيفية الجمع، وثالثة في مكان الاجتماع، مرة يكونون عنده، وثانية يرسل إليهم ليأتوه، وثالثة يذهب إليهم هو بنفسه صلى الله عليه وآله، أو في تناول الكساء، كما في قضية أم سلمة حينما جذب الكساء من تحتها، وجمعهم فيه، ولم يرض لها بالدنو منه.

«والحقّ الذي يتراءى لنا من مجموع ما روينا من نزول الآية، وحرص النبي صلى الله عليه وآله على عدم مشاركة الغير لهم فيها، واتّخاذه الاحتياطات بإدخالهم تحت الكساء، ليقطع بها الطريق على كلّ مدّع ومتقول، ثمّ تأكّيده هذا المعنى خلال تسعة أشهر في كلّ يوم خمس مرّات يقف

---

(١) مناقب أمير المؤمنين، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢٨؛ شواهد التنزيل، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٩؛ الدرّ المنتور، مصدر سابق، ج ٦، ص ٦٠؛ تفسير روح المعاني، مصدر سابق، ج ٢٢، ص ١٣.



فيها على باب عليّ وفاطمة، كلّ ذلك يوجب القطع بأنّ  
 للآية شأنًا يتجاوز المناحي العاطفية، وهو ما يتنزّه عنه مقام  
 النبوة، لأمر يتّصل بصميم التشريع، من إثبات العصمة لهم  
 وما يلازم ذلك من لزوم الرجوع إليهم والتأثر والتأسي بهم  
 في أخذ الأحكام. على أنّ الآية لا يتّضح لها معنى غير  
 ذلك»<sup>(١)</sup>.

---

(١) الأصول العامّة للفقّه المقارن، مصدر سابق، ص ١٥٩.

## شبهات حول آية التطهير

بالرغم من تأكيد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حصر تطبيق الآية الكريمة على هؤلاء الأشخاص، وعدم فسح المجال لأيّ أحد من الدخول معهم، فيما قرأته من أحاديث، وعشرات مثلها لم نذكرها حذر الإطالة، بالرغم من كلّ ذلك فقد أُثِرَت بعض الشبهات حول المراد من أهل البيت، ودلالة الآية على العصمة، وغيرها من الشبهات، نذكرها للإجابة عنها.

### الشبهة الأولى: في المراد من أهل البيت

ذهب جمهور المفسّرين من غير الإمامية إلى شمول الآية الكريمة لنساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ قال الألويسي في تفسيره:

«والذي يظهر لي أنّ المراد من أهل البيت من لهم مزيد علاقة به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونسبة قويّة قريبة إليه عليه الصلاة والسلام بحيث لا يقبح عرفاً اجتماعهم وسكناهم معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيت واحد، ويدخل في ذلك أزواجه، والأربعة أهل الكساء، وعليّ كرم الله وجهه، مع ما له من القرابة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد نشأ في حجره (عليه الصلاة والسلام)، فلم يفارقه، وعامله

كولده صغيراً، وصاهره وآخاه كبيراً»<sup>(١)</sup>.

هذا، وقد ابتنى استدلالهم لهذا الرأي على عدّة وجوه:

**الوجه الأوّل:** رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس من نزولها في أمّهات المؤمنين، وكان عكرمة ينادي في السوق<sup>(٢)</sup>، ويقول: «مَنْ شاء باهلتها أنّها نزلت في أزواج النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»<sup>(٣)</sup>.  
وقال أيضاً: «ليس بالذي تذهبون إليه، إنّما هو نساء النبيّ»<sup>(٤)</sup>.

ويمكننا أن نسجّل على هذا الوجه عدّة ملاحظات:

**الأولى:** أنّ هذا الرأي يستدعينا قبل كلّ شيء إلى تقييم موضوعي لآراء عكرمة وأقواله، ودوافعه النفسية فيها، فإنّه كان من المنتمين إلى الخوارج.

«وللخوارج موقف مع الإمام عليّ معروف. فلو التزم بنزول الآية في أهل البيت بما فيهم عليّ، لكان عليه القول بعصمته، ولأهار على نفسه أسس عقيدته التي سوّغت لهم الخروج عليه ومقاتلته، وبرّرت لهم - أعني الخوارج - قتله»<sup>(٥)</sup>.  
وقد اشتهر كذبه على مولاة ابن عباس، وكان الموالي يحذّرون عبيدهم من الكذب عليهم، ويتمثّلون بكذب عكرمة على مولاة. وهذا سعيد بن

(١) روح المعاني، مصدر سابق، ج ٢٢، ص ١٩، وانظر الكشاف، مصدر سابق، ج ٣، ص ٥٣٨؛ تفسير الفخر الرازي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٠٩.  
(٢) أسباب النزول للواحدي، ص ٢٦٨.  
(٣) الدرّ المنتور، مصدر سابق، ج ٦، ص ٦٠٣.  
(٤) الدرّ المنتور، مصدر سابق، ج ٦، ص ٦٠٣.  
(٥) الأصول العامّة للفقّه المقارن، مصدر سابق، ص ١٥٣.

المسيّب يقول لغلّامه واسمه برد: «يا برد؛ إيّاك وأن تكذب عليّ كما يكذب عكرمة على ابن عبّاس»<sup>(١)</sup>.

وسُئل عنه محمّد بن سيرين فقال: «ما يسرّني أن يكون من أهل الجنّة كذاب»<sup>(٢)</sup>. وقال عنه عطاء: «إنّه كذاب»<sup>(٣)</sup>.

وحاول عليّ بن عبد الله بن عبّاس رده عن ذلك، وكان يستعمل معه بعض وسائل التأديب ليصدّه عن الكذب؛ يقول عبد الله بن أبي الحارث:

«دخلت على عليّ بن عبد الله بن عبّاس، وعكرمة موثق على باب كنيف، فقلت: أتفعلون هذا بمولاكم؟! فقال: إنّ هذا يكذب على أبي»<sup>(٤)</sup>.

ومنّ كان هذا شأنه في الكذب، وبُغض أمير المؤمنين عليه السلام، هل يمكن لروايته أن تعارض النصوص المتواترة؟! وقد قرأت بعضها وفيها المتفق على تصحيحه، وعشرات مثلها.

أمّا رواية ابن عبّاس ذلك، فهي مروية بواسطة عكرمة، وقد عرفت حاله في الكذب على مولاها. وأمّا رواية سعيد بن جبير لها عن ابن عبّاس مباشرة، فمن القريب أنّها بواسطة عكرمة وقد وقع فيها نوع من التدليس، فإنّ الذي أخرجه ابن أبي حاتم وابن عساكر وابن جرير وابن مردويه

---

(١) الغدير، مصدر سابق، ج ٩، ص ١٥٩، نقلاً عن المعارف، ص ١٩٤؛ الأصول العامّة للفقّه المقارن، مصدر سابق، ص ١٥٣.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد عبد الله بن عديّ الجرجاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ج ٥، ص ٢٦٦.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد عبد الله بن عديّ الجرجاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ج ٥، ص ٢٦٦.

(٤) الأصول العامّة للفقّه المقارن، ص ١٥٣، نقله عن وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٢٠.

الحافظ لهذه الرواية إنما هو عن عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.

مضافاً إلى ما تقدّم من النصوص الصحيحة عن ابن عباس وكثير غيرها في نزول آية التطهير في الخمسة عليهم السلام فإنه يكذب هذه الرواية، ولا تصلح لمعارضته.

**الثانية:** التأمل في النصوص الواردة بشأن أهل البيت، سواء المرتبط منها بآية التطهير، أم غيرها من حديث الثقلين، وحديث المباهلة وما إلى ذلك، يفيدنا أنّ مفهوم «الأهل» لا يشمل الأزواج في استعمالات العرب إلاّ على نحو من التجوّز، الذي يحتاج إلى عناية خاصّة وقرينة توضيحية متّصلة أو منفصلة، وتبدو مفروغية ذلك في قول النبيّ صلّى الله عليه وآله لأُمّ سلمة حينما قالت: «يا رسول الله أأنت من أهل البيت؟! قال: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ»<sup>(٢)</sup>.

وسئل زيد بن أرقم فيما رواه مسلم في الصحيح فقيل له: «مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ، نَسَاؤُهُ؟».

قال: «لا وأيم الله، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها»<sup>(٣)</sup>.

«فإنّ تعليل زيد بن أرقم يدلّ على المفروغية عن ذلك، ولا يبعد دعوى التبادر من كلمة «أهل» خصوصاً من كانت له بالشخص وشائج قرىبي ثابتة غير قابلة للزوال، والزوجة وإن

(١) الدرّ المشثور، مصدر سابق، ج٦، ص ٦٠٢.

(٢) مناقب أمير المؤمنين، مصدر سابق، ج١، ص ١٢٣؛ الدرّ المشثور، ج٦، ص ٦٠٤.

(٣) صحيح مسلم، مصدر سابق، ج٧، ص ١٢٣.

كانت قريبة من الزوج، إلا أن وشائجها القريبة قابلة للزوال بالطلاق وشبهه، كما ذكر زيد<sup>(١)</sup>.

وأما رأي عروة بن الزبير، وعكرمة في اختصاص الآية بنساء النبي صلى الله عليه وآله وإصرار عكرمة على ذلك، فلم يوافق أحد فيه، بل «الذي يبدو أن الرأي السائد على عهده كان على خلاف رأيه، كما يشعر به فحوى ردّه على غيره: ليس بالذي تذهبون إليه، إنما هو نساء النبي (صلى الله عليه وآله)»<sup>(٢)</sup>.

**الوجه الثاني:** النصوص الظاهرة في شمولها لغير علي وفاطمة وابنيهما عليهم السلام، كأُم سلمة، أو وائلة بن الأسقع، فروي عن أم سلمة أنها قالت:

في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾  
قالت: فأرسل رسول الله إلى علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وقال:  
«هؤلاء أهل بيتي».

قالت: فقلت: يا رسول الله أما أنا من أهل البيت؟

قال: «بلى إن شاء الله»<sup>(٣)</sup>.

وعن الأوزاعي، قال: حدثني أبو عمّار رجل منّا، قال: حدثني وائلة بن الأسقع الليثي، قال:

(١) الأصول العامة للفقهاء المقارن، مصدر سابق، ص ١٥٥.

(٢) الأصول العامة للفقهاء المقارن، ص ١٥٢؛ الدرّ المنتور، مصدر سابق، ج ٦، ص ٦٠٣.

(٣) شواهد التنزيل، مصدر سابق، ج ٢، ص ٩٢.

جئت أريد علياً فلم أجده، فقالت فاطمة: انطلق إلى رسول الله يدعوه، فاجلس، فجاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا ودخلتُ معهما، فدعا رسول الله حسناً وحسيناً، فأجلس كل واحد منهما على فخذي، وأدنى فاطمة من حجره وزوجها، ثم لفّ عليهم ثوبه وأنا منتبذ، فقال:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.  
«اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي، وَأَهْلِي أَحَقُّ».

قال واثلة: قلت: يا رسول الله وأنا من أهلك؟ قال: «وأنت من أهلي».  
قال واثلة: إنه لمن أرجى ما أرجو<sup>(١)</sup>.

هذه النصوص وأمثالها قد تذكر للتدليل على شمول آية التطهير لغير من يقول بهم الإمامية.

وهذا الوجه لا يمكننا قبوله أيضاً، لأنّ الأخبار المذكورة في ذلك ومجموعها لا يصل إلى عشر روايات - لا يمكنها مقاومة ما تقدّم من النصوص الكثيرة، لأنّ الضعيف سنداً منها لا يصحّ الاحتجاج به، والصحيح خبر واحد لا ينهض بمعارضة المتواترات من الأخبار، ولقد قال الألويسي في تفسيره:

«وأخبار إدخاله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وابنيهما رضي الله تعالى عنهم، تحت الكساء، وقوله عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي»، ودعائه لهم، وعدم إدخال أمّ سلمة أكثر من أن تحصي، وهي مخصّصة لعموم

(١) شواهد التنزيل، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٤.

أهل البيت بأيّ معنى كان. فالمراد بهم من شملهم الكساء، ولا يدخل فيهم أزواجه»<sup>(١)</sup>.

وقد أُعلن ذلك من قبل أمّهات المؤمنين أنفسهنّ فيما رُوي عنهنّ بالأسانيد الصحيحة، وقد تقدّم بعضه<sup>(٢)</sup>.

وأما رواية دخول وائلة بن الأسقع فلا تصلح لمعارضة الروايات الصحيحة عن وائلة، الخالية من قوله: «قلت: يا رسول الله وأنا من أهلك؟ قال: وأنت من أهلي. قال وائلة: إنّه لمن أرجى ما أرجو»<sup>(٣)</sup>.

والذي يغلب على الظنّ أنّ هذه الزيادة قد جاءت من قبّل أولئك المتزلفين للسلطات الحاكمة آنذاك، الذين حاولوا تمييع مقام العترة النبوية، من خلال إضافة شيء أو حذف آخر في نصوص السنّة الشريفة، وإلّا فشمول آية التطهير لوائلة شرف لا يمكنه أن يتغافل عنه أو ينساه فيما رواه الثقات من الحديث الصحيح عن وائلة نفسه! وقد تقدّم قسط منه.

**الوجه الثالث:** وحدة السياق، وهي أهمّ ما ذكر للاستدلال على شمول آية التطهير لنساء النبيّ صلّى الله عليه وآله، فإنّها جاءت ضمن الآيات (٢٨ - ٣٤ من سورة الأحزاب)، وهذه الآيات الكريمة تبدأ بخطاب الرسول الأكرم وأمره صلّى الله عليه وآله بتخيير أزواجه بين الدنيا والآخرة، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِك...﴾، ثمّ يتحوّل الخطاب إلى أزواجه صلّى الله

(١) روح المعاني، مصدر سابق، ج ٢٢، ص ١٤.

(٢) وقد استعرض منها في كتاب شواهد التنزيل - وحده - ما يربو على (١٤٠) حديثاً، بأسانيد وألفاظ مختلفة، وقد أشرنا إلى بعضها فيما تقدّم.

(٣) شواهد التنزيل، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٤.



عليه وآله في وعظهن وإرشادهن، وبيان اختلافهنّ عن جميع نساء المسلمين، وأنّ الحسنة مضاعفة لهنّ كالسيئة، وفي ضمن ذلك تأتي آية التطهير كواحدة من الآيات الشارحة لمكانة أمّهات المؤمنين.

والمدعى أنّ دلالة وحدة السياق كافية لتعيين المراد من أهل البيت في الآية، وشمولها لنساء النبيّ صلّى الله عليه وآله على أقلّ تقدير.

## جوابه

إنّ مسألة وحدة السياق تواجهها - هي الأخرى عدّة إشكالات:

١ - إنّ الشرط الأساسي لجواز التمسكّ بها في كلّ كلام، العلم بوحدة ذلك الكلام، ليكون بعضه قرينة على المراد من بعضه الآخر. فإنّ احتمال تعدّد الكلام وحده كاف في عدم جواز التمسكّ بوحدة السياق، كما هو واضح.

وكذلك هي آيات الكتاب العزيز، لا يصحّ التمسكّ فيها بوحدة السياق ليكون بعضها قرينة على المراد من بعضها الآخر، إلّا بعد إثبات نزولها دفعة واحدة، وفي مناسبة واحدة.

ومن الواضح أنّ نظم الآيات في القرآن الكريم لم يكن على أساس من التسلسل الزمني. فربّ آية مدنية وضعت بين آيات مكّية وبالعكس، ويتّضح هذا بأدنى مراجعة لأسباب النزول في كثير من آيات الذكر الحكيم.

على هذا الأساس ففوق آية التطهير ضمن ما نزل في أمّهات المؤمنين لا يدلّ على نزولها مع تلك الآيات، لئتمسكّ بوحدة السياق في تعيين المراد منها، ومن العسير جداً إثبات وحدة النزول لهذه الآيات الكريمة، ومن

ضمنها آية التطهير، بل إن النصوص المتقدمة المتواترة مضموناً - لتعدّد روايتها في جميع الطبقات - كافية لنفي هذا الاحتمال، وهي صريحة بنزولها - أعني آية التطهير - مستقلة عمّا سبقها ولحقها من الآيات.

بل منها ما يشير إلى تقدّم نزولها على آيات النساء بفترة ليست بالقصيرة، فقد تلاها - أي آية التطهير - رسول الله صلى الله عليه وآله أول مرة عند زفاف فاطمة لعليّ عليهما السلام، وأعقب ذلك صبيحة العرس ولمدة دامت أربعين يوماً، يقف كلّ صباح على باب دارهما ويقرأ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾ (الآية).

والذي عليه المفسّرون أن نزول الآيات المرتبطة بالنساء كان بعد زواج رسول الله صلى الله عليه وآله بمجموعة منهنّ، بل ثمّة من ذهب إلى كونهن تسعة عند نزول هذه الآيات<sup>(١)</sup>، ولم يختلف أحد في وجود «حفصة» آنذاك، وأنها من جملة النساء اللاتي خيرهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بين الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>.

وكان زواجه صلى الله عليه وآله من «حفصة» فيما صرّح به الطبري وغيره في السنة الثالثة من الهجرة، قبل الخروج إلى أحد<sup>(٣)</sup>، وهذا التاريخ متأخّر عن زواج فاطمة بما يقارب السنة الواحدة أو يزيد عليها<sup>(٤)</sup>.

«والظاهر من روايات أمّ سلمة، وهي التي نزلت في بيتها

(١) انظر: الدرّ المنثور، ج ٦، ص ٥٩٦؛ مجمع البيان، مصدر سابق، ج ٨، ص ١٥١.

(٢) انظر: الدرّ المنثور، مصدر سابق، ج ٦، ص ٥٩٣.

(٣) تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٩٩.

(٤) وقد تقدّم أنّ زواج فاطمة عليها السلام كان بعد الرجوع من غزوة بدر.

هذه الآية، أنها نزلت منفردة، كما توحى به مختلف الأجواء التي رسمتها رواياتها، لما أحاط بها من جمع أهل البيت، وإدخالهم في الكساء، ومنعها من مشاركتهم في الدخول، إلى ما هنالك»<sup>(١)</sup>.

هذا، ولو فرض عدم بلوغ هذا التقريب مرحلة القطع، فيكفي كونه احتمالاً مانعاً من التمسك بوحدة السياق.

٢ - إن جميع الضمائر الواردة في الآيات المرتبطة بالنساء مؤنثة، سواء منها ما جاء قبل آية التطهير كقوله تعالى: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ... وَمَنْ يَفْتَنُ مِنْكُنَّ... يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ... إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ... وَقُلْنَ... وَقُرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ... وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ...» وما بعدها «وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ...»، وتأتي آية التطهير بين هذه الآيات المباركة بالضمائر المذكورة، مضافاً إلى اختلاف لحن الخطاب فيها عن المقطع المرتبط بـ«أهل البيت»، فإن المقاطع الأولى تصرح بأن بلوغ نساء النبي صلى الله عليه وآله لمرتبة الأجر المضاعف أو نيل العقوبة كذلك، منوط بهن وإيرادتهن الخاصة، كقوله تعالى: «إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا... وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ يَفَاحِشَةً...» وهكذا البواقي، وهذا بخلاف المقطع المرتبط بأهل البيت، فإنه يحكي تعلق الإرادة الإلهية - لا إرادتهم - بإذهاب الرجس وتطهيرهم تطهيراً.

وكيف يمكن لإرادة الله تعالى المحتومة أن تتعلق بنزاهة أزواج النبي

(١) الأصول العامة للفقهاء المقارن، مصدر سابق، ص ١٥٨.

صلى الله عليه وآله، وطهارتهنّ من كلّ الخبائث والأرجاس، والآيات السابقة يلوح منها احتمال انصرافهنّ إلى الدنيا وسقوطهنّ في حبالها وزينتها؟! ومن الواضح عدم انسجامه مع الإرادة الحتمية بالطهارة.

وهذا يقرب ما نرمي إليه من أنّ آية التطهير منفردة في النزول والموضوع، بل لو ثبت نزولها مع الآيات الأخرى فإنّها تختلف عنها في شأن النزول، إذ إنّ وحدة السياق تقتضي الاتّحاد في نوع الضمائر من جهة، والاتّحاد في لحن الخطاب من جهة أخرى، وهذا ما لا نجده في هذه الآيات الكريمة.

ومن هنا اضطرّ الفخر الرازي إلى حمل الآية على خلاف ظاهرها، حيث يقول:

«يعني ليس المنتفع بتكليفكنّ هو الله، ولا تنفعن الله فيما تأتين به، وإنّما نفعه لكنّ، وأمره تعالى لمصلحتكنّ»<sup>(١)</sup>.

نعم، يبقى هذا التساؤل وهو: إذا لم تكن هذه الآية قد نزلت مع تلك الآيات، كما هو الأقوى، أو أنّها نزلت معها لكنّها مختلفة عنها من حيث شأن النزول، فما هي مناسبة وضعها ضمن تلك الآيات التي تتعلّق بأزواج النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله؟

وقد أُجيب عنه بعدة وجوه، نكتفي منها بوجه واحد:

إنّ التأمّل في سياق الآيات الكريمة يلوح منه أنّ أزواج النبيّ أو بعضهنّ «كانت لا ترتضي ما في عيشتهنّ في بيت النبيّ صلى الله

---

(١) تفسير الفخر الرازي، مصدر سابق، ج ٢٤، ص ٢٠٩.

عليه وآله من الضيق والظنك ، فاشتكت إليه ذلك،  
واقترحت عليه أن يسعدهنّ في الحياة بالتوسعة فيها،  
وإيتائهنّ من زينتها. فأمر الله سبحانه نبيّه أن يخيرهنّ بين  
أن يفارقنه ولهنّ ما يردن، وبين أن يبقين عنده ولهنّ ما هنّ  
عليه من الوضع الموجود»<sup>(١)</sup>.

وبهذا المعنى جاءت النصوص الكثيرة الواردة بشأن نزول آيات  
التخيير، وأنها نزلت بسبب سوء معاشرّة بعضهنّ لرسول الله صلّى الله عليه  
وآله، وكنّ يغاضبنه صلّى الله عليه وآله، ويهجرنه اليوم حتّى الليل، في  
سبيل النفقة والتوسعة فيها، فمن ذلك ما أخرجه البخاري في الصحيح  
وغيره عن عمر لما حدثته زوجته عن نساء النبيّ صلّى الله عليه وآله وكيفية  
معاشرتهنّ له، قال:

(فقلت لحفصة: أتراجعين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟

قالت: نعم، وتهجره إحدانا اليوم إلى الليل.

قال: فقلت: قد خابت من فعلت ذلك منكنّ وخسرت، أتأمن إحدانك  
أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فإذا هي قد  
هلكت)<sup>(٢)</sup>.

وأخرج مسلم في الصحيح عن جابر؛ قال:

(أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، والناس

(١) الميزان، مصدر سابق، ج ١٦، ص ٣٠٥.

(٢) صحيح البخاري، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٠٤ ؛ سنن الترمذي، مصدر سابق، ج ٥،  
ص ٩٤.

ببابه جلوس، فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر، فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلوا، والنبى صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه، وهو ساكت، فقال عمر رضي الله عنه لأكلمن النبى صلى الله عليه وسلم لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت بنت زيد امرأة عمر فسألتنى النفقة أنفاً فوجأت عنقها.

فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدا نواجذه، قال: هنّ حولي كما ترى يسألنني النفقة.

فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة رضي الله عنها ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده!

فنهاما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلن نساؤه: والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده.

قال: وأنزل الله عزوجلّ الخيار...<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى:

(قال: هنّ حولي كما ترى يسألنني النفقة.

فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم! ما ليس عنده.

فقلن: والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً أبداً ليس عنده.

ثمّ اعتزلهنّ شهراً أو تسعاً وعشرين، ثمّ نزلت عليه هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا

(١) صحيح مسلم، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٨٧.

النَّبِيِّ قُلْ لَزَوْاجِكَ...» حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

فجاءت الآيات الكريمة شارحة لمكانة نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، محذرة لهنَّ من السقوط في المعصية، وأنَّ جميع ما ترتب عليهنَّ من مضاعفة الثواب والعقاب وغيره إنما هو بسبب انتسابهنَّ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأنَّ هذا النوع من الانتساب لا يُضفي على الإنسان أيَّ تمييز أو كرامة على الله سبحانه ما لم يقترن بالتقوى والإحسان، كما قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ وهذه التكاليف الموجهة إليهنَّ، وإن كانت مشتركة بين جميع المكلَّفين إلاَّ أنَّها مؤكَّدة بالنسبة لهنَّ، فيجب عليهنَّ أن يبالغن في امتثال أحكام الله تعالى، ويحتطن في دينه أكثر من سائر النساء، لأنَّهن في بيت أذهب الله الرجس عن أهله وطهرهم تطهيراً، كما قال في دلائل الصدق:

«إنما أمرهنَّ ونهاهنَّ وأدبهنَّ إكراماً لأهل البيت، وتنزيهاً لهم عن أن تنالهم بسببهنَّ وصمة، وصوناً لهم عن أن يلحقهم من أجلهنَّ عيب، ورفعاً لهم عن أن يتصل بهم أهل المعاصي، ولذا استهلَّ سبحانه الآيات بقوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾، ضرورة أنَّ هذا التمييز إنما هو للاتِّصال بالنبيِّ وآله لا لذواتهنَّ، فهنَّ في محلِّ وأهل البيت في محلِّ آخر، فليست الآية الكريمة إلاَّ كقول القائل: يا زوجة فلان لست كأزواج سائر الناس، فتعففي وتستري وأطيعي الله تعالى، إنما زوجك من بيت أطهار يريد الله

(١) صحيح مسلم، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٨٧.

حفظهم من الأذناس وصونهم من النقائص»<sup>(١)</sup>.

فكان موقع آية التطهير للتدليل على أن أسرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله منقسمة إلى قسمين: قسم يُراد منه الامتثال المؤكّد لأحكام الله تعالى، والتأدّب بالأخلاق والفضائل، والمزايا الحميدة وما إلى ذلك، لا لأجل ذواتهم بل لاتّصالهم وانتسابهم بمن هو مثل رسول الله صلى الله عليه وآله المنزه عن كلّ وصمة أو عيب. وهؤلاء هم الذين سمّاهم القرآن الكريم بـ(نساء النبيّ)، ولم يصف حتّى بيوتهنّ إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، بل أضافه إليهنّ في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، ولم يكن في جميع هذه الآيات المباركة أيّ تدليل على الاصطفاء، أو التمييز، أو الكرامة الخاصة على الله تعالى.

وقسم آخر من أسرة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله اصطفاهم الله تعالى، وأراد لهم بإرادته المحتومة التي لا خلف فيها الطهارة من كلّ رجس، والعصمة بأسمى معانيها، وهؤلاء هم الذين ورد التعبير عنهم بـ«أهل البيت»، من دون وصف للبيت ولا إضافة، كأنما هذا البيت هو البيت الواحد في هذا العالم المستحقّ لهذه الصفة، فإذا قيل «البيت» فقد عُرف وحُدّد، كما قيل عن الكعبة: «بيت الله» فسمّيت البيت والبيت الحرام. وأهل هذا البيت الجليل هم الخمسة الذين ضمّهم الكساء، وعلى رأسهم صاحب البيت وعميدهم رسول الله صلى الله عليه وآله. ومن ثمّ فقد جاءت آية التطهير بمثابة الجملة الاعتراضية، لتبيّن

(١) دلائل الصدق، الشيخ محمد حسن المظفر، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، ١٣٩٥هـ، ج ٢، ص ٧٢.



الفوارق بين القسمين من أسرة النبي الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لثلاً يتوهم أحد أن جميع أفراد الأسرة على نسيج واحد وشاكلة واحدة، فلم يتوجه خطاب الوعد والوعيد والتحذير من السقوط في مهاوي الدنيا وما إلى ذلك إليهم جميعاً، بل لقسم واحد منهم وهو (نساء النبي)، وأما القسم الآخر فقد اصطفاهم الله تعالى وأكرمهم بإذهابه الرجس عنهم وتطهيرهم تطهيراً.

٣ - ولو غضّ النظر عمّا سبق، وأمكن التمسك بوحدة السياق «لما كانت أكثر من كونها اجتهاداً في مقابلة النص، والنصوص السابقة كافية لرفع اليد عن كل اجتهاد جاء على خلافها»<sup>(١)</sup>.

٤ - إن شمول هذه الآية الكريمة لإنسان أي إنسان شرف يفتخر به، وفضيلة يعلنها للناس عند ميسس الحاجة إليها، وهذا ما نجده في كثير من مواقف الخمسة من أهل البيت عليهم السلام. فما أكثر ما كانوا يعلنون نزول هذه الآية فيهم، وهذا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يعلن للناس أن الله جعل بيته أفضل البيوت، وهو من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، كما تقدمت خطبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في ذلك.

ويخطب أبو محمد الحسن عليه السلام في الناس بعدما طعن في فخذة؛ فيقول: «يا أهل العراق، اتقوا الله فينا، فإننا أمراؤكم وضيغانكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾».

فما زال يومئذ يتكلم حتى ما ترى في المسجد إلا باكياً.

(١) الأصول العامة للفقهاء المقارن، مصدر سابق، ص ١٥٧.

قال ابن حجر في مجمعه: «رواه الطبراني، ورجاله ثقات»<sup>(١)</sup>.

ولم نجد مثل هذا الإعلان لدى أمّهات المؤمنين، فلم تدع واحدة منهنّ نزول آية التطهير فيها أو شمولها لها، مع مسيس حاجة بعضهنّ إليه، تصحيحاً لبعض مواقفها السياسية ومعارضة الخلافة القائمة آنذاك.

بل على العكس من ذلك فقد اعترفت عائشة وأمّ سلمة فيما تحدّثن به من حديث الكساء بعدم إذن رسول الله صلّى الله عليه وآله لهما بالدخول تحت الكساء، وكنّ يتمنين ذلك، إلا أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله بقي مصرّاً على عدم مشاركتهنّ لهؤلاء، وقد تقدّم بعض ذلك.

وعن مجمع، قال:

(دخلت مع أمّي على عائشة، فسألته أمّي قالت: أرايت خروجك يوم الجمل؟ قالت: إنّه كان قدراً من الله.

فسألته عن عليّ.

فقلت: تسأليني عن أحبّ الناس كان إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، وزوج أحبّ الناس كان إلى رسول الله، لقد رأيت عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وجمع رسول الله بثوب عليهم، ثمّ قال:

«اللهمّ انّ هؤلاء أهل بيتي وحامّي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

فقلت: يا رسول الله أنا من أهلك؟

قال: «تنحّي إنيك إلى خير»<sup>(١)</sup>.

(١) مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج ٩، ص ١١٩.

وعن عمّار بن أبي معاوية الدهني، عن عمرة، قالت: سمعت أمّ سلمة تقول:

(نزلت هذه الآية في بيتي: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، قالت: وفي البيت سبعة: جبرئيل، وميكائيل، ورسول الله صلى الله عليه وآله، وعلي، وفاطمة، وحسن، وحسين صلوات الله عليهم.

قالت: وأنا على باب البيت جالسة، قلت: يا رسول الله أأنت من أهل البيت؟! قال: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ».

وما قال إنني من أهل البيت<sup>(٢)</sup>.

وفي بعض النصوص عن أمّ سلمة أنها قالت: «فلو كان قال نعم، كان أحبّ إليّ ممّا تطلع عليه الشمس وتغرب»<sup>(٣)</sup>.

### الشبهة الثانية

وجاءت هذه الشبهة في كلمات بعض المفسرين، ومنهم الألوسي في تفسيره، حيث يقول - رداً على استفادة العصمة من الآية الكريمة :-

«وتعقّبهُ بعضُ أَجَلَّةِ المتأخّرين، بأنّه لو فرضُ تعيّنُ كلِّ ما ذهبوا إليه، لا تُسلّمُ دلالتها على العصمة، بل لها دلالة على

(١) شواهد التنزيل، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٢.

(٢) شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٨٢.

(٣) شواهد التنزيل، ج ٢، ص ١٣٣.

عدمها، إذ لا يقال في حقّ من هو طاهر: إنّي أريد أن أُطهّره. ضرورة امتناع تحصيل الحاصل. وغاية ما في الباب أنّ كون هؤلاء الأشخاص (رضي الله تعالى عنهم) محفوظين من الرجس والذنوب بعد تعلّق الإرادة بإذهاب رجسهم، يثبت بالآية، ولكن هذا على أصول أهل السنّة، لا على أصول الشيعة، لأنّ وقوع مراده (تعالى) غير لازم عندهم لإرادته مطلقاً.

وبالجملة، لو كانت إفادة معنى العصمة مقصودة لقليل هكذا: (إنّ الله أذهبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيت وطهّرَكم تطهيراً)<sup>(١)</sup>.

وقد تضمّن كلامه هذا عدّة نقاط للإشكال:

١ - فيما يتصل بدعوى أنّ إرادة الله تعالى لا تستتبع وقوع الفعل المراد عند الشيعة، فهي نسبة غريبة جداً، لم يذهب إليها أحد منهم، وليته دلّنا ولو على شيعي واحد يؤمن بهذا الرأي، وقد أشبعنا البحث في «الإرادة» فيما تقدّم.

٢ - وأمّا فيما يرتبط بمسألة تحصيل الحاصل، فإن كان يقصد بذلك التعبير بـ«يُذهب» في الآية الكريمة - كما يظهر من فحوى كلامه المتقدّم، خصوصاً المقطع الأخير منه، مع ملاحظة أنّ معنى الإذهاب هو الرفع لا الدفع، أي رفع الرجس الموجود، وعليه فلا تدلّ الآية على العصمة، بل دلالتها على عدم العصمة أوضح - فالجواب عنه نقضاً وحلاً:

(١) روح المعاني، مصدر سابق، ج ١٩، ص ١٨.

**الأوّل:** إنّه ممّا لا خلاف فيه بين المفسّرين والمحدّثين أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ممّن ضمّه الكساء، وشملته الآية الكريمة، بل هو أفضلهم وأكملهم، كما نطقت به النصوص المتقدّمة وغيرها. فإن كان إذهاب الرجس عنه صلّى الله عليه وآله عند نزول الآية أو على حدّ تعبيره: «أنّ كون هؤلاء الأشخاص (رضي الله تعالى عنهم) محفوظين من الرجس والذنوب بعد تعلق الإرادة بإذهاب رجسهم»، فلازمه عدم طهارته صلّى الله عليه وآله قبل نزول الآية، وهذا ما لا يلتزم به هذا القائل، بل هو مخالف لجميع المسلمين، إذ لا يستريب أحد منهم في عصمة النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله من حين البعثة على أقلّ التقادير. هذا وتأخّر نزول هذه الآية عن البعثة بمدة ليست بالوجيزة من الواضحات.

**الثاني:** إنّ لفظة «أذهب» ومشتقاتها تطلق في الاستعمال العربي الشائع ويراد منها الرفع والدفع، أي رفع الحاصل، أو دفع ما هو ممكن الحصول. ونصوص السنّة الشريفة خير شاهد على ذلك، فقد ورد عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال:

«مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ حَلَاوَةَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَارَةَ الْمَوْتِ»<sup>(١)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«مَنْ ابْتَدَأَ بِالْمَلْحِ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ نَوْعًا مِنَ الْبَلَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال:

(١) مستدرک الوسائل، الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل

البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ٢، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ج ١٦، ص ٣٥٥.

(٢) كنز العمال، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٨٦.

«مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ حِينَ يَصْبِحُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْسَ ذَلِكَ الْيَوْمِ»<sup>(١)</sup>.

ومن هذه النصوص وغيرها نعرف معنى «أذهب»، حيث استعملت في هذه النصوص بمعنى دفع ما يمكن أن يحصل، و«أذهب الله عنه...» أي: دفع عنه هذه الأمور، لا أنه رفعها بعد أن كانت موجودة فيه.

قال السيّد علي خان في «رياض السالكين» - تعقيباً على قوله عليه السلام: «فأزح عنّا ريب الارتياب» :-

«ليس المراد بالإزاحة والإذهاب هنا، إزالة ريب الارتياب بعد كونه وحصوله، وإن كان معناه في أصل الوضع، بل هو من قبيل قوله تعالى: ، «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» ومعناه حسم أسباب الرجس، وعدم الإعداد له رأساً، لا إزالته بعد حصوله، ولذلك قال الزمخشري: بيّن تعالى بهذه الآية أنه إنما يريد أن لا يقارف أهل بيت رسول الله المآثم، وأن يتصوّتوا عنها بالتقوى»<sup>(٢)</sup>.

وقال الزمخشري:

«تقول: (سبحان من صغّر جسم البعوضة، وكبّر جسم الفيل)، وقولك للحقّار: (ضيّق فم الركبة، ووسّع أسفلها). وليس ثمّ نقل من كبر إلى صغر، ولا من صغر إلى كبر، ولا من ضيق إلى سعة، ولا من سعة إلى ضيق. وإنما أردت

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٦.

(٢) رياض السالكين، مصدر سابق، ج ٥، ص ١٤٩؛ الكشاف، مصدر سابق، ج ٣، ص ٥٣٨.

الإنشاء على تلك الصفات»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا يتجلى لنا المراد من الآية الشريفة، وأن قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ...﴾ للتدليل على دفع الرجس وإبعاده عن هؤلاء البررة.

وهذا هو الأسلوب القرآني في التعبير عن الأنبياء وعباد الله المخلصين، حيث لا يدنو منهم الرجس، ولا الفحشاء ولا المنكر، وتكون هي المنصرفة والمبتعدة عنهم؛ قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. فكان السوء والفحشاء هما المنصرفان عن يوسف عليه السلام، لا هو المنصرف عنهما؛

«لما في الثاني من الدلالة على أنه كان فيه ما يقتضي اقترافهما المحجوج إلى صرفه عن ذلك، وهو ينافي شهادته تعالى بأنه من عباده المخلصين، وهم الذين أخلصهم لنفسه، فلا يشاركه فيهم شيء، فلا يطيعون الشيطان، أو تزيين نفس، أو أيّ داع يدعو من دون الله سبحانه»<sup>(٣)</sup>.

### الشبهة الثالثة

ممّن آثار هذه الشبهة الألوّسي أيضاً، حيث قال:

«وقد يُستدلّ على كون الإرادة هنا بالمعنى المذكور (أي التشريعية) دون المعنى المشهور (أي التكوينية) الذي

(١) الكشاف، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٥٤.

(٢) سورة يوسف: ٢٤.

(٣) الميزان، مصدر سابق، ج ١١، ص ١٢٩.

يتحقق عنده الفعل، بأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال حين أدخل علياً وفاطمة والحسين رضي الله عنهم تحت الكساء: «اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أَهْلَ بَيْتِي، فَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً»، فإنه أيّ حاجة للدعاء لو كان ذلك مراداً بالإرادة بالمعنى المشهور؟ وهل هو إلاّ دعاء بحصول واجب الحصول؟!<sup>(١)</sup>.

### الجواب:

أولاً: إنّ جعل الإرادة تشريعية لا يدفع محذور تحصيل الحاصل الذي فرضه للإرادة التكوينية، لأنه حينئذ يكون معنى دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ هُوَ (اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَهْلَ بَيْتِي مَشْمُولِينَ بِأَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، واجْعَلْهُمْ مَكْلُوفِينَ بِالْأَحْكَامِ الَّتِي شَرَعْتَهَا لِجَمِيعِ النَّاسِ)، وهل هذا إلاّ نفس تحصيل الحاصل الذي حاول الألوّسي التخلّص منه؟!

ثانياً: إنه لا تنافي بين أن يكون الشيء حاصلًا، والدعاء لإدامته أو زيادته. فهذا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ الَّذِي قَالَ عَنْهُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>، مع ذلك يقف في صلاته كل يوم عشرات المرّات ليقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(٣)</sup>.

تُرى أنه لم يكن قبلها مهدياً إليه! كلا؛ فإنه دعاء لإدامة تلك الهداية، فلماذا لم يعتبره الألوّسي دعاءً بحصول الحاصل؟

(١) روح المعاني، مصدر سابق، ج ١٩، ص ١٨.

(٢) سورة الشورى: ٥٢.

(٣) سورة الفاتحة: ٦.



ثالثاً : إنّ الدعاء بالتطهير أو بأيّ أمر حاصل، يمكن تفسيره بأحد وجهين:

الأوّل: إنّ حصول الشيء عند الإنسان لا يعني الاستغناء عن الله تعالى في دوامه واستمراريته، ولا يعني أيضاً إمكانية الخروج عن قدرته تعالى فيما لو أراد سبحانه إزالته أو تغييره، بل الإنسان - أيّ إنسان - محتاج في كلّ لحظة من لحظات وجوده إلى فيض الله تعالى ولطفه، سواء في أصل وجوده وبقائه، أم في توابع الوجود من العلم والرزق والقدرة وغيرها، وقد جعل الله تعالى لنفسه المشيئة في كلّ الأمور؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن ثمّ يمكن أن يكون دعاء الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله في تطهير أهل بيته عليهم السلام طلباً من الله تعالى لإدامة هذا الأمر الحاصل، واستمراريّته.

وهذا من الأدب الذي أدّب الله سبحانه به أنبياءه وأصفياه عليهم السلام، فهم لا يرون لأنفسهم أيّ استقلال فيما أوتوا، ولا يعتمدون على ما عندهم من قدرة، بل يجدون أنفسهم في فقر دائم وحاجة مستمرة إلى الله تعالى وفيضه ولطفه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الطباطبائي:

«والذي يراه القرآن في تعليمه الإلهي أنّ ما في الوجود من

(١) سورة التكوير: ٢٩.

(٢) سورة الكهف: ٢٣ - ٢٤.

شيء ذاتاً كان أو فعلاً وأثراً، فإنما هو مملوك لله وحده، له أن يفعل فيه ما يشاء، ويحكم فيه ما يريد، لا معقب لحكمه، وليس لغيره أن يملك شيئاً إلا ما ملكه الله تعالى منه، وأقدره عليه، وهو المالك لما ملكه، والقادر على ما عليه أقدره...»

إلى أن يقول:

«فعلى الإنسان العارف بمقام ربه، المسلم له، أن لا يرى نفسه سبباً مستقلاً لفعله، مستغنياً فيه عن غيره، قادراً عليه بإقداره، وإنّ القوة لله جميعاً، وإذا عزم على فعل أن يعزم متوكلاً على الله تعالى...»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى - حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام -: ﴿وَالْإِلَٰهَ تَصَرَّفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الطباطبائي:

«إنّ تلك القوة القدسية التي استعصم بها يوسف عليه السلام، كانت كأمر تدريجي يفيض عليه أنا بعد أن من جانب الله سبحانه، وليست بالأمر الدفعي المفروغ عنه، وإلا لانقطعت الحاجة إليه تعالى، ولذا عبّر عنه بقوله: ﴿وَالْإِلَٰهَ تَصَرَّفُ عَنِّي﴾، ولم يقل: (وإن لم تصرف عني)، وإن كانت الجملة الشرطية منسلخة الزمان، لكن في الهيئة إشارات.

(١) الميزان، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٢٧٠.

(٢) سورة يوسف: ٣٣.

ولذلك أيضاً قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾<sup>(١)</sup>، فنسب دفع الشرِّ عنه إلى استجابة و صرف جديد<sup>(٢)</sup>.

الثاني: تقدّم فيما سبق أنّ المقامات السامية التي بلغها الصفوة من العباد ليست كلّها بدرجة واحدة. فالأنبياء يتفاضلون فيما بينهم، وتتفاوت درجاتهم ومراتبهم؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ...﴾<sup>(٣)</sup>، ولم يكن هذا التفاضل جزافاً ومن دون ضوابط، ولا أنه اعتباري عار من الحقيقة، بل هو حقيقيّ ناشئ من أمور حقيقية كامنّة في نفوس هؤلاء البررة عليهم السلام.

ومن ثمّ يمكن أن يكون دعاء رسول الله صلّى الله عليه وآله فيما نحن فيه من أجل أن يرتفع هؤلاء الأشخاص بمراتب القدس والطهارة، ويصلوا بذلك حيث القرب الإلهي، في «أشرف محلّ المكرّمين، وأعلى منازل المقرّبين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع»<sup>(٤)</sup>، فجاءت آية التطهير معلنة هذا المعنى، وذلك من خلال حصر إرادة الله تعالى التي لا خلف فيها، بإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم تطهيراً.

والملاحظة الجديرة بالاهتمام هنا أنّ الكساء المبارك قد جمع عدّة

(١) سورة يوسف: ٣٤.

(٢) الميزان، مصدر سابق، ج ١١، ص ١٥٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٤) مقطع من الزيارة الجامعة، انظر: تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٠هـ ج ٦، ص ٩٨.

أصناف من المعصومين، فضمّ مَنْ هو نبيّ قد مضت على بعثته عدّة سنوات، وهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، واحتوى إماماً لم يحن وقت إمامته، وهو أمير المؤمنين عليه السلام، وفي الكساء امرأة هي واسطة عقدي النبوة والإمامة، وهي الزهراء فاطمة البتول عليها السلام، وجمع صغيرين لم يبلغا الحلم، وهما الحسنان عليهما السلام.

إنّ هذا النوع من الاجتماع تحت الكساء - أو في بيت فاطمة عليها السلام، أو بيت أمّ سلمة أو غير ذلك ممّا مرّ - يدلّ بوضوح على شمولية العصمة والتطهير من الرجس لجميع حالات ومستويات المعصومين، فليست العصمة مختصة بحال تبليغ الأحكام، أو التصدي للإمامة كما في أمير المؤمنين، وفاطمة البتول عليهما السلام. وأيضاً فإنّ العصمة غير مختصة بما بعد البلوغ كما في تنصيب الآية على عصمة الحسنين عليهما السلام، ومع هذا كلّه فهل يصحّ لنا أن نفترض أنّ عصمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وهو أفضلهم، بل أفضل البشرية على الإطلاق - مختصة بحال تبليغه للأحكام فقط؟! أو أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غير معصوم في أموره الحياتية؟! أو ما إلى ذلك!؟

## عصمة جميع الأئمة عليهم السلام

في ختام الحديث عن آية التطهير المباركة، لا بدّ لنا أن نشير إلى تساؤل فحواه: أنّ ما أثبتته آية التطهير من العصمة إنّما هو للخمسة الذين ضمّهم الكساء، في حين أنّ مدّعي الشيعة الإمامية عصمة الأئمة التسعة من أبناء الحسين عليهم السلام أيضاً، فكيف يتسنى لنا إثبات عصمتهم من خلال آية التطهير؟

### الجواب:

١ - إنّ هذا التساؤل يفرض علينا التأمل في النصوص المتقدّمة وأمثالها لنرى هل كان رسول الله صلّى الله عليه وآله - في مواقفه التي أعلن فيها عن أهل بيته وطهارتهم من الرجس - بصدّد بيان حصر الآية بهؤلاء الأشخاص، أم هو مجرد تطبيق عليهم حيث لم يوجد غيرهم آنذاك؟

لعلّ الثاني أقرب، خصوصاً مع ملاحظة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قد ابتدأ تلاوة آية التطهير وإعلان مقام أهل بيته ليلة زفاف فاطمة لعليّ عليهما السلام، وأعقب ذلك بالوقوف على بابهما طيلة أربعين يوماً، ولم يكن في البيت يومئذ سوى عليّ وفاطمة عليهما السلام، وأعاد إعلانه صلّى الله عليه وآله مرة أخرى بعد ولادة الحسين عليهما السلام، كما مرّ آنفاً. وهذا يكشف لنا بوضوح أنّ القضية كانت من باب التطبيق على الموجودين، لا حصرها بهم، أي أنّه لو قدّر وجود معصومين آخرين يومذاك لأدخلهم رسول الله صلّى الله عليه وآله تحت الكساء، ولتلا عليهم

الآية الكريمة، ولقال فيهم: «اللهم هؤلاء أهل بيتي».

٢ - على أنا لا نحتاج في تشخيص المعصومين إلى أكثر من معصوم واحد يكون المرجع في تعيين غيره، لأنّ عصمته تعني تنزّهه عن المناحي العاطفية أو الخطأ في التطبيق، كما هو واضح.

ويكفينا من آية التطهير إثبات عصمة الخمسة الذين ضمّهم كساء رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهم بدورهم يعيّنون لنا المعصومين من بعدهم. وهذا ما حدث بالفعل، فقد جاءت مئات النصوص عن هؤلاء الخمسة، وعن غيرهم ممّن نصّوا على عصمته، معلنة عن المعصومين من ذريّة الحسين عليهم السلام، بأسمائهم وأوصافهم، على نحو لا يقبل التردد ولا الشكّ فيهم، وفي ذلك دلالة كافية على المطلوب.

لا بأس هنا بالإشارة إلى قسط يسير من تلك النصوص، لتكون مسك الختام، وإلاّ فمن العسير استيعابها بأجمعها، لوفرتها وكثرة رواياتها في جميع الطبقات، وربّما بلغت ألف حديث بهذا الشأن. وهذا العدد أو ما يقاربه يجعلها من المتواترات الغنيّة عن البحث السندي، كما هو واضح.

١ - أخرج البخاري في الصحيح عن جابر بن سمرة قال:

سمعت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول:

«يكون اثنا عشر أميراً».

فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: «كلّهم من قريش»<sup>(١)</sup>.

٢ - وعن جابر بن سمرة قال:

---

(١) صحيح البخاري، مصدر سابق، ج ٨، ص ١٢٧.

سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

«لا يزال أمر الناس ماضياً وما وليهم اثنا عشر رجلاً».

ثم تكلم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلمة خفيت عليّ، فسألت أبي:

ماذا قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال: «كلّهم من قريش»<sup>(١)</sup>.

٣ - وعن الشعبي عن جابر بن سمرة قال:

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة».

قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال:

«كلّهم من قريش»<sup>(٢)</sup>.

٤ - عن جابر بن سمرة قال:

سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وهو يخطب على المنبر، وهو

يقول: «اثنا عشر قيماً من قريش، لا يضرهم عداوة من عاداتهم».

فالتفت خلفي فإذا أنا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه في أناس،

فأثبتوا لي الحديث كما سمعت.

ثم رجعت - يعني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى بيته، فأتيته فقلت:

ثم يكون ماذا؟ قال: «ثم يكون الهرج»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح مسلم، مصدر سابق، ج ٦، ص ٣.

(٢) صحيح مسلم، مصدر سابق، ج ٦، ص ٣.

(٣) مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج ٥، ص ١٩١، وقال: رجاله ثقات.

٥ - وعن سمّك بن حرب، عن جابر بن سمرة، قال:

قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم:

«يكون من بعدي اثنا عشر أميراً».

قال: ثمّ تكلم بشيء لم أفهمه، فسألت الذي يليني، فقال: قال:

«كلّهم من قريش».

قال الترمذي: «هذا حديث حسن»<sup>(١)</sup>.

٦ - وفي رواية أحمد بن مسروق قال:

كنّا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل:  
يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم كم  
يملك هذه الأمة من خليفة؟

فقال عبد الله: ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثمّ قال:

نعم، ولقد سألتنا رسول الله، فقال:

«اثني عشر كعدّة نقيباء بني إسرائيل»<sup>(٢)</sup>.

٧ - وأخرج مسلم في الصحيح عن النبي صَلَّى الله عليه وآله أنه قال:

«لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا

عشر خليفة، كلّهم من قريش»<sup>(٣)</sup>.

«وقد أحصى بعض المؤلّفين روايات هذا الحديث النبوي

---

(١) سنن الترمذي، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٤٠.

(٢) مسند أحمد، مصدر سابق، ج ١ ص ٣٩٨، وحسنه ابن حجر في الصواعق، ص ٢٠.

(٣) صحيح مسلم، مصدر سابق، ج ٦، ص ٤.



الشريف، عن الأئمة أو الخلفاء أو الأمراء بعده، وأنهم اثنا عشر، فبلغت رواياته أكثر من مئتين وسبعين رواية مأخوذة من أشهر كتب الحديث عند الشيعة والسنة، بما في ذلك البخاري، ومسلم، والترمذي، ومسند أحمد، ومستدرک الحاكم على الصحيحين.

وليست الكثرة العددية لهذه الروايات هي الأساس الوحيد لقبولها، بل هناك إضافة إلى ذلك مزايا وقرائن تبرهن على صحتها. فالبخاري الذي نقل الحديث كان معاصراً للإمام الجواد والإمامين الهادي والعسكري، وفي ذلك مغزى كبير، لأنه يبرهن على أن هذا الحديث قد سُجِّلَ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَحَقَّقَ مضمونه، وتكتمل فكرة الأئمة الاثني عشر فعلاً، وهذا يعني أنه لا يوجد أي مجال للشك في أن يكون نقل الحديث متأثراً بالواقع الإمامي الاثني عشري وانعكاساً له، لأن الأحاديث المزيّفة التي تنسب إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وهي انعكاسات أو تبريرات لواقع متأخر زمنياً، لا تسبق في ظهورها وتسجيلها في كتب الحديث ذلك الواقع الذي يشكّل انعكاساً له.

فمادامنا قد ملكنا الدليل المادي على أن الحديث المذكور سبق التسلسل التاريخي للأئمة الاثني عشر، وضبط في كتب الحديث قبل تكامل الواقع الإمامي الاثني عشري، أمكننا أن نتأكد من أن هذا الحديث ليس انعكاساً لواقع، وإنما هو تعبير عن حقيقة ربّانية نطق بها من لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا

وَحْيٍ يُوحَى»<sup>(١)</sup>، فقال: ابتداءً من الإمام عليّ عليه السلام وانتهاءً بالمهديّ عجلّ الله تعالى فرجه ليكون التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث النبويّ الشريف<sup>(٢)</sup>.

ويُستفاد من هذه الروايات أيضاً:

أ - إنّ عدد الأمراء والخلفاء لا يتجاوز الاثني عشر، وكلّهم من قریش.

ب - وإنّ هؤلاء الأمراء معيّنون بالنصّ، كما هو مقتضى تشبيههم بنقباء بني إسرائيل؛ لقوله تعالى: «وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا»<sup>(٣)</sup>.

«فإنّ سؤال الصحابة للنبيّ صلّى الله عليه وآله إنّما هو عن خلفائه لا بتأمير الناس أو بالتغلب، إذ لا يهّم الصحابة السؤال عن ذلك، لأنّ تأمير الناس وتغلب السلاطين لا يبتني عادة على الدين، حتّى يهّم الصحابة السؤال عنه، فظهر أنّ السؤال إنّما هو عن الخلفاء بالنصّ، وعنهم أجاب النبيّ صلّى الله عليه وآله»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) سورة النجم: ٤.

(٢) بحث حول المهدي، آية الله الشهيد محمد باقر الصدر، معاونيّة العلاقات الدوليّة في منظمة الإعلام الإسلامي، الجمهورية الإسلامية في إيران - طهران، ط ١، ١٤٠٦ هـ ص ٥٤.

(٣) سورة المائدة: ١٢.

(٤) دلائل الصدق، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٨٩.

ج - إن هذه الروايات افترضت لهم البقاء ما بقي الدين الإسلامي أو حتى تقوم الساعة، كما هو مقتضى رواية مسلم السابقة، وأصرح من ذلك روايته الأخرى في الباب: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان»<sup>(١)</sup>.

«وإذا صحّت هذه الاستفادة فهي لا تلتئم إلا مع مبنى الإمامية في عدد الأئمة وبقائهم، وكونهم من المنصوص عليهم من قبله صلى الله عليه وآله، وهي منسجمة جداً مع حديث الثقلين وبقائهما حتى يرثاهما الحوض»<sup>(٢)</sup>.

ثم إننا نجد أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لم يكتف بذكر عدد الأئمة والخلفاء الذين يأتون بعده فقط، بل تولّى بنفسه ولاعتبارات كثيرة بيان أسمائهم وترتيبهم الزمني، وإليك بعضها:

١ - عن ابن عباس قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون»<sup>(٣)</sup>.

٢ - عن سلمان الفارسيّ قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الأئمة من بعدي بعدد نقيب بني إسرائيل وكانوا اثني عشر، ثمّ وضع يده على صلب الحسين عليه السلام وقال: تسعة من صلبه

(١) صحيح مسلم، مصدر سابق، ج ٦، ص ٣.

(٢) الأصول العامة للفقهاء المقارن، مصدر سابق، ص ١٧٨.

(٣) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٣٦، ص ٢٤٣.

والتاسع مهديهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فالويل لمبغضهم»<sup>(١)</sup>.

٣ - عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول للحسين عليه السلام:

«أنت الإمام ابن الإمام وأخو الإمام، تسعة من صلبك أئمة أبرار، والتاسع قائمهم»<sup>(٢)</sup>.

٤ - عن أبي ذر قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«من أحبني وأهل بيتي كئنا وهو كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى.

ثم قال صلى الله عليه وآله: «أخي خير الأوصياء وسبطي خير الأسباط، وسوف يخرج الله تبارك وتعالى من صلب الحسين أئمة أبراراً، ومنا مهدي هذه الأمة».

قلت: يا رسول الله وكم الأئمة بعدك؟

قال: «عدد نقيب بني إسرائيل»<sup>(٣)</sup>.

٥ - عن أنس بن مالك قال:

صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الفجر ثم أقبل علينا وقال:

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٣٦، ص ٢٩٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٢٩٠.

(٣) المصدر السابق، ج ٣٦، ص ٢٩٣.

«معاشر أصحابي! من أحبّ أهل بيتي حُشر معنا، ومن استمسك بأوصيائي من بعدي فقد استمسك بالعروة الوثقى».

فقام إليه أبو ذرّ الغفاري فقال: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟

قال: «عدد نساء بني إسرائيل».

فقال: كلهم من أهل بيتك؟

قال: «كلهم من أهل بيتي، تسعة من صلب الحسين عليه السلام، والمهديّ منهم»<sup>(١)</sup>.

٦ - الصحيح عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح (مكتوب) فيه أسماء الأوصياء، فعددت اثني عشر آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمّد، وأربعة منهم عليّ عليهم السلام<sup>(٢)</sup>.

٧ - الصحيح عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال:

دخلت على النبيّ صلّى الله عليه وآله فإذا الحسين بن عليّ على فخذيه، وهو يقبل عينيه، ويلثم فاه ويقول:

«أنت سيّد ابن سيّد، أنت إمام ابن إمام أبو أئمة، أنت حجّة الله ابن حجّته، وأبو حجج تسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج٣٦، ص ٣١٠.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، مصدر سابق، ص ٣١١.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٢.

٨ - صحيح زرارة؛ قال:

سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«الأئمة اثنا عشر إماماً، منهم الحسن والحسين، ثم الأئمة من ولد الحسين عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

٩ - صحيح غياث بن إبراهيم، عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال:

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»: من العترة؟ فقال: «أنا، والحسن، والحسين، والأئمة التسعة من ولد الحسين، تاسعهم مهديهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم، حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه»<sup>(٢)</sup>.

١٠ - وفي حديث جابر بن عبد الله الأنصاري؛ قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله للحسين بن عليّ عليهما السلام:

«يا حسين؛ يخرج من صلبك تسعة من الأئمة، منهم مهديّ هذه الأمة، فإذا استشهد أبوك فالحسن بعده، فإذا سُمّ الحسن فأنت، فإذا استشهدت فعليّ ابنك، فإذا مضى عليّ فمحمد ابنه، فإذا مضى محمد فجعفر ابنه، فإذا مضى جعفر فموسى ابنه، فإذا مضى موسى فعليّ ابنه، فإذا مضى عليّ فمحمد ابنه، فإذا مضى محمد

---

(١) الإرشاد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ

المفيد)، مطبعة مهر، قم، ط ١، ١٤١٣هـ، ج ٢، ص ٣٤٧.

(٢) معاني الأخبار، مصدر سابق، ص ٩٠.

فعليّ ابنه ، فإذا مضى عليّ فالحسن ابنه ، فإذا مضى الحسن فالحجّة بعد الحسن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً»<sup>(١)</sup> .

١١ - صحيح الفضيل بن يسار قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام:

لَمَّا تَوَجَّهَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْعِرَاقِ دَفَعَ إِلَى أُمِّ سَلْمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْوَصِيَّةَ وَالْكِتَابَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَقَالَ لَهَا: «إِذَا أَتَاكَ أَكْبَرُ وَلَدِي فَادْفَعِي إِلَيْهِ مَا قَدْ دَفَعْتَ إِلَيْكَ».

فَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُمُّ سَلْمَةَ، فَدَفَعَتْ إِلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَاهَا الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٢)</sup> .

١٢ - صحيح جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

سُئِلَ عَنِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلِيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «هَذَا وَاللَّهِ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

قَالَ عَنبَسَةَ: فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَخَلَتْ عَلِيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرْتَهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «صَدَقَ جَابِرٌ».

ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّكُمْ تَرَوْنَ أَنَّ لَيْسَ كُلُّ إِمَامٍ هُوَ الْقَائِمُ بَعْدَ الْإِمَامِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ؟»<sup>(٣)</sup> .

١٣ - صحيح صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

(قَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ بْنُ حَازِمٍ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنَّ الْأَنْفُسَ يُغْدَى عَلَيْهَا

(١) كفاية الأثر، مصدر سابق، ص ٦٢.

(٢) الغيبة للطوسي، مصدر سابق، ص ١٩٥.

(٣) الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٧.

ويُراح، فإذا كان ذلك فمن؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا كان ذلك فهو صاحبكم»،  
وضرب بيده على منكب أبي الحسن عليه السلام الأيمن - في ما أعلم  
- وهو يومئذ خماسي، وعبد الله بن جعفر جالس معنا<sup>(١)</sup>.

١٤ - صحيح الحسين بن نعيم الصحّاف؛ قال،

(كنت أنا، وهشام بن الحكم، وعليّ بن يقطين ببغداد؛ فقال عليّ بن  
يقطين: كنت عند العبد الصالح جالسا، فدخل عليه ابنه عليّ؛ فقال لي:  
«يا عليّ بن يقطين هذا عليّ سيّد ولدي، أما إني نخلته كنيّتي».

فضرب هشام بن الحكم براحته جبهته ثمّ قال: ويحك كيف قلت؟!

فقال عليّ بن يقطين: سمعت والله منه كما قلت.

فقال هشام: أخبرك أنّ الأمر فيه من بعده<sup>(٢)</sup>.

١٥ - صحيح الحسين بن المختار قال:

خرج إلينا من أبي الحسن عليه السلام بالبصرة ألواح مكتوب فيها  
بالعرض:

«عهدي إلى أكبر ولدي، يُعطى فلان كذا، وفلان كذا، وفلان  
كذا، وفلان لا يُعطى حتّى أجيء، أو يقضي الله عزّ وجلّ عليّ  
الموت، إنّ الله يفعل ما يشاء»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٩.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣١١.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٣١٣.



١٦ - صحيح معمر بن خلاد قال:

سمعت الرضا عليه السلام وذكر شيئاً، فقال:  
«ما حاجتكم إلى ذلك؟! هذا أبو جعفر، قد أجلسه مجلسي،  
وصيرته مكاني».

وقال: «إنا أهل بيت يتوارث أصغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة»<sup>(١)</sup>.

١٧ - صحيح صفوان بن يحيى قال:

قلت للرضا عليه السلام: قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر  
عليه السلام فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً، فقد وهبه الله لك، فأقرّ  
عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فيألى من؟  
فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه.

فقلت: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين!

فقال: «وما يضره من ذلك، فقد قام عيسى عليه السلام بالحجة  
وهو ابن ثلاث سنين»<sup>(٢)</sup>.

١٨ - صحيح إسماعيل بن مهران؛ قال:

لمّا خرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة  
الأولى من خرجتيه، قلت له عند خروجه: جعلت فداك إنني أخاف  
عليك في هذا الوجه، فيألى من الأمر بعدك؟

فكرّ بوجهه إليّ ضاحكاً: وقال: «ليس الغيبة حيث ظننت في هذه

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٢٠.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٢١.

فلما أُخرج به الثانية إلى المعتصم صرتُ إليه فقلت له: جُعِلت فداك أنت خارج فإلى مَنْ هذا الأمر من بعدك؟ فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم التفت إليّ فقال: «عند هذه يُخاف عليّ. الأمر من بعدي إلى ابني عليّ»<sup>(١)</sup>.

١٩ - صحيح أبي هاشم الجعفري، قال:

كنت عند أبي الحسن عليه السلام بعدما مضى ابنه أبو جعفر، وإني لأفكر في نفسي أريد أن أقول، كأنهما - أعني أبا جعفر وأبا محمد - في هذا الوقت كأبي الحسن وإسماعيل ابني جعفر بن محمد عليهم السلام، وأن قصتهما كقصتهما، إذ كان أبو محمد هو المرجى بعد أبي جعفر، فأقبل عليّ أبو الحسن قبل أن أنطق فقال:

«نعم يا أبا هاشم، بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر عليه السلام ما لم يكن يعرف له، كما بدا له في موسى بعد مضيّ إسماعيل ما كشف به عن حاله، وهو كما حدّثتك به نفسك وإن كره المبطلون، وأبو محمد ابني الخلف من بعدي، عنده ما يُحتاج إليه، ومعه آلة الإمامة»<sup>(٢)</sup>.

٢٠ - وعن أبي هاشم الجعفري أيضاً قال:

سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول:

---

(١) الكافي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٢٣.

(٢) الغيبة للطوسي، مصدر سابق، ص ٢٠٢، وبسند آخر في الكافي (ج ١، ص ٣٢٧).

«الخَلْف من بعدي الحسن ، فكيف لكم بالخَلْف من بعد الخلف؟»

فقلت: ولم، جعلني الله فداك؟

فقال: «إِنَّكُمْ لَا تَرُونَ شَخْصَهُ ، وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ ذِكْرَهُ بِاسْمِهِ».

فقلت: فكيف نذكره؟

فقال: «قولوا: الْحِجَّةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»<sup>(١)</sup>.

وبهذا نأتي على تمام بحث العصمة، مبتهلين إلى الله سبحانه أن يكرمنا بمعرفة أوليائه، وصفوته من خلقه محمد وآله الأطهار، ولا يحرمنا دعاءهم وبرّهم وشفاعتهم، إنّه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

وصلواته على رسوله وآله الميامين

---

(١) الغيبة للطوسي، مصدر سابق، ص ٨٢، وبسند آخر في الكافي، ج ١، ص ٣٢٨.

## الفهارس التفصيلية

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر
- فهرس المواضيع

## فهرس الآيات

- ( اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ) ..... ١٦
- ( اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْتَى وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ ) ..... ١٩٢
- ( أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ ) ..... ٣٥
- ( أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ) ..... ١٩٤
- ( أَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا ) ..... ٤٩ ، ٤٧
- ( أَخْرَجْنَا نَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا ) ..... ١٩٤
- ( إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) ..... ٥٨
- ( أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ) ..... ٨٠ ، ٤٨ ، ٤٧
- ( أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ) ..... ٦٨
- ( أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ ) ..... ٩٢
- ( أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ) ..... ١٥٨
- ( أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ) ..... ٥١
- ( إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ ) ..... ٨٩
- ( أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ) ..... ١٨٣ ، ٦١
- ( إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ) ..... ٩٦
- ( أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ) ..... ١٢٠
- ( أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ ) ..... ٩١ ، ٤٧
- ( إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ) ..... ٨١

العصمة .....	٢٧٨
..... ( إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ )	١٩٤
..... ( إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ... )	١٧١
..... ( إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ )	٩١ ، ٤٧
..... ( إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ )	١٠٥
..... ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ )	١١٦ ، ١٠٥
..... ( إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى )	٣١
..... ( إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ )	٥٥
..... ( إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ )	١٨٥
..... ( أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً )	١١٢
..... ( إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ )	١٩٨
..... ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ )	٦٨
..... ( إِنَّ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . . . )	٢٤٢
..... ( إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ )	١٥٦
..... ( إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ )	١٨٢ ، ٦٣
..... ( إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ . . . )	١٧٧
..... ( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ )	٢٣
..... ( إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ )	١٩٧ ، ١٨٠ ، ١٧٧ ، ٩٩ ، ٨٧ ، ١٦
.....	٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٥
.....	٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦
.....	٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤
..... ( إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ )	٥٧
..... ( إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ )	١٥٣

- فهرس الآيات ..... ٢٧٩
- ( إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ) ..... ٨١
- ( إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ) ..... ٥٤
- ( إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ \* لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ) ..... ٦٢
- ( إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ) ..... ٢٦٥
- ( إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ) ..... ٤٥
- ( إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ) ..... ٣٦ ، ٣٥ ، ٣ ، ١٣
- ( أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ . . . ) ..... ١٠٨ ، ١٢٦
- ( أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ) ..... ٦٧
- ( أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا ) ..... ١٧٠ ، ١٥٨
- ( اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ) ..... ٢٥٥ ، ١٠٨
- ( بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ) ..... ٩٤
- ( بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ \* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ) ..... ٨٢
- ( تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) ..... ٦١
- ( تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ) ..... ٢٥٨ ، ١٧٤ ، ٣٣
- ( تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا . . . ) ..... ١٧٢
- ( ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ) ..... ١٩١
- ( جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ) ..... ١٠٥
- ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ) ..... ٣٤
- ( خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ) ..... ٩٣
- ( ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ) ..... ٨٤
- ( رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ ) ..... ٣٢
- ( رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ) ..... ٩٨

العصمة .....	٢٨٠
رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ).....	٤٣
رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ).....	٣٢
سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ).....	٥٢
سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ).....	٤٢
عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ).....	١٩٢
عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا).....	١٠٥
فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ).....	٩٠
فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ).....	١٤٨
فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ).....	٢٥٨
فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ).....	٩٤
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ).....	٥٥ ، ٣٢
فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ... ).....	٢٣٠ ، ١٦٢
فَاعْرِضْهُمُ غَضِبًا عَلَيْهِمُ إِنَّهُمْ رِجْسٌ).....	٩٠
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنبَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ).....	١٨٩ ، ١٨٧
فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ... ).....	٤٣
فَبِهَادَاهُمْ أَقْتَدَهُ).....	١٠٩
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ).....	٩٣
فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرٌ).....	٩٤
فَلَمَّا أَثَقَلَتِ دَعْوَا اللَّهِ رَبَّهُمَا).....	٤٧
فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ).....	٩٧ ، ٣٥
فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ).....	٣٩
فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا).....	١١٤ ، ١١١



٢٨١	..... فهرس الآيات
٩٤	..... (فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ)
٩٥	..... (فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)
٥٤، ٤٣	..... (فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ)
١٥٦	..... (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا)
٨٠	..... (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ)
٩٣	..... (فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ)
١٥٥	..... (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ)
١٩٤	..... (قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)
٩٧	..... (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا)
١٢٧	..... (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ)
٣٤	..... (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ)
٣٨	..... (قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ)
٣٨	..... (قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي)
٨٢	..... (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا)
١١٧	..... (قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)
١١٨	..... (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو)
١٢٧	..... (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ)
٣٩	..... (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا)
٦١	..... (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)
١٨٤	..... (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ)
٥٢	..... (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)
٨١	..... (كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ)

العصمة	٢٨٢
.....	.....
١٥٨	( كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ )
١١٣	( كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِهِ )
٢٥٤	( كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ )
٨٠	( كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ )
١٥٢ ، ١٣٩ ، ٧١	( كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْبَاقِينَ )
١١٣	( كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ )
٦٤	( كُنْ فَيَكُونُ )
١١٩	( لئنِ اشْرَكَتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ )
١٧١	( لَا تَجِدُ قَوْمًا ... )
١١٤	( لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ )
١١٤	( لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ )
١١٠	( لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ )
١٢٤	( لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ )
٨٢	( لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ )
٥١ ، ٥٠ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ١٦	( لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ )
١٠٨ ، ١٠٠	( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ )
٢٤٦	( لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا )
٦١	( اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ )
١٩٤	( لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا )
٦٨	( لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا )
١٨٣ ، ٦١	( لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ )
١٤٦	( لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا )

٢٨٣	..... فهرس الآيات
٨٣	..... ( مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا )
٦٥	..... ( مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ )
٦٩	..... ( مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى )
٨٠	..... ( مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا )
١٩٧ ، ١٨٧	..... ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ )
٤٥	..... ( مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ )
١٢٧	..... ( نَذِيرًا لِلْبَشَرِ )
١٧٣ ، ١٥٧	..... ( وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ )
٣٨	..... ( وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ )
٣٥ ، ٣٤ ، ١٤	..... ( وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ )
١٨٤	..... ( وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ )
٤٦	..... ( وَإِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ )
١٤٨	..... ( وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ )
١١٨	..... ( وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا )
١٥٦	..... ( وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالتَّانُجِيلَ )
٣٧	..... ( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ )
٤٤	..... ( وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ )
٦٨	..... ( وَإِذْ كُرِّ عِبَادَتَنَا لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ )
٣٢	..... ( وَإِذْ كُرِّ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا )
٢٤٧ ، ٢٤٢	..... ( وَإِذْ كُرِّنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ )
١١٨	..... ( وَادِّعْ فِي النَّاسِ بِالْحَقِّ )
٥٤	..... ( وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ )

العصمة .....	٢٨٤
( وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ) .....	٥٥
( وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ . . . وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ) .....	٢٣٠
( وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ) .....	٩٤
( وَالْأَنْصَارُ عَنِّي كَبَدْتُمُ الْمَوْتِ بِأَيْدِيهِمْ ) .....	٢٥٧ ، ١٥٣
( وَالْحَقُّ أَقُولُ ) .....	١١٦
( وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) .....	٥٤
( وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ) .....	١٥٦ ، ٦٩
( وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ) .....	٥٥
( وَالْوِزْنَ يُوزَنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ) .....	٩٥
( وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا ) .....	٩٠
( وَأُمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ) .....	٢١٥
( وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ) .....	١٦
( وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ) .....	١٥٣
( وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ) .....	٣١
( وَأَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا ) .....	٦٨
( وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ ) .....	١٥٥
( وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) .....	٢٥٥
( وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ) .....	٩٢
( وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ) .....	٩٧ ، ٩٦
( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ) .....	١٨٤ ، ٦٥
( وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ) .....	٥٨

- فهرس الآيات ..... ٢٨٥
- ( وَأَيْدُهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ) ..... ١٧٠ ، ١٩١
- ( وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا ) ..... ٥٤ ، ٥٨
- ( وَبَشِّرْنَا بِسِحَاقِ نَبِيٍّ مِنَ الصَّالِحِينَ ) ..... ٤٣
- ( وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ) ..... ٩٣
- ( وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) ..... ٢٣١
- ( وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ) ..... ١٨ ، ٥٣ ، ٧٦
- ( وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) ..... ١٤
- ( وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ) ..... ١٩ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢
- ( وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ) ..... ٩١
- ( وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ) ..... ١٦
- ( وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ) ..... ١١٣
- ( وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ) ..... ١٥٦
- ( وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ ) ..... ٤٦
- ( وَفِي الْأَخِرَةِ عَذَابٌ ) ..... ١٣٨
- ( وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ) ..... ١٢٨
- ( وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ) ..... ٢٤٧
- ( وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ) ..... ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٦
- ( وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ ... ) ..... ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٦
- ( وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ) ..... ٨٣
- ( وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً \* فَاصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ) ..... ١٦٢
- ( وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ) ..... ٤٥
- ( وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْتُونَ \* يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ) ..... ٩٥

العصمة .....	٢٨٦
..... ١١٧	( وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ )
..... ٢٥٦	( وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا )
..... ١٩٤	( وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ )
..... ١٥٥	( وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا )
..... ٢٦٥	( وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ )
..... ١٢٨	( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا )
..... ٤٣	( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ )
..... ٩٧	( وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا )
..... ١١٨	( وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ )
..... ١٧٤	( وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ )
..... ٩٢	( وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقَفِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ )
..... ١٦٢	( وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ )
..... ٦٣	( وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا )
..... ١٥٤	( وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا )
..... ٧٢	( وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ )
..... ١١٩	( وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ )
..... ١٩٥ ، ١٩٤	( وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ )
..... ١٥٥	( وَكُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا )
..... ١٥٤	( وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ )
..... ٩٣	( وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ )
..... ١٢٧	( وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ )
..... ١٢٨	( وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ )

فهرس الآيات .....	٢٨٧
( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ )	١٢٧
( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا )	٣٢
( وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ )	٢٥٦ ، ١٨٤
( وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ )	١٩٢
( وَمَا جَعَلْنَا لِإِنْسَانٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ )	١٢٧
( وَمَا كَانَ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا . . . )	١٢٧
( وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ )	١٦
( وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى ... )	٩٠
( وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ )	٨٢
( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا )	٨٣
( وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ )	٨٣
( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ )	٤٨ ، ٣٨
( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا )	٤٥
( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً )	٤٦
( وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ )	١١٩
( وَمِنَ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ )	٥٤
( وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ )	٤٦
( وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا )	٨٩
( وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا )	٩٤ ، ٨٩
( وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ )	١٠٩
( وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ )	١٩١
( وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ )	١١٥

- ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ) ..... ١٢٦
- ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ) ..... ٣٣، ٣٧
- ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ) ..... ١٦١، ١٦٥
- ( وَيَطَهِّرْكُمْ تَطْهِيرًا ) ..... ٩٩
- ( وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ ) ..... ٨٢
- ( وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ) ..... ٩٤
- ( وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ) ..... ٩٥
- ( وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ) ..... ٩٢
- ( هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ) ..... ٩٤
- ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ) ..... ٥٥
- ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ ) ..... ١٧
- ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ ) ..... ٢٤٠، ٢٤٦
- ( يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ) ..... ٤٤
- ( يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ ) ..... ٢٤٦
- ( يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ ) ..... ٢٤٢
- ( يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي ) ..... ٦٩
- ( يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ ) ..... ١٧٢
- ( يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ) ..... ٧٢
- ( يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ ) ..... ١٧٢
- ( يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ) ..... ١٥٧



## فهرس الأحاديث

- «الأئمة اثنا عشر إماماً ، منهم الحسن والحسين ، ثم الأئمة من ولد الحسين» ..... ٢٦٩
- «الأئمة من بعدي بعدد نقيب بني إسرائيل وكانوا اثني عشر» ..... ٢٦٦
- «اثنا عشر قيماً من قريش ، لا يضرهم عداوة من عاداهم» ..... ٢٦٢
- «اثني عشر كعدّة نقيب بني إسرائيل» ..... ٢٦٣
- «ادع زوجك وابنيك حسناً وحسيناً» ..... ٢١٩
- «إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما قد دفعتُ إليك» ..... ٢٧٠
- «إذا كان ذلك فهو صاحبكم» ..... ٢٧١
- «إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس ، فيأتون باب الجنة» ..... ٥٦
- «اشرف محلّ المكرمين ، وأعلى...» ..... ٢٥٨
- «اعملوا فكلّ ميسر لما خُلق له ، أمّا من كان من أهل السعادة...» ..... ١٨٩
- «الا إنّ للعبد أربع أعين ، عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه ، وعينان...» ..... ٧٠
- «الزم ما أنت عليه» ..... ١٥٢ ، ٧٥
- «اللهم إنّ لكلّ نبيّ أهلاً ، وهؤلاء أهل بيتي» ..... ٢٣٠
- «اللهم إنّها منّي وأنا منها ، اللهم كما أذهبت عني الرجس وطهرتني» ..... ٢١٣
- «اللهم انّ هؤلاء أهل بيتي وحاميتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم» ..... ٢٤٩ ، ٢٢٤
- «اللهم هؤلاء آلي فصلّ على محمّد وعلى آل محمّد» ..... ٢٢٩
- «اللهم هؤلاء أهل بيتي» ..... ٢٠٧ ، ٢٠٣
- «اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس...» ..... ٢٠٤ ، ٢٢٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٣

- ٢٩٠ ..... العصمة
- «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم...» ..... ٢١٠، ٢١٨، ٢٥٥
- «اللهم هؤلاء أهل بيتي ، وأهل بيتي أحقّ» ..... ٢٢٧، ٢٢٨
- «اللهم هؤلاء أهل بيتي وحماتي ، أذهب عنهم» ..... ٢٠٢، ٢٢٠
- «اللهم هؤلاء أهل بيتي ، وخاصتي ، فأذهب عنهم الرجس ، وطهرهم» ..... ٢١٩
- «اللهم هؤلاء أهل بيتي وعتري ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم» ..... ٢٢٦
- «اللهم هؤلاء أهلي ، وأهلي أحقّ» ..... ٢٠٥، ٢١٠، ٢٣٨
- «اما تقرأ : وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري...» ..... ١٦٠
- «الإمام منا لا يكون إلا معصوماً ، وليست العصمة في ظاهر الخلق» ..... ٢٢
- «اما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ، ولو دعوهم ما أجابوهم» ..... ٤٩
- «الأمر أعظم من ذلك ، أما سمعت قول الله عزّوجلّ في كتابه» ..... ١٥٩
- «الأمر أعظم من ذلك وأوجب ، أما سمعت قول الله عزّوجلّ» ..... ١٥٩
- «أنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة» ..... ٢٧٢
- «انا تارك فيكم الثقلين ، أولهما كتاب الله . . . وأهل بيتي ، أذكركم الله» ..... ٢٠٩
- «انّ الإشراف في الناس أخفى من ديب الذرّ على الصفا في الليلة» ..... ٤٨
- «انّ الروح خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل ، كان مع رسول الله» ..... ١٦٧
- «انّ الله تبارك وتعالى اتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذ نبيّاً» ..... ٣٦
- «انّ الله تبارك وتعالى أحبّ أن يجعل سنة موسى وهارون» ..... ٤٠
- «انّ الله تبارك وتعالى أحد صمد ، والصمد الشيء الذي ليس له» ..... ١٦٥
- «انّ الله تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء» ..... ١٩٤
- «انّ الله خلق خلقاً فجعل فيهم آلة الاستطاعة ، ثمّ لم يفوض إليهم» ..... ٦٣، ١٩٠
- «انّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة ، وركّب في البهائم شهوة» ..... ١٢٦

- فهرس الأحاديث ..... ٢٩١
- «انَّ الله سبحانه جعل الذكر جلاءً للقلوب ، تسمع به بعد الوقرة» ..... ٧٥
- «انَّ الله عزَّوجلَّ أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه» ..... ١٤
- «انَّ الله عزَّوجلَّ أيَّدنا بروح منه مقدَّسة مطهَّرة، ليست بملك» ..... ١٦٢
- «انَّ الله عزَّوجلَّ جعل الإيمان على أربع دعائم : على الصبر ، واليقين» ..... ٥٦
- «انَّ الله عزَّوجلَّ وضع الإيمان على سبعة أسهم : على البرِّ ، والصدق» ..... ٧٤
- «انَّ الله قسَّم الخلق قسمين ، فجعلني في خيرهما قسماً ، فذلك قوله» ..... ٢٣٠
- «انَّ الله لم يجبر أحداً ، ولا أراد إرادة حتم الكفر من أحد» ..... ١٨٩
- «انَّ الله مولاي ، وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم» ..... ٢٣
- «أنا لما أنبتنا أن لنا خالقاً ، صانعاً ، متعالياً عنَّا وعن جميع ما خلق» ..... ١٢٩
- «انا ، والحسن ، والحسين ، والأئمة التسعة من ولد الحسين» ..... ٢٦٩
- «انا وعليّ والحسن» ..... ٢٦٦
- «الأنبياء وأوصياؤهم لا ذنوب لهم لأنهم معصومون مطهَّرون» ..... ١٨
- «انت الإمام ابن الإمام وأخو الإمام ، تسعة من صلبك أئمة أبرار» ..... ٢٦٧
- «انت إلى خير ، إنك من أزواج النبي» ..... ٢٢٣
- «انت سيّد ابن سيّد ، أنت إمام ابن إمام أبو أئمة ، أنت حجّة الله» ..... ٢٦٨
- «ان تصبر تغتبط ، وإلاّ تصبر ينفذ الله مقاديره» ..... ٥٧
- «انتِ على مكانك ، وإنك على خير» ..... ٢٢٣ ، ٢٠٤
- «انتِ مكانك ، وأنتِ إلى خير» ..... ٢١٨
- «انَّ علم العلماء صعب مستصعب ، لا يحتمله إلاّ نبيّ» ..... ٧٤
- «أنتِ إلى خير ، إنك من أزواج النبي» ..... ٢٢٥
- «أنتِ إلى خير ، وهؤلاء أهل بيتي ، اللهم أهلي أحقّ» ..... ٢٠٣

- ٢٩٢ ..... العصمة
- «أنتك على خير»..... ٢٠٣، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٦
- «أنتك على خير ، إنك من أزواج النبي» ..... ٢١٩، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٥٠
- «أنتكم لا ترون شخصه ، ولا يحلّ لكم ذكره باسمه» ..... ٢٧٤
- «انّ لكلّ يقين...» ..... ٧٥، ١٥١
- «أتمّ الطاعة لله عزّوجلّ ولرسوله ولولاه الأمر ، وإنّما أمر» ..... ١٨
- «أتمّ هو الإسلام ، والإيمان فوقه بدرجة» ..... ٧٣
- «انّ من عبادي المؤمنين عبادة لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى» ..... ١٩٩
- «أنّها في الحسين عليه السلام ، تنتقل من ولد الى ولد ، ولا ترجع» ..... ٤١
- «أني تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي : كتاب الله» ..... ١٧
- «أني جعلت الدنيا بين عبادي قرضاً ، فمن أقرضني منها قرضاً أعطيته» ..... ٥٧
- «أني كنتُ أوّل من آمن برّبي ، وأوّل من أحاب حيث أخذ الله ميثاق» ..... ١٢٠
- «أني محلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» ..... ٢٦٩
- «اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . . .» ..... ٢١٢
- «أيّ شيء يقول أصحابكم في هذه الآية؟» ..... ١٥٩
- «الإيمان أفضل من الإسلام ، وإنّ اليقين أفضل من الإيمان» ..... ٧٣
- «الإيمان فوق الإسلام بدرجة ، والتقوى فوق الإيمان بدرجة» ..... ٧٣
- «أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟» ..... ٢٣
- «أخي خير الأوصياء وسبطيّ خير الأسباط» ..... ٢٦٧
- «بك عرفتك ، وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك . . .» ..... ١٥٠
- «بلى إن شاء الله» ..... ٢٣٧
- «بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان» ..... ١٥٩

- فهرس الأحاديث ..... ٢٩٣
- «تدمع العين ، ويجزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب» ..... ١٣٠
- «تعالى الله ، بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه ، كعلمه به» ..... ١٩٣
- «تقول : تملكها بالله الذي يملكها من دونك ، فإن ملككها كان ذلك» ..... ٦٢
- «تنحّي إتك إلى خير» ..... ٢٥٠ ، ٢٢٤
- «التوكل على الله ، والتسليم لله ، والرضا» ..... ٧٤
- «ثم يكون المهرج» ..... ٢٦٢
- «جعل الإمامة في عقب الحسين ، يخرج من صلبه تسعة» ..... ٤٢
- «الحسن أفضل من الحسين» ..... ٤٠
- «حلماء ، علماء ، كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء» ..... ٥٦
- «الخلف من بعدي الحسن ، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟» ..... ٢٧٤
- «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل ، كان مع رسول الله» ..... ١٦١
- «خلق من خلق الله ، أعظم من جبرئيل وميكائيل» ..... ١٦٧
- «رب إن هؤلاء أهل بيتي . . .» ..... ٢٠٦
- «رحم الله جابراً كان يصدق علينا ، ولعن الله المغيرة فإنه كان يكذب» ..... ١٦٥
- «رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله صلى الله عليه وآله» ..... ١٥
- «سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك» ..... ١٥٠
- «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، الصلاة رحمكم الله» ..... ٢١٤
- «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمكم الله» ..... ٢١٥
- «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إنّما يريد الله» ..... ٢١٣
- «السلام عليكم ورحمة الله ، الصلاة يرحمكم الله ، إنّما يريد الله» ..... ٢١٦
- «شرك طاعة ، ليس بشرك عبادة ، والمعاصي التي يرتكبون فهي شرك» ..... ٤٩

- ٢٩٤ ..... العصمة
- «الصبر من الإيمان بمترلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأس ذهب» ..... ٥٧
- «صدق جابر» ..... ٢٧٠
- «الصلاة . . الصلاة . . إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ» ..... ٢٠٨ ، ٢١٦
- «الصلاة رحمكم الله ، الصلاة إِنَّمَا يُرِيدُ...» ..... ٢١٤ ، ٢٠٢
- «الصلاة رحمكم الله ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ» ..... ٢١٥ ، ٢١٧
- «الصلاة يا أهل البيت ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...» ..... ٢١٥ ، ٢٠٦
- «عدد نقيب بني إسرائيل» ..... ٢٦٨ ، ٢٦٧
- «عش ما شئت فإتتك ميت ، وأحبب من شئت فإتتك مفارقة» ..... ١٢١
- «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن» ..... ١٥١
- «عليك وعليه السلام ، إذا أتيت عبد الله فاقرأه السلام» ..... ١٢١
- «عند هذه يخاف عليّ» ..... ٢٧٣
- «عهدي إلى أكبر ولدي ، يُعطى فلان كذا ، وفلان كذا ، وفلان كذا» ..... ٢٧١
- «فالحق أوسع الأشياء في التواصف ، وأضيقها في التناصف» ..... ١١٥
- «فكان توفيقاً من ربي عز وجل أن غمضت عيني ، وكل بصري وغشي» ..... ٧٠
- «فلما أعطاه الله تلك الروح علم بها ، وكذلك هي إذا انتهت إلى...» ..... ١٦٠
- «في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح البدن ، وروح القدس...» ..... ١٦٥
- «فيما روح رسول الله صلى الله عليه وآله» ..... ١٦٥
- «فيما نزلت هذه ( وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ) ، والإمامة في عقب...» ..... ٣٩
- «قولوا : الحجّة من آل محمد عليهم السلام» ..... ٢٧٤
- «قوما إلى بيتكما ، جمع الله بينكما في سرّكما وأصلح بالكما» ..... ٢١٣
- «كان الله ولا شيء غيره ، ولم يزل الله عالماً بما يكون» ..... ١٩٣

- فهرس الأحاديث ..... ٢٩٥
- « كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا أخذ كتاب عليّ عليه السلام... » ..... ١٢٢
- « كَشَطَ اللهُ له السماوات والأرض حتّى رآها وما فيها ، وحتّى رأى... » ..... ٦٥
- « كَشَطَ لإبراهيم عليه السلام السماوات السبع حتّى نظر إلى ما فوق... » ..... ٦٦
- « كَشَطَ له عن الأرض ومَن عليها ، وعن السماء ومَن فيها ، والمَلَكُ » ..... ٦٦
- « كلّهم من أهل بيتي ، تسعة من صلب الحسين عليه السلام » ..... ٢٦٨
- « كلّهم من قريش » ..... ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦١
- « كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب » ..... ١٩
- « لا إلّا أن يكون أحدهما صامتاً مأموماً لصاحبه ، والآخر ناطقاً » ..... ٤٠
- « لا إثمًا هي جارية في عقب الحسين عليه السلام ، كما قال الله » ..... ٤٠
- « لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً ، يحبّ الله ورسوله . . . » ..... ٢٠٧
- « لا ، بل كان في علمه قبل أن ينشئ السماوات والأرض » ..... ١٩٣
- « لا تخرجنّ نفسك عن حدّ التقصير في عبادة الله عزّوجلّ وطاعته » ..... ١٥٠
- « لا تراه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه القلوب بحقائق » ..... ٧٠
- « لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة ، أو يكون عليكم اثنا عشر » ..... ٢٦٣
- « لا يزال أمر الناس ماضياً وما وليهم اثنا عشر رجلاً » ..... ٢٦٢
- « لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة » ..... ٢٦٢
- « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي » ..... ٢٦٦
- « لأبيّ شيء يُحتاج إلى النبيّ والإمام؟ » : « لبقاء العالم على صلاحه » ..... ١٩
- « لعلّكم ترون أن ليس كلّ إمام هو القائم بعد الإمام الذي كان » ..... ٢٧٠
- « لما خلق الله العقل استنطقه . . ثمّ قال له : أقبِلْ ، فأقبِلَ » ..... ١٦٨
- « لم أعبده خوفاً ولا طمعاً ، لكنني وجدته أهلاً للعبادة فعبدته » ..... ١٣٨

- ٢٩٦ ..... العصمة
- «لم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ، ظاهر مشهور» ..... ١٩
- «لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء ، كعلمه» ..... ١٩٣
- «لو كان هنا عليّ وفاطمة والحسن والحسين» ..... ٢٢١
- «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت» ..... ٧٠
- «ليس الغيبة حيث ظننتَ في هذه» ..... ٢٧٢
- «ليس هكذا أقول ، ولكني أقول : عَلِمَ أَنَّهُمْ سَيَكْفُرُونَ ، فَأَرَادَ» ..... ١٨٩
- «ما حاجتكم إلى ذلك؟! هذا أبو جعفر ، قد أجلسه مجلسي» ..... ٢٧٢
- «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ، ومقعده» ..... ١٨٨
- «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَّى ، وَمَنْ تَخَلَّفَ» ..... ٢٠٩
- «مرتبة الثالثة بعد النبوة والخلة» ..... ١٣
- «معاشر أصحابي ! من أحبَّ أهل بيتي حُشِرَ معنا ، ومن استمسك» ..... ٢٦٨
- «مكانك ، فيأتك إلى خير إن شاء الله» ..... ٢٣٠
- «مَنْ ابْتَدَأَ بِالْمَلْحِ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ نَوْعًا مِنَ الْبَلَاءِ» ..... ٢٥٢
- «من أحببني وأهل بيتي كُتِبَ وهو كهاتين» ..... ٢٦٧
- «مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ حَلَاوَةَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَارَةَ الْمَوْتِ» ..... ٢٥٢
- «مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ حِينَ يَصْبِحُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْسَ ذَلِكَ الْيَوْمِ» ..... ٢٥٣
- «منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيّه» ..... ١٦٤
- «منذ أنزل الله عزّ وجلّ ذلك الروح على محمدٍ صلّى الله عليه وآله» ..... ١٦٤
- «النجوم أمان لأهل السماء ؛ فإذا ذهبت أتاها ما» ..... ٢٠٩
- «نعم ، إنني وجدت أصل الخلق التراب ، والأب آدم ، والأم» ..... ١٩٠
- «نعم ، قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان» ..... ١٦٠



- فهرس الأحاديث ..... ٢٩٧
- «نعم يا أبا هاشم ، بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر عليه السلام» ..... ٢٧٣
- «وإن من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب» ..... ٢٠٠
- «وأنت من أهلي» ..... ٢٣٨
- «وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام ، حتى قال الله» ..... ٣٥
- «ولا يُنال ما عند الله إلاّ بجهة أسبابه ، ولا يقبل الله أعمال العباد إلاّ...» ..... ١٤
- «وما يضرّه من ذلك ، فقد قام عيسى عليه السلام بالحجة وهو» ..... ٢٧٢
- «ويحك إنّ مسألك لصعبة! أما سمعت الله يقول : لَوْ كَانَ» ..... ١٩٤
- «هذا عبد نور الله قلبه بالإيمان» ..... ١٥٢ ، ٧٥
- «هذا والله قائم آل محمد صلى الله عليه وآله» ..... ٢٧٠
- «هكذا قال أبو جعفر عليه السلام» ..... ٧٤
- «هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمة فيجوز فيها» ..... ١٥
- «هو قوله ( وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ) ، ذاك الذي يفارقه» ..... ١٧٠
- «هي الإمامة جعلها الله عزّ وجلّ في عقب الحسين عليه السلام» ..... ٤١
- «هؤلاء أهل بيتي» ..... ٢٣٧ ، ٢٢٤
- «هؤلاء أهل بيتي ، اللهمّ أهل بيتي أحقّ» ..... ٢٢٨ ، ٢٠٥
- «يا أبا محمد ؛ خلق والله أعظم من جبرئيل وميكائيل ، وقد كان» ..... ١٦٦
- «يا أهل العراق ، اتّقوا الله فينا ، فإنّا أمراؤكم وضيفانكم» ..... ٢٤٨
- «يا بن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء» ..... ١٨٩
- «يا بُني دون ما أراك» ..... ١٢٢
- «يا جابر إنّ الله خلق الناس ثلاثة أصناف ، وهو قول الله تعالى» ..... ١٦٢
- «يا جابر إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس» ..... ١٦٣

العصمة .....	٢٩٨
«يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثنان ، إلا روح» .....	١٦٣
«يا جابر أيكنفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فوالله» .....	١٢٠
«يا جابر والله ما يُتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة» .....	١٢٠
«يا جعفر ، يا بني ، إن الله إذا أحب» .....	١٢٢
«يا حسين ؛ يخرج من صلبك تسعة من الأئمة ، منهم مهدي هذه الأمة» .....	٢٦٩
«يا عبد الله الأمر أعظم من ذلك وأجل ، أما تقرأ كتاب الله؟!» .....	١٦٠
«يا علي بن يقطين هذا علي سيّد ولدي ، أما إنني نخلته كنيّتي» .....	٢٧١
«يا علي لا تحدثنّ إلى أهلك شيئاً حتى آتيك» .....	٢١٢
«يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل في النبيّ صلّى الله عليه وآله» .....	١٦٣
«يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين عليه السلام» .....	٤١
«يقول الله عزّ وجلّ : أنا خير شريك ، من أشرك معي غيري في عمل» .....	٤٩
«يكون اثنا عشر أميراً» .....	٢٦١
«يكون من بعدي اثنا عشر أميراً» .....	٢٦٣

## فهرس الأعلام

### ١ - الذوات المقدسة

رسول الله (محمد صلى الله عليه وآله))، ٩،	١٢٣، ١٢٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٥١، ٢٠١،
١٠، ١١، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١،	٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠،
٢٣، ٢٥، ٣٢، ٤١، ٤٢، ٥١، ٥٥، ٥٧،	٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦،
٦٦، ٦٩، ٧٥، ٨٠، ٨١، ٩٤، ١٠٠، ١٠٨،	٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤،
١٠٩، ١١٥، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢١،	٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١،
١٢٣، ١٢٨، ١٢٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤،	٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨،
١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤،	٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٥،
١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣،	٢٦٠، ٢٦٨، ٢٦٩،
١٧٤، ١٨٠، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٩، ٢٠٠،	فاطمة الزهراء (عليهما السلام)، ٢٠٢، ٢٠٣،
٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧،	٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠،
٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤،	٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧،
٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠،	٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣،
٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦،	٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩،
٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣،	٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٩،
٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠،	٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦،
٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦،	الإمام أبو محمد الحسن بن علي (عليه السلام)،
٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣،	٤٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧،
٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١،	٢٠٨، ٢١٠، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠،
٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧،	٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨،
٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٤،	٢٢٩، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٦٦، ٢٦٩،
علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (عليه السلام)،	الإمام الحسين (عليه السلام)، ١٥، ٣٩، ٤٠،
١٨، ٥٦، ٦٢، ٦٦، ٧٠، ٧٥، ١١٥، ١٢٢،	٤١، ٤٢، ١٤٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥،

الإمام أبو محمد الحسن العسكري (عليه السلام)،	٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١٥ ، ٢١٠ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧
٢٧٤ ، ٢٧٠ ، ٢٦٤ ، ٤٨	٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٩
الحجة بن الحسن القائم (عليه السلام)،	٢٣٧ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥
٢٦٨ ، ٢٧٠	٢٦٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٣٨
آدم (عليه السلام)،	٢٧٠ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧
٢ ، ١٥ ، ١٩ ، ٤٥ ، ٤٧	علي بن الحسين السجاد (عليه السلام)، ٢٢
٧٠ ، ٩١ ، ١٢٦ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٣١	٢٦٩ ، ٢١٥ ، ١٥٠ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ٧٠ ، ٣٩
نوح (عليه السلام)،	٢ ، ١٥ ، ٤٣ ، ١٢٦ ، ٢٠٩
إبراهيم الخليل (عليه السلام)،	٢ ، ١٣ ، ١٤
١٥ ، ٢٦ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨	٤١ ، ١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٠ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٦٥ ، ٥٦ ، ٤٨
٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٥	١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٩٣ ، ١٩٩
٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٩٥ ، ٩٦	٢١٥ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣
٩٧ ، ٩٨ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٥٨ ، ١٨٤	أبو عبد الله الصادق (عليه السلام)، ١٨ ، ١٤
موسى (عليه السلام)،	١٩ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٥٧
٣٢ ، ٤٤ ، ١٢٦	٥٨ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٢٠ ، ١٢١
إسحاق (عليه السلام)،	١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٦٠
٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٩	١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧
٤٢ ، ٦٨ ، ١٢٦	١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٥٢ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠
إسماعيل (عليه السلام)،	٢٧١
١٥ ، ٣٤ ، ٩٨	أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم (عليه
دأود (عليه السلام)،	٢٧٣ ، ٢٧١ ، ٢٦٩ ، ٧٣ ، ١٣
١٥٥ ، ١٢٦	الإمام أبو الحسن الرضا (عليه السلام)، ١٣
سليمان (عليه السلام)،	١٥ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٦٢ ، ١٨٩
١٥٥ ، ١٢٦	١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢
لقمان (عليه السلام)،	٢٧٣
٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٩١	الإمام محمد الجواد، ٢٦٩
يَعْقُوب (عليه السلام)،	٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٦٩ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ٢٧٢
٣٣ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٦٨	الإمام عليّ الهادي (عليه السلام)، ٢٧٠
١٢٦	
يوسف (عليه السلام)،	
٣٨ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٤	
١٢٦ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧	
٢٥٨	
يونس (عليه السلام)،	
٥١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٠	
٩٤ ، ١١٨ ، ١٩٢	

٢ - سائر الأعلام

ابراهيم ابن النبي(صلى الله عليه وآله)،	ابو بصير، ٤١، ٤٩، ١٦١، ١٦٦
١٣٠، ١٢٩	ابو بكر، ٢٠٢، ٢٤٤، ٢٤٥
ابراهيم بن عبد الله بن الحسن، ٥٠	ابو الحمراء هلال بن الحارث، ٢٠١،
ابراهيم بن عمر، ١٥٩	٢٠٨، ٢١٦
ابن أبي الحديد المعتزلي، ١٢٤، ١٣٢	ابو داود، ١٧
ابن أبي حاتم، ٢١٩، ٢٣٦	ابو ذرّ، ٢٦٧
ابن المنذر، ٢١٩	ابو كهمس، ١٢١
ابن البطريق الأسدي الحلّي، ٢٢٢	ابو هاشم الجعفري، ٢٧٣
ابن جرير، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٣٦	ابو هريرة، ٤٢
ابن حجر، ١٧	احمد بن مسروق، ٢٦٣
ابن حنبل، احمد بن محمّد، ١٧، ١٨٩،	اسباط بن سالم، ١٦٤
٢٢٢، ٢٠٨، ٢٠٧	الاسترابادي النجفي، شرف الدين علي
ابن عباس، ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٢،	الحسيني، ٢١٥
٢١٧، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٦٦	اسماعيل ابن الصادق، ٢٧٣
ابن كثير، ١٧	اسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيّار،
ابن ماجه، محمّد بن يزيد القزويني، ١٧،	٢٢٩
١٨٩	اسماعيل بن مهران، ٢٧٢
ابن مردويه، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٢٣،	اسماء، ٢١٢
٢٣٦	الإصفهاني، ابو الفرج، ٢١٢
ابن معصوم، علي خان الحسيني المدني	الآلوسي، ٨٨، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٥٠،
الشيرازي، ١٣٢، ٢٥٣	٢٥٥، ٢٥٤
ابو برزة، ٢٠١	أمّ أيمن، ٢١٢

أم سلمة، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٠، ٢٠٤، ٢٤٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠	٢١٠، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٠، ٢٠٤، ٢٤٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠
٢١١، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، الجبائي، ٥٩	٢١١، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، الجبائي، ٥٩
٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣١، الجرجاني، أبو أحمد عبد الله بن عديّ،	٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣١، الجرجاني، أبو أحمد عبد الله بن عديّ،
٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٣٥	٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٣٥
٢٥٩، ٢٧٠، الجرجانيّ، الفتح بن يزيد، ١٩٤	٢٥٩، ٢٧٠، الجرجانيّ، الفتح بن يزيد، ١٩٤
الأميني، عبد الحسين النجفي، ٢٣، الجعفي، جابر بن يزيد، ١٦٢، ١٦٣،	الأميني، عبد الحسين النجفي، ٢٣، الجعفي، جابر بن يزيد، ١٦٢، ١٦٣،
٢٧٠، انس بن مالك، ٢٠١، ٢٠٥، ٢١٥، ٢٧٠	٢٧٠، انس بن مالك، ٢٠١، ٢٠٥، ٢١٥، ٢٧٠
٢٦٧، الحارث، ٢٠٢، ٢١٤	٢٦٧، الحارث، ٢٠٢، ٢١٤
الأوزاعي، ٢٣٧، الحاكم النيسابوري، ابن عبد الله بن احمد	الأوزاعي، ٢٣٧، الحاكم النيسابوري، ابن عبد الله بن احمد
أيوب بن نوح، ١٩٢، الحذاء الحنفي الحسكاني، ١٧، ٢٠٣،	أيوب بن نوح، ١٩٢، الحذاء الحنفي الحسكاني، ١٧، ٢٠٣،
٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٢٧، البخاري، محمد بن اسماعيل، ١٨٨،	٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٢٧، البخاري، محمد بن اسماعيل، ١٨٨،
١٨٩، ٢٠٣، ٢٢٤، ٢٤٤، ٢٦١، ٢٢٩، ٢٢٨	١٨٩، ٢٠٣، ٢٢٤، ٢٤٤، ٢٦١، ٢٢٩، ٢٢٨
٢٦٤، الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، ١٢١	٢٦٤، الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، ١٢١
بكير بن مسمار، ٢٠٦، الحسين بن بشّار، ١٩٣	بكير بن مسمار، ٢٠٦، الحسين بن بشّار، ١٩٣
٥٩، البلخي، الحسين بن المختار، ٢٧١	٥٩، البلخي، الحسين بن المختار، ٢٧١
١٥٥، بلقيس، حفص بن البخترى، ١٢٢	١٥٥، بلقيس، حفص بن البخترى، ١٢٢
٢٠٢، البيهقي، أحمد بن الحسين، ٢٤٤، ٢٤٤، ٢٤٥	٢٠٢، البيهقي، أحمد بن الحسين، ٢٤٤، ٢٤٤، ٢٤٥
الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الحكيم، محمد تقي، ١٧	الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الحكيم، محمد تقي، ١٧
١٨٩، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٦، ٢١٨، الحلبي، ١٦٥	١٨٩، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٦، ٢١٨، الحلبي، ١٦٥
٢٢٠، ٢٤٤، ٢٦٣، ٢٦٤، الخازن، ١٧	٢٢٠، ٢٤٤، ٢٦٣، ٢٦٤، الخازن، ١٧
١٧، الثعلبي، الخدري، ابو سعيد، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٣،	١٧، الثعلبي، الخدري، ابو سعيد، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٣،
٣٩، ١٥٩، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٦٧	٣٩، ١٥٩، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٦٧
٢٦٣، ٢٦٢، ٢٦١، جابر بن سمرة، الخزاز، علي بن محمد بن علي، ٤٢	٢٦٣، ٢٦٢، ٢٦١، جابر بن سمرة، الخزاز، علي بن محمد بن علي، ٤٢
١٢٠، الخطيب، ٢٢٣، ٢٠٤، جابر بن عبد الله الأنصاري،	١٢٠، الخطيب، ٢٢٣، ٢٠٤، جابر بن عبد الله الأنصاري،
١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧، ٢٠١، الخوارزمي، الموفق بن احمد بن محمد	١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧، ٢٠١، الخوارزمي، الموفق بن احمد بن محمد

- المكّي، ٢١٣  
الدارمي، ١٧  
الدوانيقي، أبو جعفر المنصور، ٥٠  
الدهني، عمّار بن ابي معاوية، ٢٢٥، ٢٥٠  
ذعلب اليمانيّ، ٧٠  
الراغب الإصفهاني، ابو القاسم الحسين بن  
محمد، ١٧٧، ٩٥، ٨٨  
الزجاج، ٥٩  
زرارة، ١٦٤، ٢١٥، ٢٦٩  
الزحشري، ابو القاسم جار الله محمود بن  
عمر، ٣٧  
زيد بن ارقم، ٢٣٦  
زيد بن عليّ، ٥٠  
زينب بنت جحش، ٢٢٩، ٢٣٠  
السبحاني، الشيخ جعفر، ١٣٩  
سعد بن ابي وقاص، ٢٠١، ٢٠٦  
سعيد بن جبير، ٢٣٤، ٢٣٥  
سعيد بن المسيّب، ٢٣٤  
سلمان الفارسيّ، ٢٦٦، ٢٦٨  
سماعة بن مهران، ٥٧، ١٦٧  
سمّاك بن حر، ٢٦٣  
شدّاد بن عبد الله، ٢٢٢  
شدّاد بن عمّار، ٢٢٦  
الشريف المرتضى، ابو القاسم علي بن  
الحسين الموسوي، ١٣١  
الشعبي، ٢٦٢  
شهر بن حوشب، ٢٠٣، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١  
صالح النيلي، ١٨٩  
الصحّاف، الحسين بن نعيم، ٢٧١  
الصدوق، محمد بن علي ابن بابويه القميّ،  
٢٢، ٣٩، ٤١، ١٢٦، ١٢٩  
الصفّار، محمد ابن فروخ، ٦٦  
صفوان الجمّال، ٢٧٠  
صفوان بن يحيى، ٢٧٢  
صفية بنت شيبة، ٢٠٢  
الطباطبائي، العلامة محمد حسين، ١٠،  
٥١، ٨٨، ١١٣، ١١٥، ١٣٣، ١٣٤  
١٣٧، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٦، ١٧٠  
١٧٨، ١٨٢، ١٨٨، ٢٥٦، ٢٥٧  
الطبراني، ٢١٩، ٢٤٩  
الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن،  
١٨١، ٢٥٢  
الطبرسي، ابو منصور احمد بن عليّ بن ابي  
طالب، ٦٢  
الطبرسي، حسين النوري، ٢٥٢  
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ١٧،  
٥٩، ٢١٢  
الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن،

غياث بن ابراهيم، ٢٦٩	٢٥٨، ١٣١، ٤٨، ٣٧
الفخر الرازي، ١٧، ٣٩، ٥١، ٥٢، ٨٨، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٥، ١١٢، ١١٣	عائشة، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٤٩، ٢٤٥
٢٤٣	عامر بن سعد، ٢٠٦
الفراء، ٥٩	عباية بن ربعي، ٦٢
الفضيل بن يسار، ٢٧٠	عبد الله بن ابي الحارث، ٢٣٥
الفيروزآبادي، محمد الدين محمد بن يعقوب، ٨٨	عبد الله بن ابي يعفور، ١٢١
القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم، ٦٦	عبد الله بن جعفر، ٢٧١
الكليني، ١٣	عبد الله بن ربيعة، ٢٢٥
الكوفي، فرات بن ابراهيم، ٢٢١	عبد الله بن سنان، ١٢٦
الكوفي، زياد بن ابي الحلال، ١٦٥	عبد الله بن طلحة، ١٦٠
الكوفي القاضي، محمد بن سليمان، ٢١٦	عبد الله بن عباس، ٢٠٧
الكهنوي، السيد حامد حسيني، ١٧	عبد الله بن مسعود، ٢٦٣
المازندراني، الميرزا محمد صالح، ١٦١	عبد الله بن مسكان، ١٩٣
المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، ٢٠٦	عروة بن الزبير، ٢٣٧
المتنبي، ١٣٦	عطاء بن يسار، ٢٢٤، ٢٠٣
المجلسي، محمد باقر، ١٤، ١٨، ١٦٠، ١٧٣، ١٧٥	عكرمة، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧
مجمع، ٢٢٣، ٢٤٩	علي بن اسباط، ١٦٤
محمد بن سنان، ١٦٥	علي بن زيد، ٢٠٥، ٢١٥
محمد بن سيرين، ٢٣٥	علي بن عبد الله بن عباس، ٢٣٥
محمد بن عبد الله بن الحسن، ٥٠	علي بن يقطين، ٢٧١
	عمر بن ابي سلمة، ٢١٨
	عمر بن الخطاب، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٢
	عمرو بن ميمون، ٢٠٧
	عمرة، ٢٢٥، ٢٥٠



- محمد بن مسلم، ١٦٦، ١٩٣  
 محمد بن المنكدر، ٢٠٤  
 محمد سيد كيلاني، ٨٨  
 محمد عبده، ٧٠  
 السيد المرتضى، ١٣١  
 مسلم، ١٧، ١٨٩، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٩،  
 ٢١٠، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٣٦،  
 ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٦٢، ٢٦٣،  
 ٢٦٦، ٢٦٤  
 المشكيني، الميرزا علي، ١٧٨  
 مصباح اليزدي، محمد تقي، ١٤٢  
 المظفر، محمد حسن، ٢٤٧  
 معاوية، ٢٠٦، ٢٠٧  
 معمر بن خلاد، ٢٧٢  
 المفضل بن عمر، ٤١، ١٦٣  
 الشيخ المفيد، ابو عبد الله محمد بن محمد  
 بن النعمان العكبري البغدادي، ١٠٢،  
 ١٣١، ١٦٥، ٢٠٢، ٢١٤، ٢٦٩  
 المنصور بن حازم، ١٩٣، ٢٧٠  
 الميلاني، علي الحسيني، ١٧  
 النسائي، ١٧  
 النيسابوري، ابو الحسين مسلم بن  
 الحجاج، ١٧، ١٨٩  
 النيسابوري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله  
 الحاكم، ٢٠٣
- وائلة بن الأسقع، ٢٠١، ٢٠٥، ٢١١،  
 ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٧،  
 ٢٣٩  
 هشام بن الحكم، ٢٧١  
 هشام بن سالم، ٤٠، ١٢١  
 الهيثمي، نور الدين علي بن ابي بكر،  
 ٢١٢  
 يونس، ٧٣، ٧٤

## فهرس المصادر

- ١- الاحتجاج، ٦٢  
تأليف: أبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي -  
تعليقات وملاحظات: السيّد محمّد باقر الخرسان - منشورات  
النعمان - النجف الأشرف - العراق - ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .
- ٢- الإرشاد، ١٦٥، ٢٦٩  
تأليف: أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي  
(الشيخ المفيد) (٤١٣هـ) - تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام  
لإحياء التراث - نشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد - مطبعة  
مهر - قم - إيران - الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ .
- ٣- اصطلاحات الأصول، ١٧٨  
تأليف: الشيخ الميرزا عليّ المشكيني - مطبعة الهادي - قم - إيران -  
الطبعة الخامسة - ١٤١٣هـ .
- ٤- الأصول العامّة للفقّه المقارن، ١٧، ٢١، ١٨٠، ١٩٨، ٢١٠، ٢٣٢،  
٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٦٦  
تأليف: السيّد محمّد تقي الحكيم - دار الأندلس - بيروت - لبنان -  
الطبعة الثانية - ١٩٩٧م .
- ٥- الإلهيات، ١٣٩  
تأليف: الشيخ جعفر السبحاني - بقلم: الشيخ حسن مكّي - نشر:  
المركز العالمي للدراسات الإسلامية - مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي  
- الطبعة الثانية - ١٤١١هـ .

٦ - أمالي المفيد، ٢٠٢، ٢١٤

تأليف : أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (٤١٣هـ) - تحقيق : الحسين استاد ولي وعلي أكبر الغفاري - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية - إيران - قم .

٧ - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ١٨، ١٩، ٤٠،

٤١، ٤٨، ٤٩، ٦٦، ٧٠، ١٥٠، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧،

١٧٤، ١٨٦، ١٩١، ١٩٣، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨

تأليف :الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار الشيخ محمد باقر المجلسي (١١١١هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٨ - بحث حول المهديّ عجل الله فرجه، ٢٦٥

معاونيّة العلاقات الدوليّة في منظمة الإعلام الإسلامي - الجمهورية الإسلامية في إيران - طهران، ط ١، ١٤٠٦هـ.

٩ - بصائر الدرجات، ٦٦، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦،

١٦٧

تأليف : أبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار (٢٩٠هـ) - تصحيح وتعليق : ميرزا محسن كوچه باغي التبريزي - منشورات مكتبة المرعشي النجفي - قم - إيران - ١٤٠٤هـ .

١٠ - تاريخ الطبري، ٢١٢، ٢٤١

تأليف : أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار التراث - بيروت - لبنان .

١١ - تأويل الآيات الظاهرة، ٢١٥

تأليف : السيّد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي النجفي (من

أعلام القرن العاشر) تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - مطبعة أمير - قم - إيران - الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ .

١٢ - التبيان، ٣٧، ٣٩، ٥٩، ٦٦، ١٣١، ١٣٢

تأليف: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ) تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

١٣ - تصحيح الاعتقاد، ١٣١

تأليف: أبي عبد الله محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (٤١٣هـ) - تحقيق: حسين درگاهي - نشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد - مطبعة مهر - قم - إيران - الأولى - ١٤١٣هـ .

١٤ - تفسير الفخر الرازي، ٣٩، ٥١، ٥٢، ٨٨، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٥، ١١٣،

١٤٨، ١٨٨، ٢٣٣، ٢٤٣

تأليف: الفخر الرازي (٦٠٦هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة .

١٥ - تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي، ٢٢١

تأليف: أبي القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (من أعلام القرن الثالث الهجري) - تحقيق: محمد كاظم المحمودي - إيران - طهران - ١٤١٠هـ .

١٦ - تفسير القمي، ٦٦

تأليف: أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (من أعلام القرن الثالث والرابع الهجري) - تصحيح وتعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري - مطبعة النجف الأشرف - العراق - ١٣٧٨هـ .

١٧ - تهذيب الأحكام، ٢٥٨

تأليف : أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ) - تحقيق  
وتعليق : السيد حسن الموسوي الخراسان - دار الكتب الإسلامية -  
طهران - إيران - ١٣٩٠هـ .

١٨ - التوحيد، ١٢٩، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥

تأليف : أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه  
القمي (الشيخ الصدوق) (٣٨١هـ) - تصحيح وتعليق : السيد هاشم  
الحسيني الطهراني - منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية  
- قم - إيران .

١٩ - التوحيد.. بحوث في مراتبه ومعانيه، ١٨٣

تقريراً لدروس السيد كمال الحيدري، جواد علي كسار - ج ٢، ص ٣٨  
- ص ١٣٥، دار فراق.

٢٠ - خصائص أمير المؤمنين، ٢٠٧

تأليف : أبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي الشافعي (٣٠٣هـ) -  
تحقيق وتصحيح : محمد هادي الأميني - مكتبة نينوى الحديثة .

٢١ - الخصال، ٤١، ٧٠

تأليف : أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه  
القمي (الشيخ الصدوق) (٣٨١هـ) - تصحيح وتعليق : علي أكبر  
الغفاري - نشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين  
في الحوزة العلمية بقم .

٢٢ - الدرر المنتور، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٣،

٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤١

تأليف : عبد الرحمن بن كمال جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) -

العصمة ..... ٣١٠

الطبعة الأولى المحققة - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤٠٣هـ /  
١٩٨٣م .

٢٣ - دلائل الصدق، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٦٥

تأليف: الشيخ محمد حسن المظفر (١٣٧٥هـ) - منشورات مكتبة  
بصيرتي - قم - إيران - ١٣٩٥هـ .

٢٤ - رسائل الشريف المرتضى، ١٣١

تأليف: أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي، الشريف المرتضى  
(٤٣٦هـ) - تقديم: السيد أحمد الحسيني - إعداد: السيد مهدي  
الرجائي - نشر: دار القرآن الكريم - مطبعة سيد الشهداء - إيران -  
قم - ١٤٠٥هـ .

٢٥ - روح المعاني، ٨٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٥١، ٢٥٥

تأليف: أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (١٢٧٠هـ) -  
إدارة الطباعة المنيرية - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

٢٦ - رياض السالكين، ١٣٢، ٢٥٣

تأليف: السيد علي خان الحسيني الحسيني المدني الشيرازي  
المعروف بـ «ابن معصوم» (١١٢٠هـ) - تحقيق: السيد محسن  
الحسيني الأميني - نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجماعة  
المدرسين في الحوزة العلمية - قم - إيران - ١٤١٢هـ .

٢٧ - سنن ابن ماجه، ١٩٨

تأليف: أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه) (٢٧٥هـ) -  
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر - بيروت - لبنان .

٢٨ - سنن الترمذي، ١٨٩، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٦٣

تأليف: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٧٩هـ) -  
تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف - دار الفكر - بيروت - لبنان .

٢٩ - السنن الكبرى، ٢٠٢

تأليف : أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ) - دار الفكر - بيروت - لبنان .

٣٠ - شرح أصول الكافي والروضة، ١٦١

تأليف : الميرزا محمد صالح المازندراني (١٠٨١ أو ١٠٨٦هـ) - تصحيح وتخريج : علي أكبر الغفاري - منشورات المكتبة الإسلامية - طهران - إيران - ١٣٨٤هـ .

٣١ - شرح نهج البلاغة، ١١٥، ١٢٥، ١٣٢، ١٣٨

تأليف : عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني المعتزلي (٦٥٦هـ) - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - مصر - الطبعة الثانية - ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .

٣٢ - شواهد التنزيل، ٢٠٥، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧،

٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٥٠

تأليف : عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحذاء النيسابوري الحنفي (الحاكم الحسكاني) (من أعلام القرن الخامس) - تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي - مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الأوقاف و الإرشاد الإسلامي - طهران - إيران - الطبعة الأولى - ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

٣٣ - الصحاح، ٢٠٢

تأليف : إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ) - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٣٤ - صحيح البخاري، ١٨٩، ٢٦١

تأليف : أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) - طبعة

٣١٢ ..... العصمة

بالأوفست عن طبعة دار الطباعة بإستانبول دار الفكر - بيروت -  
لبنان .

٣٥ - صحيح مسلم، ١٧، ١٨٩، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٨، ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٤٦،  
٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦

تأليف: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري  
(٢٦١هـ) - دار الفكر - بيروت - لبنان .

٣٦ - الصواعق المحرقة، ١٧، ١٧٧

تأليف: أحمد بن حجر الهيتمي المكي (٩٧٤هـ) - تخريج وتعليق:  
عبد الوهاب عبد اللطيف - مكتبة القاهرة - مصر .

٣٧ - علل الشرائع، ١٢٦، ٢٠٠

تأليف: أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه  
القمي (الشيخ الصدوق) (٣٨١هـ) - المكتبة الحيدرية ومطبتها -  
النجف الأشرف - العراق - ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .

٣٨ - العمدة، ٢٢٢

تأليف يحيى بن الحسن الأسدي الحلبي المعروف بابن البطريق  
(٦٠٠هـ) - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في  
الحوزة العلمية - قم - إيران - ١٤٠٧هـ .

٣٩ - الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ٢٣، ٢٣٥

تأليف: الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي (١٣٩٠هـ) - دار الكتاب  
العربي - بيروت - لبنان - الصبغة الرابعة - ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

٤٠ - الغيبة، ٤٨، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤

تأليف: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ) - تحقيق:  
سرشار الطهراني الميانجي وعلي أحمد ناصح النهاوندي - مؤسسة  
المعارف الإسلامية - قم - إيران .



٤١ - القاموس المحيط، ٨٨، ١٠١، ٢١٩

تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٦ هـ) - دار  
إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى الملوّنة -  
١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

٤٢ - الكافي، ١٣، ١٥، ١٦، ٣٥، ٣٦، ٤٩، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٣، ٧٣، ٧٤،  
٧٥، ١٢٠، ١٢١، ١٣٠، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٨،  
١٧٠، ١٧٢، ١٧٩، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٣، ٢٠٠، ٢٥٣، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢،  
٢٧٣، ٢٧٤

تأليف : أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي (٢٣٨ / ٢٣٩ هـ)  
- تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري - دار الكتب الإسلامية -  
طهران - إيران - الطبعة الثالثة - ١٣٨٨ هـ .

٤٣ - الكامل في ضعفاء الرجال، ٢٣٥

تأليف : أبي أحمد عبد الله بن عديّ الجرجاني - تحقيق : سهيل  
زكار ويحيى غزوي - دار الفكر - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة -  
١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

٤٤ - الكشاف، ٣٧، ٥٠، ٩١، ٩٥، ٩٦، ٢٣٣، ٢٥٣، ٢٥٤

تأليف : أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ هـ) -  
ضبط وتصحيح : مصطفى حسين أحمد - دار الكتاب العربي -  
بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ .

٤٥ - كفاية الأثر، ٤٢، ٢٧٠

تأليف : أبي القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز (من أعلام القرن  
الرابع) - تحقيق : السيّد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمرى الخوئي -  
مطبعة الخيام - قم - إيران - ١٤٠١ هـ .

٤٦ - كمال الدين وتمام النعمة، ٣٩، ٤١، ٢٦٨

تأليف : أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) (٣٨١هـ) - تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري - نشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية - إيران - قم - ١٤٠٥هـ .

٤٧ - كنز العمال، ١٧، ٢٠٦، ٢١٦، ٢٥٢

تأليف : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (٩٧٥هـ) - ضبط : بكري حياني - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ١٩٨٩م .

٤٨ - مجمع البيان، ١٨١، ٢٤١

تأليف : أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس) - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٤٩ - مجمع الزوائد، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٨، ٢٤٩، ٢٦٢

تأليف : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٥٠ - مرآة العقول، ١٤، ١٦١

تأليف : محمد باقر المجلسي (١١١١هـ) - دار الكتب الإسلامية - إيران - الطبعة الثانية - ١٤٠٤هـ .

٥١ - مستدرك الوسائل، ٢٥٢

تأليف : الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي (١٣٠٢هـ) - تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - الثانية - ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

٥٢ - المستدرك على الصحيحين، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩

٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩

تأليف : أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)

- بإشراف : د . يوسف عبد الرحمن المرعشلي - دار المعرفة - لبنان .

٥٣ - مسند أحمد، ١٧، ١٨٩، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٦٣، ٢٦٤

تأليف : أحمد بن محمد بن حنبل - دار صادر - بيروت - لبنان .

٥٤ - معاني الأخبار، ٢٢، ٤١، ٢٦٩

تأليف : أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) (٣٨١هـ) - تصحيح : علي أكبر الغفاري - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية - إيران - قم .

٥٥ - المفردات في غريب القرآن، ٨٨، ٩٥، ١٧٧

تأليف : أبي القاسم الحسين بن محمد (الراغب) الإصفهاني (٥٠٢هـ)

- تحقيق : محمد سيد كيلاني .

٥٦ - مقاتل الطالبين، ٢١٢

تأليف : أبي الفرج الإصفهاني (٣٥٦هـ) - تحقيق : السيد أحمد صقر

- منشورات الشريف الرضي - قم - إيران - الطبعة الثانية - ١٤١٦هـ .

٥٧ - المناقب، ٢١٣

تأليف : الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي (٥٦٨هـ) -

تحقيق : الشيخ مالك المحمودي - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة

لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم - إيران - ١٤١١هـ .

٥٨ - مناقب أمير المؤمنين، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٦

تأليف : محمد بن سليمان الكوفي القاضي (من أعلام القرن الثالث)

- تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي - مجمع إحياء الثقافة

الإسلامية - الطبعة الأولى - قم - إيران - ١٤١٢هـ .

٥٩ - المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ١٤٢، ١٤٧، ١٤٨

تأليف : الأستاذ محمد تقي مصباح اليزدي - ترجمة : محمد عبد المنعم الخاقاني - نشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية - إيران - قم - ١٤٠٩هـ .

٦٠ - الميزان في تفسير القرآن، ١٠، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٥١، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٧١، ٧٢، ٧٦، ٧٧، ٨٨، ٨٩، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٨، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٨

تأليف : العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٢هـ) - مؤسسة ومطبعة إسماعيليان - قم - إيران - الطبعة الخامسة - ١٤١٢هـ .

٦١ - نهج البلاغة، ٧٠، ٧٦، ١١٥، ١٥١

وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام - شرح : الشيخ محمد عبده - مكتب الإعلام الإسلامي - ١٤١١هـ .

٦٢ - وسائل الشيعة، ١٢١

تأليف : محمد بن الحسن الحرّ العاملي (١١٠٤هـ) - تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - مطبعة مهر - قم، الأولى - ١٤١٢هـ .

٦٣ - مجلة الفكر الجديد، ١٠٣

العدد التاسع - صفر - ١٤١٥هـ .

## فهرس المواضيع

٩	تقديم
١٣	منهجان
٢٥	مقدمة
٢٩	الفصل الأول: في الإمامة
٣١	تمهيد
٣٤	١ - الإمامة والنبوة
٣٦	٢ - استمرار الإمامة
٣٩	الأدلة النقلية
٤٢	٣ - العهد لا ينال الظالم
٤٣	مفهوم الظلم
٤٧	المعصية مرتبة من الشرك
٥٣	الإمام في القرآن الكريم
٥٤	١ - الصبر
٥٨	٢ - اليقين
٥٩	- معنى الملكوت
٦٧	- مشاهدة الملكوت
٧١	أسباب اليقين
٧٨	خلاصة البحث
٧٩	مقتضيات وموانع لرؤية الملكوت
٨٤	خلاصة الفصل الأول

العصمة .....	٣١٨
الفصل الثاني: العصمة .....	٨٥
الطهارة في المدلول القرآني .....	٨٧
القلب السليم .....	٩٥
الشمولية في إذهاب الرجس .....	٩٩
العصمة مفهوماً ومضموناً .....	١٠١
الاحتمال الأوّل: العصمة الجبرية .....	١٠١
مناقشة العصمة الجبرية .....	١٠٣
١ - القرآن الكريم .....	١١٧
٢ - السنّة الشريفة .....	١٢٠
الاحتمال الثاني في العصمة: المعصوم ليس بشراً! .....	١٢٤
مناقشة الاحتمال الثاني .....	١٢٥
الاحتمال الثالث: العصمة بالاختيار .....	١٣٠
العلم منشأ العصمة .....	١٣٤
أقسام العلم .....	١٤٠
فوارق مهمّة بين العلمين .....	١٤٣
١ - العلم الحضوري غير قابل للخطأ .....	١٤٣
٢ - العلم الحضوري تشترك فيه جميع القوى .....	١٤٤
٣ - حتمية الأثر في العلم الحضوري .....	١٤٥
القرآن الكريم يعدّ العلم منشأً للعصمة .....	١٥٣
روح القدس .....	١٥٧
الإرادة .....	١٧٧
شبهة حول الإرادة .....	١٨٢

٣١٩	فهرس المواضيع .....
١٨٣	المقدمة الأولى: الملك لله وحده .....
١٨٤	المقدمة الثانية: اختيار الإنسان .....
١٨٦	المقدمة الثالثة: التبعية في الإرادة .....
١٩١	المقدمة الرابعة: شمولية العلم الإلهي .....
١٩٥	خلاصة البحث .....
١٩٦	نتيجة البحث .....
٢٠١	أهل البيت عليهم السلام في أقوال الصحابة .....
٢٠٢	١ - عليّ أمير المؤمنين عليه السلام .....
٢٠٢	٢ - عائشة .....
٢٠٣	٣ - أمّ سلمة .....
٢٠٤	٤ - أبو سعيد الخدري .....
٢٠٤	٥ - جابر بن عبد الله الأنصاري .....
٢٠٥	٦ - واثلة بن الأسقع .....
٢٠٥	٧ - أنس بن مالك .....
٢٠٦	٨ - سعد بن أبي وقاص .....
٢٠٧	٩ - عبد الله بن عباس .....
٢٠٨	١٠ - أبو الحمراء، خادم رسول الله صلّى الله عليه وآله .....
٢١١	تعدّد مناسبات تطبيق الآية الكريمة .....
٢١١	١ - زواج عليّ وفاطمة عليهما السلام .....
٢١٣	٢ - الوقوف على باب عليّ وفاطمة عليهما السلام .....
٢١٤	٣ - النداء للصلاة .....
٢١٨	٤ - جمعهم تحت الكساء .....

العصمة .....	٣٢٠
٥ - جمعهم في ثوب .....	٢٢٢
٦ - جمعهم في بيت أم سلمة .....	٢٢٤
٧ - جمعهم في بيت فاطمة .....	٢٢٦
٨ - جمعهم عند هبوط الرحمة .....	٢٢٩
٩ - خطبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .....	٢٣٠
شبهات حول آية التطهير .....	٢٣٣
الشبهة الأولى: في المراد من أهل البيت .....	٢٣٣
الشبهة الثانية .....	٢٥٠
الشبهة الثالثة .....	٢٥٤
عصمة جميع الأئمة عليهم السلام .....	٢٦٠
الفهارس التفصيلية .....	٢٧٥
فهرس الآيات .....	٢٧٧
فهرس الأحاديث .....	٢٨٩
فهرس الأعلام .....	٢٩٩
فهرس المصادر والمراجع .....	٣٠٦
فهرس المواضيع .....	٣١٧